



الطريقة والوطن في العقيدة الكسنزانية

السَّيِّدُ الشَّيْخُ
شَمْسُ الدِّينِ مُحَمَّدٌ نَهْرُ
الْكِسْنَزَانِ الْقَادِرِيُّ الْحَسَنِيُّ
رَئِيسُ الطَّرِيقَةِ الْعَلِيَّةِ الْقَادِرِيَّةِ الْكِسْنَزَانِيَّةِ فِي الْعَالَمِ

الطَّريقة والوطن في العقيدة الكسنزائيَّة



اسم المنجز: الطريقة والوطن في العقيدة الكسنزانية
تأليف: السيد الشيخ شمس الدين محمد نهر الكسنزان القادري الحسيني
جنس المنجز: تصوف
المساعدة في الإخراج العلمي: د. نضال البغدادي
مراجعة وتدقيق لغوي نهائي: د. بكور عاروب – نور الخالدي
تصميم الغلاف والإخراج الفني: علي كاني
الطبعة الأولى: 2026
القياس: 17 * 24 سم
عدد الصفحات: 201

بطاقة

219

ك. 595 الكسنزان . السيد الشيخ شمس الدين محمد نهر
الطريقة والوطن في العقيدة الكسنزانية / السيد الشيخ
شمس الدين محمد نهر الكسنزان القادري الحسيني. ط 1 .
بغداد: دار رائد المعنى للطباعة والنشر والتوزيع 2026م
(201ص) – (24 سم)
1- التصوف الاسلامي . أ - العنوان

رقم الايداع

3931 / 2026م

المكتبة الوطنية / الفهرست اثناء النشر

تنفيذ الانجاز... طباعة وتصميم (دار رائد المعنى) العراق – بغداد

هاتف: 07744608640 (وتس آب - تلكرام)

www.rm-books.com

info@rm-books.com

rmbooks1st@gmail.com

جميع حقوق النشر محفوظة للمؤلف – ولا يحق لأي شخص أو مؤسسة النسخ أو الطبع

أو إعادة إصدار هذا الكتاب دون إذن خطي من أصحاب الحقوق .

رقم الإيداع في المكتبة الوطنية، دار الكتب والوثائق ببغداد (3931) لسنة 2026

الناشر / دار رائد المعنى / للطباعة والنشر والتوزيع 2026م

تصوف

الطَّريقة والوَطن

في العَقيدة الكسنزانية

(يتضمن أكثر من [120 مقولة] لحضرة السلطان
مُحمَّد المُحمَّد الكسنزان)

السَّيِّدُ الشَّيْخُ شَمْسُ الدِّينِ مُحمَّدُ نَهرو الكسنزانُ

القَادِرِيُّ الحُسَيْنِيُّ

رَئِيسُ الطَّريقَةِ العَلِيَّةِ القَادِرِيَّةِ الكسنزانية

في العَالَمِ

سلسلة إصدارات المركز العالمي للتصوف والدراسات الروحية

في الطريقة الكسنزانية [6]

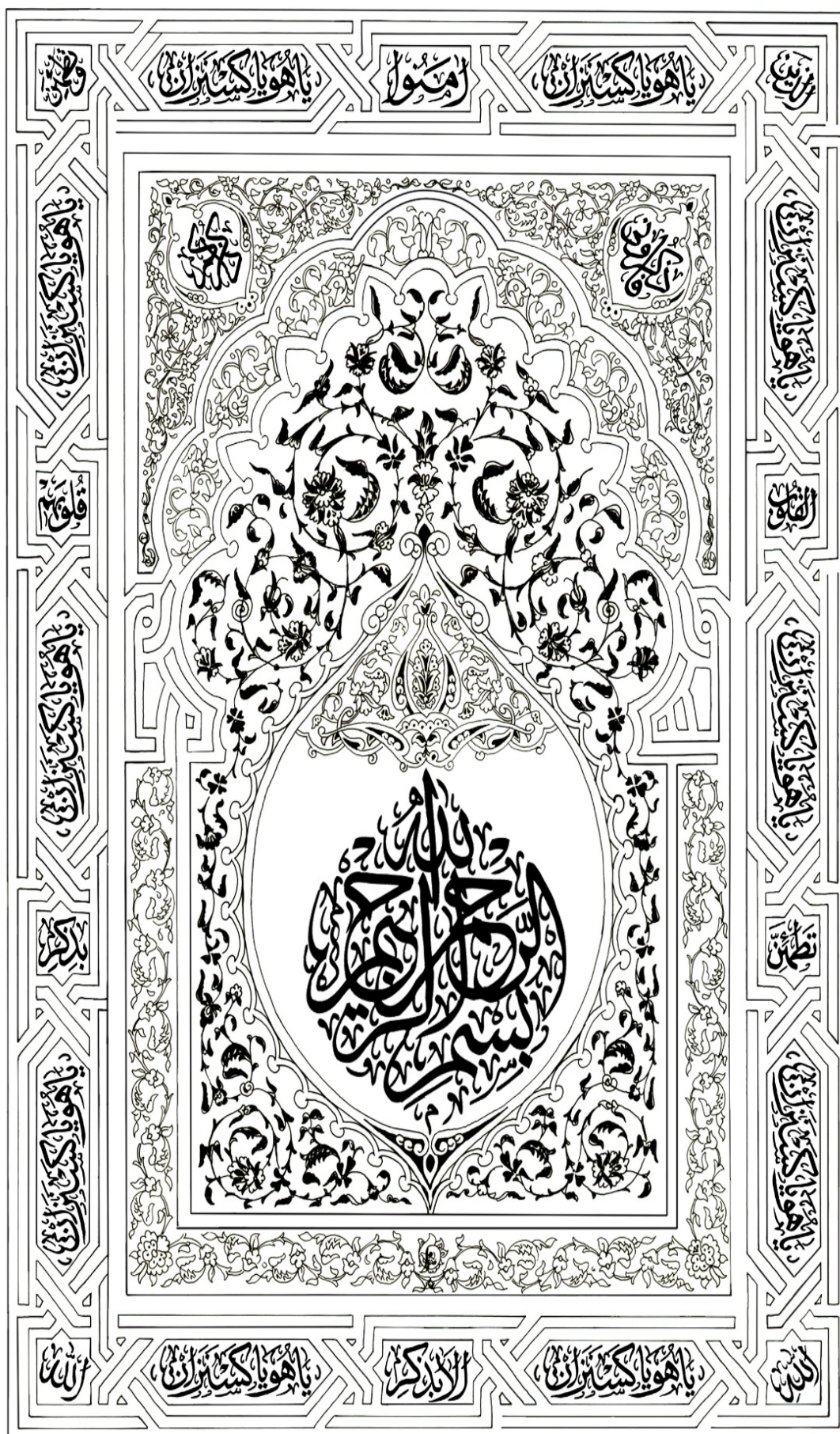
طبعة أولى 2026م

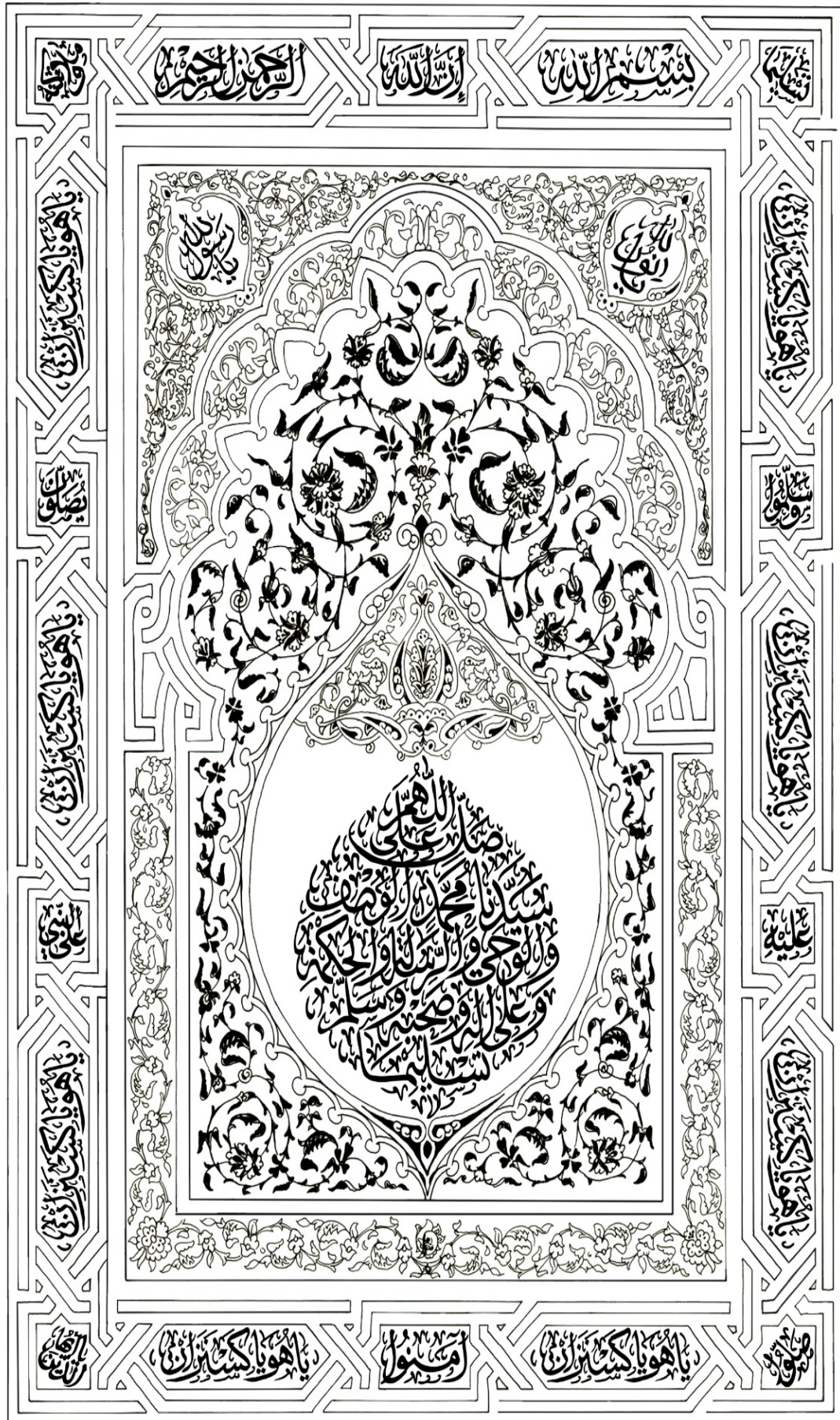


إِهْدَاءُ

يَا سُلْطَانَ الْحَقِّ، يَا حَامِلَ لِوَاءِ الْهُدَى، يَا مَنْ
رَفَعْتَ رَايَةَ الْمَحَبَّةِ فَوْقَ كُلِّ طَائِفَةٍ وَمَذْهَبٍ،
وَجَمَعْتَ الْقُلُوبَ عَلَى ذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى، فَصَارَ
الطَّرِيقُ بِكَ مَأْوًىً لِلسَّالِكِينَ، وَمَلَاذَأً لِلْحَائِرِينَ،
وَنُوراً لِلْعَالَمِينَ.

إِلَيْكَ، يَا مَوْلَانَا، أُهْدِي هَذَا الْكِتَابَ...
وَفَاءَ لِمَا غَرَسْتَهُ فِي الْقُلُوبِ مِنْ مَحَبَّةٍ،
وَاعْتِرَافاً بِمَا أَفَاضَهُ اللَّهُ بِكَ عَلَيْنَا مِنْ أَنْوَارِ
التَّزْيِينِ، وَعَهْداً مُتَجَدِّداً عَلَى السَّيْرِ بِنَهْجِكَ،
وَالْوَفَاءِ بِأَمَانَةِ الطَّرِيقَةِ الَّتِي حَمَلْتَنَا إِلَيْهَا،
حَتَّى نَلْقَى اللَّهَ وَقَدْ صَدَقْنَا مَا عَاهَدْنَاهُ عَلَيْهِ.





المقدمة

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَأُصَلِّي وَأُسَلِّمُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ
الْوَصَفِ وَالْوَحْيِ وَالرَّسَالَةِ وَالْحِكْمَةِ وَعَلَى آلِهِ، وَصَحْبِهِ وَسَلَامٍ
تَسْلِيمًا.

أما بعد:

فإنَّ كُلَّ مَنْ يُلقِي ولو نظرةً سريعةً على تاريخ أهل الطريقة
الصوفية ومواقفهم من حُبِّ الوطن يجد أنهم كانوا ولا زالوا الأعلامَ
في الوفاء للأرض التي نشأوا فيها، والقائمين بحق أهلها، حفظاً
لأمنها وعمراناً لديارها.

كان التعبيرُ القديم يدورُ حول الأمة وحفظ الديار قبل تشكُّل
الدولة الوطنية بصورتها المعاصرة، ثم اكتسب هذا المعنى حضوراً
سياسياً واضحاً مع ظهور الحدود والدول الحديثة في القرنين
التاسع عشر والعشرين.

واستمرَّ مشايخُ الطريقة وأساتذتها في سيرتهم التي ورثوها
روحياً عن حضرة الرسول الأعظم ﷺ حاملين لأمانة التربية وزرع
العقيدة العملية في الوطن.

المحور الأساسي عندهم في هذا الأمر يرتكز على أنَّ تزكية
النفس مرتبطة بحمل المسؤولية الشخصية تجاه الأرض والناس.

لقد توارثنا في الطريقة الكسنزانية أنَّ الشيخ الحاضر ينهضُ
بمهمة إرشاد مريديه إلى حفظ العهد مع الله، وفي الوقت نفسه
يربِّيهم كذلك على حفظ عهد المجتمع الذي يعيشون فيه؛ فالوطنُ
لدينا نحن الكسنزانة أمانة، أمانة الله تعالى ورسوله وآل بيته
عليهم الصلاة والسلام أجمعين في أعناقنا. وأنَّ الوفاء وأداء هذه
الأمانة يتمثل في الإصلاح وإغاثة الناس، وحراسة الكرامة، ومقاومة
الظلم والعدوان والفساد.

من هنا، فكلّما تأملنا في قولِ حضرةِ السلطانِ الخليفةِ محمدِ المحمّدِ الكسنزان (قُدرت أسرارُه المباركة): "وطنكم العراق وطنُ الكلِّ، يجبُ على الكلِّ أن يخدمَ العراق، "حبُّ الوطنِ من الإيمان"، هذا الحبُّ جزءٌ من إيماننا، من عقيدتنا". يتكشفُ لنا أكثرُ فأكثرَ ما تحمله هذه الكلماتُ في داخلها من تكليفٍ وواجبٍ علينا التكاتفُ لأدائه معاً، يداً بيد.

كلماتُ حضرةِ السلطانِ (قُدرت سيره) تخاطبُ المريدَ في موضعِ إيمانه؛ أي قلبه، فتضعُ الوطنَ في المساحةِ نفسها التي تتشكّلُ فيها النيةُ، وتتعدّدُ فيها المسؤوليةُ، ويوزنُ فيها العملُ أمامَ الله تعالى بالصدقِ والإخلاصِ والمحبة.

لهذا كانَ لا بدَّ من أن نكونَ صرحاءَ في الإجابةِ عن تساؤلاتٍ قد تراوَدُ البعضَ بهذا الخصوصِ ومنها: ماذا يعني أن يكونَ حبُّ الوطنِ جزءاً غيرَ متجزئٍ من عقيدةِ المريدِ في الطريقةِ الكسنزانية؟ وكيف تتحوّلُ محبةُ الأرضِ التي نعيشُ عليها من شعورٍ يسكنُ القلبَ إلى عملٍ يتركُ أثره في حياةِ الناس؟ وكيف يستطيعُ المريدُ أن يجمعَ بينَ خلوته معَ الله وحضوره في مجتمعه، وبينَ أوراده اليوميةِ ومسؤوليتهِ تجاهَ وطنه؟

وفقاً لذلك جاءتْ فصولُ هذا الكتابِ لتناقشَ علاقةَ حبِّ الوطنِ بالإيمانِ، ومسؤوليةَ اتخاذِ الموقفِ في القضايا الوطنية، ودورِ الإرشادِ في إصلاحِ الفردِ والمُجتمعِ.

كما أنَّ القراءةَ ركزتُ على معنى الدروشةِ في العقيدةِ الكسنزانية؛ فهي صفاءٌ في القلبِ، وأخلاقٌ في التعاملِ، وحضورٌ

نافعٌ في الحياة، سيراً على طريق ﴿خيرُ الناس من نفع الناس﴾⁽¹⁾.
الأمر الذي يقود بالضرورة إلى أن الدرويش الذي يحمل ذكر الله
في قلبه، يحمل معه رحمةً للناس، وحرصاً على مصالحهم،
واستعداداً للعمل من أجل مستقبل أبنائهم.
أكثر من ذلك فإن مقولة حضرة السلطان (قدس سره):
”الرجل رجل الدنيا والآخرة“.

تفتح باباً واسعاً لفهم شخصية المريد الكسنزاني بحق. فرجل
الدنيا والآخرة يعرف أن بناء النفس وبناء الوطن يسيران معاً، وأن
العلم والعمل والعبادة والمشاركة العامة تتكامل في تكوين
الإنسان الصالح. فهو في حالة تعميره للدنيا، يطلب الآخرة بقلبه،
فيجعل من سعيه اليومي جسراً يصل حياته الحاضرة بمصيره
عند الله تعالى.

انطلاقاً من هذا المبدأ انتقل الكتاب إلى مقومات الهوية الوطنية،
فالوطنية تظهر في الانتماء الصادق، وفي تقديم الكفاءة، وفي
احترام القانون، وفي المشاركة في الشأن العام، وفي الدفاع عن
الوطن ومقدراته. وهذه المعاني تمس حياة كل إنسان؛ لأنها تظهر
في قراراته اليومية، وفي موقفه من الفساد والمحسوبية، وفي
اختياره لمن يأتمنه على مصالح الناس، وفي طريقة تعامله مع
أبناء وطنه على اختلاف انتماءاتهم.

العراق الذي نتحدث عنه نحن مع حضرة السلطان (قدس سره)،
بلسانٍ موحدٍ هو «وطن الكل» حرفياً لا شكلياً.

نعم، لا تزال بعض الأوطان، ومنها العراق، منهك من الفساد

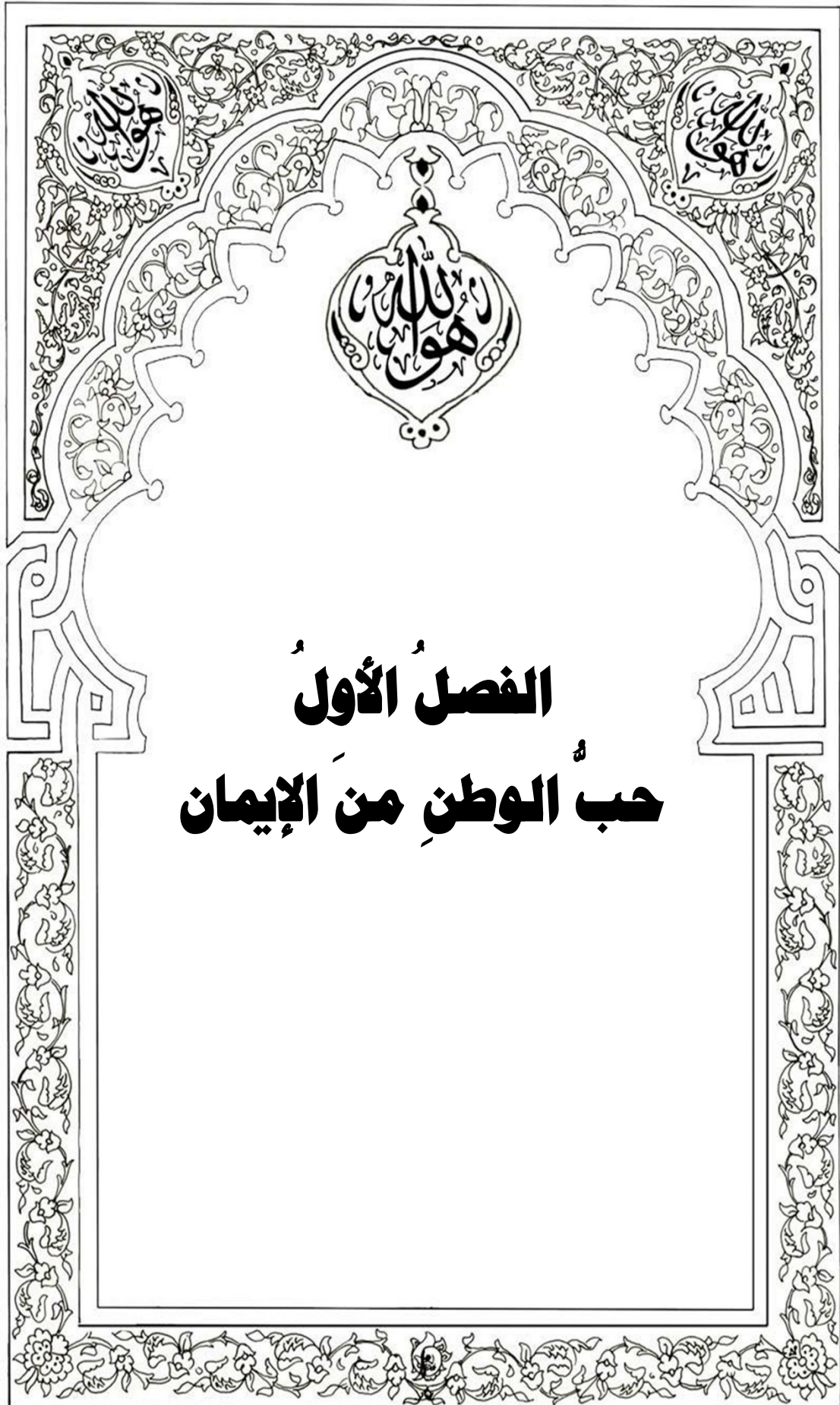
1 - أبو حيان التوحيدي، علي بن محمد بن العباس، البصائر والذخائر، المحقق: د. وداد القاضي، دار
صادر، بيروت، ط1، 1988 م، ج9 ص149.

والصراعات، ومن المحاصصة البغيضة والانقسامات. وهذا يعني أنَّ مسؤولية الإرشاد لإعادة إعمار القلوب، وإشاعة روح العمل الصالح ليكون طريقاً لترميم ما أصاب المجتمع، هي مهمتنا الرسالية التي علينا جميعاً أن نتكاتف ونتآزر للنهوض بها، طاعةً لله تعالى ولرسوله ﷺ ولأئمة أهل البيت ومشايخنا الكرام (عليهم الصلاة وأتم السلام).

سُطرت هذه الصفحات لتستحضر أنَّ الوطن يحتاج إلى الإنسان الصالح بقدر حاجته إلى القوانين والمؤسسات، وأنَّ صلاح الإنسان يبدأ من قلب يعرف معنى الأمانة. وهذا هو العطاء الذي تستطيع الطريقة الكسنزانية أن تقدمه لوطنها: مريدٌ يذكر الله، ويحبُّ الناس، ويحترم القانون، ويؤدي عمله بإخلاص، ويشارك في الإصلاح، ويحمل العراق في قلبه مسؤوليةً ومحبةً ودعاءً.

أرجو أن يساعد هذا الكتاب في رؤية العلاقة بين الطريقة والوطن، بصورة أقرب إلى روح العقيدة الكسنزانية، وأن يفتح أمام المريد معنىً أوسع للسلوك، فيرى في خدمة وطنه امتداداً لبيعته، وفي إصلاح المجتمع ثمرةً لذكره، وفي الوقوف مع الحق وفاءً لطريقته. فعندما يصلح القلب، تستقيم اليد التي تعمل، والكلمة التي ترشد، والخطوة التي تتجه نحو الناس. ومن اجتماع هذه المعاني يولد رجلٌ الدنيا والآخرة الذي أرادَه حضرة السلطان الخليفة محمد الكسنزان (قُدس سره)، مؤمناً لله في نيته، ولوطنه في خدمته، وللناس في محبته.

وصلى الله تعالى على سيدنا محمدٍ
الوصفي والوحي والرسالة والحكمة وعلى آله وصحبه وسلم
تسليماً.



العلاقة بين الوطن والإيمان

كثيراً ما كان حضرة السلطان محمد المٌحمّد الكسنزان (قُدت أسرارهُ المباركة) يردّد في مجالس الوعظ والإرشاد: "حافظ على وطنك: "حبّ الوطن من الإيمان"⁽¹⁾، حبّ الوطن جزءٌ من إيمانك".

والسؤال الذي قد يُطرح هنا: ما علاقة حبّ الوطن بالإيمان؟ المعروف عقائدياً، أنّ الإيمان قضيةٌ قلبيةٌ تربط العبدَ بربه بصورة شخصية، فما علاقة ذلك بالوطن وحبّه

في الحقيقة، البعد الذي يوجّه فيه حضرة السلطان (قُدت سيره) أنظارنا إليه يتمحور حول المضمون القائل: أنّ الوطن محلّ التقرب إلى الله تعالى، هو محلّ لقاء أحبّ الله عزّ اسمه وتقدّس، وأكثر من ذلك هو محلّ إقامة مُراد الله تعالى في أرضه. فالأرض مسرحُ الاستخلاف الإلهي والاستعمار البشري والتكليف الإصلاحي.

لماذا خلق الله تعالى البشر على هذه الأرض؟

بالرجوع إلى البداية التي كشفها لنا التنزيل الحكيم نجد أنّ الله سبحانه وتعالى أراد أن يجعل له خليفةً، أي: أن يكون له ممثلٌ في الأرض، قال تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾⁽²⁾.

وكشف عن سرّ الاستخلاف في الحوار بينه سبحانه وبين الملائكة حيث أشار إلى أنه يوكل إليه مهمة إعمار الأرض بالعلم، وإصلاحها بالقيم، وإقامة مدنية القانون بدلاً من قانون الغاب. لفظة الأرض في الآية الكريمة إشارةٌ إلى الوطن.

1 - اشتهر أن (حب الوطن من الإيمان) نص نبوي، إلا أن كثيراً من علماء الحديث، منهم السخاوي في المقاصد الحسنة، لم يثبتوا لهذه العبارة إسناد. غير أن هذا الحكم في السند لا يمسّ المعنى في شيء، فمعنى العبارة ثابتٌ بدلالة القرآن الكريم والنصوص النبوية الصحيحة المستقلة، وهو ما يسعى هذا الفصل إلى بيانه فيما يأتي من آيات ونصوص.

2 - [البقرة: 30].

لم يخلق الله تعالى هذه الأرض بغير تمهيد، فقد هيأها لخليفته وذلّلها له، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ﴾⁽¹⁾. التذليل هنا، هو تمكين لعِمارة الأرض وإصلاحها، وأداء الأمانة التي حملها الإنسان دون سائر الكائنات. أراد الله تعالى لخليفته أن يكون مُصلحاً لا مُفسداً، قال تعالى ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾⁽²⁾، فلاحظ لفظة (المؤمنين) في آخر الآية الكريمة وارتباطها بأولها المتمثل بالتشديد على الإصلاح.

إذاً، إيمان الناس ليس بمعزلٍ عن واقع الحياة في أوطانهم. أبعد من ذلك وأعَمق، أن مكانة الوطن في الميزان القرآني هي مسألة تمس أصل الحياة والوجود الإنساني نفسه، وليس مجرد انتماء عاطفي ناشئ عن التربية وترديد الشعارات الحماسية.

القرآن الكريم يتعامل مع مسألة (الوطن) بحزمٍ قيمٍ شديدٍ، فقد ساوى بين الخروج من الديار وبين قتل النفس في جَسامة الأمر، قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ﴾⁽³⁾.

هذا التماثل بين الأمرين في شدة الوقع على النفس يكشف عن عمق ارتباط الإنسان بأرضه وداره، وأن الخروج منها ظلماً أو عدواناً أمرٌ عظيمٌ في ميزان الشرع، ولهذا أذن الله تعالى بالدفاع عمن أخرج من داره بغير حق، قال تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ. الَّذِينَ أَخْرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ﴾⁽⁴⁾.

1 - [الملك: 15].

2 - [الأعراف: 85].

3 - [النساء: 66].

4 - [الحج: 39-40].

الأرض أرض الله، أي الوطن وطن الله، وكلما أصلحنا فيها،
اقتربنا من مراد الله الذي أرادته في هذا الوطن.

ولما كان الجزاء من جنس العمل، كما يؤكد القرآن الكريم:
﴿لِيَجْزِيََهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ
مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾⁽¹⁾، فأنت بقدر سعيك لتحقيق مراد الله
تعالى، تنال مرادك الخاص منه سبحانه.

يقول حضرة السلطان (قدس سره): "من كان لله، كان الله له".

اذكره يذكرك، قال تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾⁽²⁾.

انسه ينسك، قال تعالى: ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾⁽³⁾.

أرد له، يرد لك.

معنى ذلك أن سعيك له هو في حقيقته سعي لنفسك، قال
تعالى: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ
ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءُ الْأَوْفَىٰ﴾⁽⁴⁾.



1 - [النور: 38].

2 - [البقرة: 152].

3 - [التوبة: 67].

4 - [النجم: 39-41].

شواهدُ الوطنِ في القرآنِ الكريمِ

الشواهدُ القرآنيَّةُ على محبةِ الوطنِ عديدةٌ، ومنها:

دعاءُ أبي الأنبياءِ إبراهيمَ عليه السلام لوطنه، جاء في الآيتين الكريمتين :
﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾⁽¹⁾.

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾⁽²⁾.

أَسْكَنَ نَبِيُّ اللَّهِ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام فِي وَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ، ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ﴾⁽³⁾، ومع ذلك توجَّهَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى بِالدَّعَاءِ لوطنه الجديد، فِي نصين:
الأولُ: ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا﴾⁽⁴⁾.

والثاني: ﴿وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾⁽⁵⁾، أي ارزق سكانَ هذا البلد.

دعا بالأمنِ أولاً، وبالرزقِ والعمرانِ ثانياً، فجمعَ في دعائه بينَ (الأمنِ) الذي هو شرطُ الوجودِ، و(الرزقِ) الذي هو شرطُ الحياةِ واستمرارها، وهذا هو عينُ ما تسعى إليه أيُّ أمةٍ لوطنها في كلِّ زمانٍ. قصةُ نبيِّ اللَّهِ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام فيها العديدُ من الإشاراتِ المضمرة، التي تربطُ بينَ (الوطنِ والإيمانِ) ومنها في الآيةِ الكريمةِ على لسانه: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾⁽⁶⁾، فالملحوظُ هنا، هو الربطُ بين محلِّ السكنِ (الوطن) وبين البيتِ المحرمِ لإقامةِ الصلاةِ، أي إقامةِ أعمالِ (الإيمان).

1 - [إبراهيم: 35].

2 - [البقرة: 126].

3 - [إبراهيم: 37].

4 - [إبراهيم: 35].

5 - [إبراهيم: 37].

6 - [إبراهيم: 37].

بمعنى، أَنَّهُ دَعَا لوطنِهِ الجَدِيدَ، بِسَبَبِ أَنَّهُ مَحَلُّ إِقَامَةِ شَعَائِرِهِ الدِّينِيَّةِ، وَزِيَادَةِ إِيمَانِهِ وَقُرْبِهِ مِنْ رَبِّهِ، وَكَلِمَا أَزْدَادَ الْوَطَنِ أَمْنًا وَرِزْقًا كَانَ ذَلِكَ أَدْعَى لِسَلَامَةِ الدِّينِ وَإِقَامَةِ الشَّعَائِرِ وَالتَّزَوُّدِ مِنَ التَّقْوَى.

العلاقةُ هنا كما يتضحُ هي تلازميةٌ بينَ (حبِّ الوطنِ والإيمان). لدينا شاهدٌ آخرٌ عن العلاقةِ التلازميةِ بل والتكامليةِ بينَ (الوطنِ والإيمان)، متمثلةٌ في قصةِ نبيِّ اللهِ يوسفَ عليه السلام إذ بعدما استقرَّ به المَقَامُ في مصرَ، وجرى الذي جرى مع زوجِ العزيز، وأُخْرِجَ مِنَ السَّجْنِ، لم يتعاملْ مع ذلك البلدِ وكأنَّهُ أرضٌ عبورٍ أو غربةٍ عارضةٍ، بل تعاملَ معها كوطنٍ يقتضي حمايتهُ من الهلاكِ الاقتصادي، فطلبَ التمكينَ الإداريَ لإنقاذِ الأمة.

قَالَ تَعَالَى حَاكِيًا عَلَى لِسَانِهِ: ﴿قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾⁽¹⁾، فوُظِفَ الْعِلْمَ لِحَفِظِ أَمَانَةِ الْإِسْتِخْلَافِ الَّتِي أَوْكَلْتُ إِلَيْهِ، ذَلِكَ الْعِلْمُ الَّذِي أَنْبَأَ اللَّهُ تَعَالَى مَلَائِكَتَهُ فِي حَوَارِهِ الْأَوَّلِ مَعَهُمْ قَائِلًا لَهُمْ: ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ . وَعَلَّمَ آدَمَ﴾⁽²⁾.

بِالْعِلْمِ وَالْعَمَلِ الْجَادِ نَجَحَ نَبِيُّ اللَّهِ يَوْسُفَ نَجَاحًا مُنْقَطِعَ النَّظِيرِ فِي إِنْقَازِ وَطْنِهِ، ثُمَّ تَوَجَّ ذَلِكَ الْإِتِمَاعُ الْوَطَنِيَّ وَالْإِنْدِمَاجَ الْحَضَارِيَّ بِدَعَائِهِ الشَّاكِرِ الْمُبَارِكِ: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ...﴾⁽³⁾. إِنَّ كَلِمَةَ «الْأَرْضِ» فِي الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ هُنَا تُشِيرُ بِوُضُوحٍ إِلَى (الوطن).

بِتَعْبِيرٍ آخَرَ: إِنَّ تَعَامُلَ نَبِيِّ اللَّهِ يَوْسُفَ عليه السلام بِالْعِلْمِ وَالْعَمَلِ وَالِدَعَاءِ هُوَ بَرَهَانٌ عَلَى أَنَّ الْإِتِمَاعَ لِلْوَطَنِ لَا يَقِفُ عِنْدَ حُدُودِ التَّغْنِيِ بِالتَّرَابِ، أَوْ التَّنَطُّعِ بِالشَّعَارَاتِ، إِنَّمَا بِالْإِضْطِلَاعِ بِمَسْئُولِيَةِ الْإِصْلَاحِ وَالْإِنْقَازِ،

1 - [يوسف: 55].

2 - [البقرة: 30-31].

3 - [يوسف: 101].

وقت الأزمات، وهو ما يعكس الصرامة المقاصدية في الحفاظ على بيضة المجتمعات واستقرارها.

شاهدٌ ثالثٌ، أتنا به التنزيل الحكيم، ليعالج مسألة (الوطن) وضرورة التعامل مع مقدراته بالعلم والعمل الصالح، وإلا فسنة الله (القانون الإلهي) قاضيةٌ بهلاك البلاد ومفسديها.

الشاهدُ يتمثلُ في قصةِ نبي الله تعالى هودٍ عليه السلام وقومه عاد، فقد خاطبهم نبيهم مذكراً بنعم الله عليهم في أرضهم وموطنهم، مستنكراً تحويل العمران إلى مجرد ترفٍ مادي عبثي خال من الغاية الأخلاقية المبتغاة فقال: ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ . وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ . وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ . فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا . وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ . أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ . وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ . إِنْ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾⁽¹⁾.

الخطابُ القرآني واضحٌ هنا في النهي عن استخدام (العلم) في صناعة العبث، والتحذير من العاقبة المهلكة لمثل هذا السلوك، لكن الغطرسة الناتجة عن شهوة التملك والسلطة والنفوذ، والعمى في اتباع سنة الآباء، تُعمي وتَصم، ﴿قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَضْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ . إِنْ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ . وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ﴾⁽²⁾، والنتيجة كانت: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾⁽³⁾. مرةً أخرى نلاحظُ لفظة (مؤمنين) في آخر الآيات المتعلقة بالتعامل مع الوطن ومقدراته.

الحقيقة هنا هي أنَّ الخطابَ القرآني تعرضَ لمفهوم (العمران

1 - [الشعراء: 128-135].

2 - [الشعراء: 136-138].

3 - [الشعراء: 139].

الوطني) وكشَفَ عن أَنَّ عاقبةَ التلاعبِ بمقدراتِ الوطن (الريغُ، المصانعُ، المباني الشاهقةُ الارتفاع) وخيمةٌ، بالتالي فإنَّ الخطورةَ تكمنُ في أَنَّ المؤمنين إذا لم يتدخلوا -بطريقةٍ ما- ليصلحوا الأوضاعَ، ويصححوا فلسفةَ العمرانِ، ويصلوها بالقيم الأخلاقيةَ، فإنَّ القضاءَ الإلهي إذا أتى بالهلاكِ فلن يتعدى إلا مَنْ كانَ مِنَ المصلحينَ منهم فقط. والدليلُ: أَنَّ الآياتَ الكريمةَ تأمرُ الأنبياءَ والمصلحينَ من المؤمنين بالخروجِ قبلَ الكارثةِ ﴿فَنَجِّينَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ﴾⁽¹⁾، وفي ذلك إشارةٌ إلى نجاةِ أهلِ الإيمانِ والإصلاحِ وعدمِ شمولهم بالبلاءِ حينَ يعمُّ المفسدينَ وغيرَ المصلحينَ. بكلماتٍ أخرى: الإصلاحُ مسؤوليَّةٌ دينيَّةٌ وقانونيَّةٌ، فهو بمثابة (فرض عين) لا (فرض كفاية).

حبُّ الوطنِ إذاً مقامٌ نبويٌّ أصيلٌ، وليس طارئاً على مقاماتِ الأنبياء، وهو ما نجدُ ظهوره وحضوره في سيرة الخاتم سيدنا محمدٍ ﷺ بوضوح جليٍّ لا لبس فيه، ومما جاء في ذلك: ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾⁽²⁾.

إنَّ رضا حضرة النبي محمدٍ ﷺ هنا كان متجهاً نحوَ مركزيتهِ الوطنيَّةِ والروحيةِ الأولى. وفي هذا إشارةٌ إلى أَنَّ الجانبَ الروحيَ بل الدينُ يدعمُ الفطرةَ التي تشدُّ الإنسانَ إلى منزلهِ الأولِ وموطنهِ الأصلي، بل يُزكي هذا الحنينَ ويجعلُ منه مركزاً لتوجهِ الأمةِ بأسرها. كان بالإمكانِ اتخاذُ وطنٍ جديدٍ، وقبلهٍ جديدةٍ في المدينة، وكان بالإمكانِ بناؤها واكتسابها القداسةَ الروحيةَ الكاملةَ المستحقةَ، لكن التربيةَ القرآنيَّةَ توجهت إلى ترسيخِ مبدأ التلازمِ بينَ (الوطنِ

1 - [الشعراء: 170].

2 - [البقرة: 144].

والإيمان) فالقبلة مركز الإيمان، ومحلها الوطن الذي نشأ فيه النبي ﷺ وصحبه، وهذا الاعتبار من القوة بحيث تنزل المولاة الإلهية لتحقيق ما يُرضي النبي ﷺ في هذا الشأن.

وفي شاهدٍ محمديٍّ ثانٍ، عندما أُخرج النبي ﷺ من مكة مهاجراً، التفت إليها وحزن، فنزل عليه وحيٌ سماويٌّ يثبتُ فؤاده بناموسٍ كونيٍّ: إِنَّ الذي فرَضَ عليكَ هذا المنهجَ سيردّكَ إلى موطنك الأول، وجاء ذلك في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ﴾⁽¹⁾. ذكرَ عددٌ من المفسرينَ والمحققين، مثل مقاتل بن سليمان: أنه ﷺ حينَ خرجَ من الغار، سارَ في غيرِ الطريقِ مخافةَ الطلب، فلما أَمِنَ رجعَ إلى الطريقِ ونزلَ بالجحفةِ بين مكةَ والمدينةَ، وعرفَ الطريقَ إلى مكةَ واشتاقَ إليها وذكرَ مولدهُ ومولدَ أبيه، فنزلَ جبريلُ عليه السلامُ وقال: "تشتاقُ إلى بلدك ومولدك"، فقال ﷺ: ﴿نعم﴾، فقال جبريلُ عليه السلامُ: "إِنَّ اللَّهَ تعالى يقولُ: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ...﴾"⁽²⁾ يعني إلى مكةَ ظاهراً عليهم. وقد عَقَّبَ الإمامُ فخر الدين الرازي على ذلك في تفسيره الكبيرِ قائلاً: وهذا أقربُ؛ لأنَّ ظاهرَ المعادِ أنه كان فيه وفارقه وحصلَ العودُ، وذلك لا يليقُ إلا بمكة⁽³⁾.

الآيةُ الكريمةُ تبدأ بفرضية القرآن (التكليفُ الإلهيُّ الأعلى)، وتنتهي بحتمية الردِّ إلى الوطن. هذا الدمجُ يبرهنُ على أنَّ العودةَ إلى الوطنِ والحفاظِ على حياضه هي جزءٌ لا يتجزأ من غاياتِ التشريعِ ومقاصده، وليس مجردَ نزوعٍ عاطفيٍّ عابرٍ

1 - [القصص: 85].

2 - [القصص: 85].

3 - من المفسرين من حمل لفظ معاد على معانٍ أخرى، كيوم القيامة، أو الموت، أو الجنة، فالآية تحتل عندهم أكثر من وجه، غير أن القول بأن المراد مكة أشهر الأقوال في هذه الآية.

انظر: الإمام فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، دار إحياء التراث العربي - بيروت،

ط3، 1420 هـ، ج25 ص19.

شواهدُ الوطن في السيرة النبوية

أما الشواهدُ النبويةُ المباركةُ على حُبِّ الوطنِ وعلاقةِ هذا الحُبِّ بالإيمانِ فكثيرةٌ، وجميعها تكشفُ أنَّ سيدنا محمدٍ ﷺ، وهو أكرمُ الخلقِ على اللهِ تعالى، لم يكنْ حبهُ لوطنه أَمراً هامشياً في سيرتهِ العطرة، بل هو حالٌّ ظاهرٌ تكررَ في أكثرِ من موقفٍ، ومنها:

لما اضطرَّ ﷺ -ولحكمةٍ إلهيةٍ- إلى الخروجِ من مكةَ مهاجراً، وقَفَ في سوقِ (الحزرة) ⁽¹⁾ بمكةَ قائلاً: ﴿وَاللَّهِ إِنَّكَ لَخَيْرُ أَرْضِ اللَّهِ، وَأَحَبُّ أَرْضِ اللَّهِ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَلَوْلَا أَنِي أَخْرَجْتُ مِنْكَ مَا خَرَجْتُ﴾ ⁽²⁾.

هذا النصُّ الشريفُ يُظهرُ أنَّ حُبَّ الوطنِ لا يتعارضُ معَ مقامِ النبوةِ، وأنَّ مفارقةَ الوطنِ، ولو كانتْ في سبيلِ اللهِ تعالى، تبقى أَمراً ثقیلاً على النفسِ حتى في أعلى المقاماتِ.

وقد كانَ الصحابةُ الكرامُ يجمعونَ بينَ الوعي والشعورِ بأهميةِ الوطنِ لنبيهم ﷺ ولأنفسهم، بدليلِ أنه لما اشتدَّ المرضُ بهم في المدينة المنورة، ظهرَ الحنينُ إلى الوطنِ الأولِ جلياً فيهمُ قبلَ النبي ﷺ نفسه، فقد روتُ السيدةُ عائشةُ (رضي الله عنها): أنَّ أبا بكرٍ كانَ إذا أخذتهُ الحمى أنشدَ شعراً في ذكرِ أهلِهِ، وأنَّ بلالاً كانَ إذا أفاقَ من الحمى رفعَ صوتهُ حنيناً إلى واديها وجبالها ومياهاها. ولما ذهبتِ السيدةُ عائشةُ (رضي الله عنها) وأخبرتْ حضرةَ النبي ﷺ، توجهَ حضرتهُ ﷺ بالدعاء قائلاً: ﴿اللهم حبِّبْ إلينا المدينةَ كحبِّنا مكةَ أو أشدَّ﴾ ⁽³⁾.

-
- 1 - حزورة: اسم سوق في الجاهلية، وعندما وسعت ساحة المسجد الحرام ضمت أرض هذه السوق إلى المسجد الحرام، ولما بنيت مئذنة باب الوداع على ساحة هذه السوق فقبل للباب الذي كان متصلاً بالمئذنة باب حزورة. انظر: موسوعة مرآة الحرمين الشريفين وجزيرة العرب، صنفها باللغة التركية العثمانية: أيوب صبري، ترجمة: د ماجدة مخلوف وآخرون، ط1، 2004م، ج2 ص752.
 - 2 - الإمام أحمد بن حنبل، مسند أحمد، المحقق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط1، 2001م، حديث رقم [18718]، ج31 ص14.
 - 3 - محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، المحقق: د. مصطفى ديب البغا الناشر: (دار ابن كثير، دار اليمامة) - دمشق، ط5، 1993م، حديث رقم [1790]، ج2 ص667.

إِنَّ حَنِينَ الصَّحَابَةِ إِلَى وَطَنِهِمُ الْأَوَّلِ لَمْ يَكُنْ أَمْرًا يَخْفَى أَوْ يُسْتَحْيَا مِنْهُ، هُوَ حَنِينٌ طَبِيعِيٌّ عُولَجَ بِالدَّعَاءِ لَا بِاللُّوْمِ، وَهَذَا فِي ذَاتِهِ دَرْسٌ فِي التَّعَامُلِ مَعَ مَحَبَّةِ الْوَطَنِ الْأَوَّلِ عِنْدَ الْإِتِّقَالِ إِلَى وَطَنِ جَدِيدٍ.

وَمِنَ الْمَرْوِيَّاتِ الْمَشْهُورَةِ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم كَانَ إِذَا قَدَّمَ مِنْ سَفَرٍ فَنَظَرَ إِلَى جُدْرَاتِ الْمَدِينَةِ أَوْضَعَ ⁽¹⁾ رَاحِلَتَهُ ⁽²⁾، وَإِنْ كَانَ عَلَى دَابَّةٍ حَرَّكَهَا ⁽³⁾ مِنْ حُبِّهَا ⁽⁴⁾.



إِنَّمَا إِذْ تَتَدَبَّرُ هَذِهِ الشَّوَاهِدَ أَوْ الْمَوَاقِفَ مَجْتَمَعَةً، وَهِيَ: دَعَاءُ إِبْرَاهِيمَ لِمَكَّةَ، وَمِفَارِقَةُ النَّبِيِّ لِمَكَّةَ، وَوَعْدُ اللَّهِ لَهُ بِالْعُودَةِ إِلَيْهَا، وَحَنِينُ أَبِي بَكْرٍ وَبِلَالٍ إِلَى وَطَنَيْهِمَا الْأَوَّلِ، وَدَعَاءُ النَّبِيِّ بِحُبِّ وَطَنِهِ الْجَدِيدِ، وَشَوْقُهُ إِلَيْهِ عِنْدَ الْعُودَةِ مِنَ السَّفَرِ، تَتَجَلَّى حَقِيقَةً وَاحِدَةً، هِيَ أَنَّ حُبَّ الْوَطَنِ غَرِيزَةٌ مَشْرُوعَةٌ زَكَاها الْوَحْيُ، وَأَنَّ الْأَنْبِيَاءَ جَمِيعًا لَا وَاحِدٌ مِنْهُمْ، رَفَعُوا هَذِهِ الْغَرِيزَةَ مِنْ مَجَرَّدِ عَاطِفَةٍ إِلَى مَقَامٍ يَسْتَحِقُّ الدَّعَاءَ وَالتَّوَجُّعَ إِلَى اللَّهِ فِيهِ.

خِدْمَةُ الْوَطَنِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ خِدْمَةٌ لِلنَّفْسِ قَبْلَ أَنْ تَكُونَ خِدْمَةً لِغَيْرِهَا، وَهَذِهِ الْخِدْمَةُ سَبِيلٌ يَقْرُبُ صَاحِبَهُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى، لَا تَعْلُقًا بِالزَّائِلِ الَّذِي لَيْسَ مِنْ وَرَائِهِ طَائِلٌ.

نَحْنُ كَأَهْلِ طَرِيقَةٍ، بِالنَّسَبَةِ لَنَا، اللَّهُ تَعَالَى حَاضِرٌ فِي الْقَلْبِ قَبْلَ كُلِّ كَلِمَةٍ تُقَالُ، أَوْ حَرَكَةٍ تُتَحَرَّكُ، أَوْ خُطْوَةٍ تُخْطَى فِي الْوَطَنِ، بِالتَّالِي الْوَطَنُ سَبِيلٌ مِنْ سَبِيلٍ تَقْرُبُنَا إِلَى نُورِهِ الْأَعْلَى جَلَّ جَلَالُهُ.

لِذَا أَقُولُ: الْوَطَنُ أَمَانَةُ اللَّهِ فِي أَعْنَاقِكُمْ، فِي أَعْنَاقِ أُنْبَاءِهِ، وَحَفْظُ الْأَمَانَةِ جَزْءٌ لَا يَتَجَزَأُ مِنَ الْإِيمَانِ عِنْدَنَا.

1 - أَوْضَعُ: الْإِيضَاعُ هُوَ الْإِسْرَاعُ.

2 - رَاحِلَتُهُ: (الرَّاحِلَةُ مِنَ الْإِبِلِ) الْبَعِيرُ الْقَوِيُّ عَلَى الْأَسْفَارِ وَالْأَحْمَالِ.

3 - حَرَّكَهَا: أَيَّ جَعَلَهَا تَسْرِعُ بِالْحَرَكَةِ لِيَصِلَ.

4 - صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ، مُصَدَّرٌ سَابِقٌ، حَدِيثٌ رَقْمُ [1897]، ج 3 ص 66.

الدروشةُ وحبُّ الوطن

الدروشةُ مصطلحٌ صوفي قديمٌ يرادُّ به الإشارةُ إلى حالةٍ من السموِّ الروحي تقومُ على التواضعِ التامِ والانكسارِ بينَ يدي الله، والمواظبةِ على ذكره ومحبه، معَ الالتزامِ الكاملِ بمسؤولياتِ الحياة والعمل؛ فهي طهارةٌ في الباطنِ وإيجابيةٌ في الظاهرِ.

استخدمَ حضرةُ السلطانِ محمدُ المحمدي الكسنزان (قُدس سِرهِ) هذا المصطلحَ في التعبيرِ عن العلاقةِ بينَ (الوطنِ والإيمانِ) فقال (قُدست أسرارهُ المباركةُ) مقولتين متتامتين:

المقولةُ الأولى: "الدروشةُ عندنا الإيمانُ والحضورُ".

والمقولةُ الثانيةُ: "الدروشةُ تعني خدمةَ الوطنِ والمجتمعِ".

تُعربُ هاتان المقولتان عن كونهما وجهين لحقيقةٍ واحدة، فمن خدمَ الوطنَ بالإعمارِ أو الدفاعِ عنه، أو بتقديم الخدماتِ العامةِ طلباً للمالِ أو المكانةِ أو السلطةِ الدنيويةِ فقط، فدروشتُهُ منقوصةٌ، وأجرُهُ دنيويٌّ منقطعٌ.

أما مَنْ ابتغى بخدمةِ الوطنِ والمجتمعِ وجهَ اللهِ تعالى، كان جزاؤه من جنسِ عمله، فلهُ السمعةُ والمكانةُ في الدنيا، ولهُ الأجرُ الدائمُ الباقي في الآخرة، ذلك أنَّ وجهَ اللهِ تعالى الذي عَمِلَ في سبيله باقٍ لا يزولُ، قالَ تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾⁽¹⁾.

جاءَ في النصِّ النبوي الشريفِ: ﴿إنما الأعمالُ بالنياتِ، وإنما لكل امرئٍ ما نوى، فمن كانت هجرتهُ إلى دُنْيَا يُصِيبُهَا، أو إلى امرأةٍ يَنْكِحُهَا، فهجرتهُ إلى ما هاجر إليه﴾⁽²⁾.

هذا النصُّ الشريفُ، وإنْ وردَ أصلاً في سياقِ الهجرةِ إلى المدينة،

1 - [الرحمن: 26-27].

2 - صحيح البخاري، مصدر سابق، المقدمة، ص5.

فإنه يحمل قاعدةً عامةً تنسحبُ على كلِّ عملٍ يقومُ به المريدُ في وطنه، فخدمةُ الوطنِ نفسها تحتلُّ نيتين، نيةً طلبِ الدنيا وحدها، ونيةً طلبِ وجهِ الله من خلالِ الدنيا، والفارقُ بين النيتين هو الفارقُ بين عملٍ يذهبُ أثره بذهابِ صاحبه أو الدنيا، وعملٍ يبقى أثره في صحيفته إلى يوم يلقى فيه الربَّ الأعلى.

لكلِّ ما تقدّمَ نقولُ:

الطريقةُ لا تتمُّ إلا بحبِّ الوطن، وحبُّ الوطن لا يتحقّقُ إلا بالمشاركةِ الفعليةِ الإيجابيةِ في إصلاحِ الواقعِ الاجتماعي والسياسي، وفق البرنامجِ الذي يُقرره أستاذُ الطريقةِ الحاضرُ في كلِّ زمان.

من أحبَّ أحداً أحبَّ ما أحبه

تملكُ المحبةُ الصادقةُ طبيعةً ممتدةً؛ فهي تبدأ من شخصٍ محبوبٍ، ثم تسري إلى ما يتصلُّ به، وإلى الأشخاص الذين قَرَّبهم، والأماكن التي احتضنت سيرته، والمعاني التي عاش لها، والقضايا التي حملها في قلبه.

لهذا المبدأ أصلٌ نبويٌّ راسخٌ، يكشفُ عن قدرةِ المحبةِ على إنشاءِ رابطةٍ تتجاوزُ اللقاءَ المباشرَ والمصلحةَ العارضة. فقد قال النبي ﷺ: ﴿المرءُ مع مَنْ أَحَبَّ﴾⁽¹⁾. فالمحبةُ هنا قوةٌ جمع وإلحاقٍ وانتماءٍ؛ تضعُ الإنسانَ في الجهة التي اختارها قلبه، وتربطه بمن أحبهم، وتفتحُ له بابَ الاقتداء بهم والتخلي بأخلاقهم والسير في طريقهم.

لقد فرحَ الصحابةُ (رضوانُ الله تعالى عنهم) بهذا الحديثِ فرحاً

1 - ابن أبي شيبه، مصنف ابن أبي شيبه، المحقق: سعد بن ناصر الشثري، دار كنوز إشبيلية للنشر والتوزيع، الرياض - السعودية، ط1، 2015 م، حديث رقم [40349]، ج21 ص367.

عظيماً؛ لأنهم أدركوا أنَّ المحبة الصادقة تحمل صاحبها إلى دائرة محبوبه، وتمنحه نصيباً من صحبتِه الروحية، وتوجّه حياته نحو ما كان محبوبه يرضاه ويختاره.

ويظهر انتقال المحبة بصورة أوضح في موقفِ حضرة النبي ﷺ من الأنصار؛ فقد جعل حبهم علامة دالة على الإيمان، فقال: ﴿آية الإيمان حبُّ الأنصار، وآية النفاق بغضُّ الأنصار﴾⁽¹⁾.

جاءت هذه المنزلة ثمرة لما صنعه الأنصار مع رسولِ الله ﷺ؛ آووه حين اشتدَّ عليه الأذى، ونصروه حين قلَّ الناصر، وفتحوا له بيوتهم ومدينتهم وقلوبهم، وحملوا معه أعباء الرسالة، وجعلوا من مدينتهم، وطناً للدعوة، ومجالاً لقيام المجتمع الإسلامي الأول. فارتبط حُبُّهم بحبِّ النبي ﷺ؛ كيف لا وقد صاروا جزءاً من سيرته، وشهوداً على نصرته، وحملةً لأثره في الأرض.

وجاء في الرواية أيضاً قوله ﷺ: ﴿الأنصار لا يحبهم إلا مؤمن، ولا يبغضهم إلا منافق، فمن أحبهم أحبَّه الله، ومن أبغضهم أبغضه الله﴾⁽²⁾. هذه الرواية بيّنت أنَّ المحبة قد تتقلُّ من حضرة النبي ﷺ إلى الذين أحبَّهم وقرَّبهم وأثنى على مواقفهم؛ فصار حُبُّ الأنصار تعبيراً عن الوفاء للرسول ﷺ، وتقديراً لمن وقفوا معه، وإجلالاً للقلوب التي آوته وللأيدي التي نصرته.

بهذا تدخل محبة الأشخاص في نسيج الإيمان حين تتصل بمعنى نبويٍّ وقيمة رسالية وموقفٍ من مواقف النصرة والوفاء. إنَّ هذه الرواية تُسلط الضوء على قاعدة وجدانية عميقة: المُحب يتلقى من محبوبه خارطة طريق المحبة نفسها.

1 - مسند الإمام أحمد بن حنبل، مصدر سابق، حديث رقم [12317]، ج 19 ص 326.

2 - أبو داود الطيالسي، مسند أبي داود الطيالسي المحقق: الدكتور محمد بن عبد المحسن التركي، دار

هجر - مصر، ط 1، 1999 م، حديث رقم [764]، ج 2 ص 97.

فما يكرمه المحبوبُ يكتسبُ مكانةً في قلبِ محبه، وما يرهأه يصبحُ جديرأً بالرعاية، وما يحمله من قضايا يتحولُ إلى أمانةٍ عند من أتبعه. وهكذا تتنقلُ المحبةُ من كونها شعوراً داخليأً إلى رابطةٍ أخلاقيةٍ تصوغُ المواقفَ والاختياراتَ، وتجعلُ المحبَّ شريكاً في حفظِ ما كان محبوبه يحفظه، وخدمةٍ ما كان يخدمه، وإكرامٍ ما كان يكرمه.

شاهدٌ بليغٌ على ذلك، نُقلَ أن حضرةَ النبي ﷺ قال: ﴿من أحبَّ الأنصارَ فحبي أحبَّهم، ومن أبغضَ الأنصارَ فببغضي أبغضهم﴾⁽¹⁾.

فإذا كان حبُّ الأنصارِ، وهم قومٌ بأعيانهم، يستمدُّ شرعيته ومنزلته من كونهم نصرأوا رسولَ الله ﷺ، فإنَّ حبَّ المريدِ لعراقيته، حين يجدها مُعلنةً على لسانِ شيخه الذي يواليه ويُجلُّه بل ويفنى في محبته وطاعته، يجري في الأصلِ الروحي نفسه، فهو لا يحبُّ هذا الانتماءَ لمجردِ الميلادِ الجغرافي، إنما يحبهُ لأنَّ شيخه الذي يحبه، قد أحبَّ وطنه، واعتزَّ به قبله.

نعم، من هذا الأصلِ النبوي والإنساني يمكنُ فهمُ حبِّ المريدِ لعراقيته حين يجدُ المريدُ العراقَ حاضراً في قلبِ شيخه ولسانه ومشروعه. فالمريدُ يتلقى من شيخه طريقةَ النظرِ إلى الأشياءِ، ويكتسبُ منه ترتيبَ القيمِ ومراتبَ الاهتمام. وحين يرى شيخه يذكرُ العراقَ باعتزازٍ، ويحملُ همَّ شعبه، ويدعو إلى وحدته، ويعملُ لخدمته، تتحولُ العراقيةُ في وجدانه إلى معنى متصلٍ بالمحبةِ الروحيةِ، وتصبحُ العنايةُ بالوطنِ صورةً من صورِ الوفاءِ للشيخ والسيرِ على نهجه.

إنَّ محبةَ المريدِ لشيخه تفتحُ قلبه على ما يحبه الشيخ؛ فيحبُّ الأرضَ التي أحبها، ويكرمُ الشعبَ الذي ينتمي إليه، ويحفظُ التاريخَ

1 - الطبراني، المعجم الكبير، المحقق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية - القاهرة،

ط2، ج19 ص341.

الذي اعتزّ به، ويشعرُ بالمسؤولية تجاه المستقبل الذي سعى إلى بنائه. وبهذا تنتقلُ العراقية من رابطة الميلاد إلى رابطة العهد؛ عهد المحافظة على الوطن، وخدمة أهله، وصيانة وحدته، والإسهام في نهوضه، وحمل صورته الكريمة إلى العالم.

الهوية العراقية في هذا السياق، تجمع الأرض والإنسان والتاريخ والرسالة. فهي دجلة والفرات، وبغداد والموصل والبصرة والنجف والأنبار وأربيل والسليمانية وكركوك، وسائر مدنه وقراه. وهي تنوع أبنائه وأديانهم وقومياتهم وثقافتهم، وهي ذاكرة الحضارات التي تعاقبت على أرضه، وهي الأمانة التي تنتظر من أبنائه عملاً يليق بماضيها ومستقبلها.

حين تدخل هذه الهوية العراقية في دائرة المحبة الروحية والعقيدة الصوفية الكسنزانية، يغدو كلُّ عراقيٍّ موضعَ عناية، وكلُّ ألمٍ يصيب الوطنَ باعثاً على العمل، وكلُّ إنجازٍ يتحقق فيه مصدراً للفرح والشكر. بهذا تُمارسُ العقيدة الصوفية الكسنزانية دورها في تطهير أو تصفية الشعور الوطني من العصبية الضيقة، وتوجهه نحو الرحمة والخدمة وجمع القلوب.

حبُّ الشيخ للعراق يظهرُ في رعاية العراقيين جميعاً، وحفظ كرامتهم، ومدُّ جسور الأخوة بينهم، وإعلاء قيمة الإنسان فيهم. والمريدُ الذي يحمل هذه المحبة يعبرُ عنها بسلوكه؛ فيصدق في عمله، ويحفظ المال العام، ويرعى الضعيف، ويعين المحتاج، ويصلح بين الناس، ويشارك في بناء المؤسسات، ويقدم مصلحة الوطن، ويجعل من أخلاق الطريق طاقةً فاعلةً في المجتمع. راق، فمن باب المثال أو النموذج الأقرب إلى التجربة، ومنه ينفتح الكلام على قاعدة أرحب.

بتعبيرٍ آخر: المقصودُ من مقولاتِ مشايخِ الطريقةِ الكسنزانيةِ في العراقِ هو العالميةُ التعددية: أي أنَّ كلَّ مواطنٍ مدعوٌّ إلى أن يُحِبَّ وطنه، ويصونَ كرامتهُ، ويخدمَ شعبه، ويجعلُ انتماءهُ قوَّةً للخيرِ والإعمارِ، بالطريقةِ نفسها التي يحبُّ بها الشيخُ وطنه.

نعم، شيخُ الطريقةِ الكسنزانيةِ يحملُ هويتهُ العراقيةَ بوضوحٍ ويعتزُّ بها، ولكنهُ يحملُ معها هويةً عربيةً تتصلُّ باللغةِ والتاريخِ والثقافةِ والمصيرِ المشترك.

حينَ يعتزُّ بالعراقِ، فإنَّ اعتزازهُ يوقظُ في كلِّ عربيٍّ شعورهُ بوطنه، أرضَ اللهِ أفقُ المحبةِ

حينَ يتحدثُ حضرةُ السلطانِ الخليفةِ محمدُ المحمدِ الكسنزان (قُدرت أسرارهُ العليةُ)، أو حينَ يتحدثُ شيخُ الطريقةِ الكسنزانيةِ الحاضرِ عن العراقِ بمحبةٍ واعتزازٍ، فإنَّ حديثهُ ينطلقُ من كونهِ موطنهُ الأقربُ في أرضِ اللهِ الواسعةِ، أي الأرضِ التي شهدتْ نشأتهُ، وحملتْ جانباً كبيراً من تاريخِ طريقتهِ، واحتضنتْ أهلهُ ومريديه ومشروعيهِ الروحي والانساني.

لكنَّ العراقَ ليسَ كُلَّ شيءٍ عندَ شيخِ الطريقةِ، العراقُ يمثلُ في خطابهِ الصوفيِ المعاصرِ نقطةَ البدءِ ومركزَ الانطلاقِ.

المحبةُ التي يحملها شيخُ الكسنزانِ في قلبه، لها أولٌ يسمى العراقُ، ولا آخرَ لها، إذ تتسعُ منها دوائرُ المحبةِ حتى تشمُلَ أوطانَ العربِ، وديارَ المسلمين، وتمتدُّ لتشمُلَ أرضَ اللهِ الواسعةِ التي كرمها اللهُ تعالى بجعلِ خليفتهِ فيها ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾⁽¹⁾، فأينما وُجدَ الإنسانُ، أحاطتْ بهِ دائرةُ المحبةِ، وعينُ الرعايةِ والعنايةِ بالنوعِ والكمِّ والكيفِ نفسهِ الذي

يناله الأقرب، وكلُّ يُكْرَمُ بتقواه ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾⁽¹⁾.

إذاً، عندما يذكرُ شيخُ الطريقةِ الهوية الوطنية فإنه يمنح المريد حقَّ الفخرِ بأرضه وشعبه وتراثه. فالعراقيُّ يجدُ صورته في العراق، والمصريُّ يجدها في مصر، والشاميُّ يجدها في الشام، والخليجيُّ يجدها في بلده، والمغربيُّ يجدها في المغرب العربي، واليمنيُّ يجدها في اليمن، وكلُّ عربيٍّ يرى وطنه موضعَ أمانةٍ ومحبةٍ وخدمة. الهوية العربية في هذا الأفق تتكون من تعدد الأوطان وتكاملها. فلكلِّ وطنٍ ذاكرته الخاصة، ولهجته، وعاداته، وتجربته التاريخية، ومكاته في الوجدان العربي.

إنَّ هذا التعددَ يمنحُ الأمة ثراءها، ويجعلُ كلَّ بلدٍ باباً من أبوابها، وكلَّ شعبٍ وجهاً من وجوه حضارتها. ومن يحبُّ العربَ يحملُ في قلبه محبةً لأوطانهم، ويفرحُ لاستقرارها، ويتألمُ لجراحها، ويؤمنُ بأنَّ نهضة أيِّ بلدٍ عربيٍّ تضيفُ قوةً إلى بقية البلاد.

ومن هنا تغدو محبة العراق جسراً إلى محبة العرب جميعاً. فالعراقُ الذي كانَ موطناً للحضارات، ومركزاً للعلم والأدب والتصوف، عاشَ دائماً في تفاعلٍ مع الحجاز والشام ومصر والمغرب واليمن وسائر الأقاليم العربية. وحضارته نفسها ثمرة لقاءات واسعة بين شعوب وثقافات ومدارس فكرية متعددة. ولهذا يحملُ الاعتزاز بالعراق، في جوهره، اعتزازاً بالفضاء الحضاري الذي أسهم العراق في بنائه، وأسهمت بقية الأوطان العربية في إثرائه وحفظه واستمراره.

ثمَّ تتسعُ الدائرة من العروبة إلى الإسلام، فيصبحُ حبُّ شيخ الكسنزان متصلاً بالمسلمين وأوطانهم في مشارق الأرض ومغاربها.

الهوية الإسلامية تجمع شعوباً كثيرة، ولغات متعددة، وثقافات متنوعة، وأوطاناً تمتد من آسيا إلى إفريقيا وأوروبا وما وراءها. وكلُّ وطنٍ من هذه الأوطان يحمل تجربة خاصة في استقبال الإسلام والتعبير عن قيمه وإبداع فنونه وعلومه وروحه.

لذلك، حين يحبُّ الشيخُ (قُدس سره) المسلمين، فإنه يحبُّ لهم الأمن والكرامة والوحدة والازدهار، ويحترم أوطانهم التي يعيشون فيها ويعمرونها ويقيمون فيها شعائرهم ويصنعون مستقبل أبنائهم. فالمریدُ التركيُّ يجدُ في تركيا وطناً يستحق خدمته، والمریدُ الباكستانيُّ يجدُ في باكستان مجال رسالته، والمریدُ الإندونيسيُّ يرى في إندونيسيا أمانته، والمریدُ الإفريقيُّ يعتزُّ ببلده وتاريخه وشعبه، وكلُّ مسلمٍ يحمل مسؤولية الأرض التي نشأ فيها أو أقام عليها.

بهذا المنطق على مریدی الطريقة الكسنزانية في أرض الله الواسعة أن يعوا أن محبة الشيخ للعراق تحمل لكل مریدٍ في وطنه رسالة تتعلق بأوطانهم هم أيضاً. فالمعنى الذي يربط المرید العراقيَّ بأرضه يربط المرید الآخر ببلده. والعهد الذي يدعو العراقيُّ إلى خدمة شعبه يدعو كلَّ مریدٍ إلى خدمة المجتمع الذي يعيش فيه. والوفاء الذي يظهر في الحفاظ على العراق يظهر في الحفاظ على كلِّ وطن، وصيانة أمنه، واحترام قوانينه، والإسهام في خيره، ورعاية وحدته الاجتماعية.

يبلغ هذا المعنى درجةً أوسع حين تنتقل من هوية المسلمين إلى هوية الإنسان. فالوارث الروحيُّ المحمديُّ الذي يتربى على الرحمة المحمدية يحمل في قلبه محبةً للناس أجمعين، لأنَّ الرسالة التي ينتسب إليها جاءت رحمةً للعالمين، وخاطبت الإنسان من حيث كرامته ومسؤوليته ومكانه في الأرض. وقد قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ--﴾⁽¹⁾، فجعل الكرامة أصلاً جامعاً لأبناء الإنسان، وربطها بذات

الإنسان قبل اختلاف ألوانه وألسنته وأديانه وأوطانه.

ومن هذا التكريم تنشأ نظرة روحية ترى أوطان الناس ساحات للحياة والعمل والأمل. فكلُّ وطنٍ يحملُ أحلامَ أهله، وذكرياتهم، وبيوتهم، وقبورَ آبائهم، ومستقبلَ أبنائهم. وكلُّ شعبٍ يجدُ في أرضه جزءاً من هويته وذاكرته ووجوده. ومحبةُ الناسِ تقتضي احترامَ هذه الروابط، وفهمَ عمقها في نفوسهم، ومساندتهم في بناءِ أوطانٍ آمنةٍ عادلةٍ مزدهرةٍ. فالإنسانُ الأمريكيُّ يحبُّ وطنه، والإنسانُ الأوروبيُّ يعتزُّ ببلده، والإفريقيُّ يرتبطُ بأرضه، والآسيويُّ يحملُ ذاكرةَ قومه، وكلُّ واحدٍ منهم يستحقُّ أن يجدَ في خطابه الروحي ما يُعزِّزُ انتماءه الإيجابي، ويجعله أكثرَ نفعاً لمجتمعه، وأشدَّ حرصاً على السلام، وأقربَ إلى خدمةِ الإنسان.

في الطريقةِ الكسنزانية، حينَ يدخلُ شخصٌ من أي وطنٍ في صحبةِ الشيخِ الحاضر، فإنه يدخلُ بهويته وتاريخه وثقافته، ثم تتربى هذه الهوية على الرحمة والصدق والخدمة وحسنِ المعاملة.

وهنا تظهرُ عالميةُ أستاذِ الكسنزان في صورتها الأعمق؛ فهو يستقبلُ الناسَ من أوطانهم، ويعيدهم إلى أوطانهم أكثرَ وعياً بمسؤولياتهم. يمنحهم الطريقُ قلباً أوسع، ثم يدعوهم إلى أن يجعلوا هذا القلبَ مصدرَ خيرٍ لأهلهم ومجتمعاتهم. فالتربيةُ الروحيةُ تثمرُ مواطناً صالحاً، وجاراً رحيماً، وعاملاً أميناً، وصاحبَ رسالةٍ في البيئة التي يعيشُ فيها.

الرسالةُ هنا: عندما يحبُّ المريدُ شيخه الحاضر، فإنه يتعلمُ منه ظاهراً، ويتربى باطناً على كيفية أن يحبَّ أرضه في سبيلِ الله، وكيف يرى وطنه أمانةَ الله، وكيف يحولُ الانتماءَ إلى أخلاقٍ وعملٍ صالحٍ قربةً لله. فحبُّ الوطنِ في هذا المنهج يظهرُ في حفظِ كرامةِ

الناس، ورعاية الضعفاء، وإعانة المحتاجين، وإصلاح ذات البين، واحترام التنوع، ونشر العلم، وإتقان العمل، والمشاركة في بناء المؤسسات... وكل ذلك مرتبط بالله تعالى. والمطلوب من كل مريد أن يترجم هذه القيم بلغته الوطنية وداخل مجتمعه الخاص.

من هذا المنطق يتبين أن التصوف الكسنزاني حاضن لهويات متعددة، يجمعها مقصد واحد. فالمريدون قد يكونون عراقيين وعرباً وكرداً وتركاً وفرساً وأفارقةً وأوروبيين وأمريكيين وآسيويين، وقد ينتمون إلى ثقافات شديدة التنوع، لكن قلوبهم جميعاً تلتقي على المحبة والخدمة. وعلى منح كل واحد منهم قدرة أكبر على محبة وطنه في إطار إنساني واسع، وعلى رؤية الآخرين شركاء في عمارة الأرض.

إن الأصل الأصيل في منهج الطريقة الكسنزانية أن شيخها يحمل في قلبه محبة أرض الله التي استخلف الإنسان فيها، ويقرأ الأوطان بوصفها مياديناً للاستخلاف والعمل الصالح. قائماً بقوله تعالى: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾⁽¹⁾، أي دعاكم إلى عمارتها وإصلاحها وبناء الحياة فيها.

من هنا تتصل الوطنية بالمسؤولية، ويتحول حب الأرض إلى جهد يحفظها، ويصون مواردها، ويرعى أهلها، ويتركها أكثر صلاحاً للأجيال القادمة.

إن المضمون العميق لحمل عقيدة الاستخلاف يتمثل في جعل الإنسان يعيش في وطن محدد، لكنه يشارك في مسؤولية أرض أوسع. يخدم مدينته، ثم يشارك في خير بلده، ثم يفتح على قضايا أمته، ثم يسهم في حماية العالم الذي يجمع البشر جميعاً. وهذه

الدوائر تتكامل داخل القلب الكبير؛ فالمحبة تبدأ من البيت، وتمتد إلى الحي، ثم الوطن، ثم الأمة، ثم الإنسانية، ثم أرض الله كلها.

على هذا الأسايس، يذكرُ حضرة السلطان (قدس سره) العراق لأنه موطنُ تجربته الأقرب، ولأنَّ المسؤولية تبدأ عادةً من المجال الذي يعرفه الإنسان ويعيش تفاصيله. فالعراق هو المثال الحاضر الذي تتجسّد فيه القاعدة، ثم ينتقل كلُّ مريد بهذا المثال إلى أرضه الخاصة. وكأنَّ الخطاب يقول للمريد العراقي: أحب العراق واخدمه، ويقول للمريد العربي: أحب وطنك وانهض به، ويقول للمريد المسلم: اجعل بلدك موضع أمانة، ويقول لكل إنسان: كن رحمة في الأرض التي تعيش عليها.

إنَّ هذا الفهم يمنح الاعتزاز الوطني معنىً جامعاً. فكلُّ شخص يحقُّ له أن يفخر بتاريخ بلده، ويعتز بثقافته، ويحفظ رموزه، ويحتفل بإنجازات شعبه، ويعمل من أجل مستقبله. ويزداد هذا الاعتزاز صفاءً حين يقتدر باحترام أوطان الآخرين، والفرح بخيرها، والتعاون مع شعوبها، والإيمان بأن تنوع الأوطان جزء من جمال العالم وغناه.

الوطنية التي تنمو في قلب المحبة الروحية تحمل صاحبها إلى الإعمار، وتربيته على أن نجاح وطنه يرتبط بنفع الإنسان. وهي وطنية تفتح النوافذ بين الشعوب، وتحفظ لكل أمة خصوصيتها، وتبني مساحات اللقاء والتعاون. وبهذا يصبح حب الوطن طريقاً إلى التعارف الذي أشار إليه قوله تعالى: ﴿--وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾⁽¹⁾.

إنَّ من يحبُّ شيخه الحاضر يتربى على أن يرى هذه المحبة المتعددة صورةً من صور الرحمة. وهذه كانت ولم تزل سيرة

العارفين الكاملين، وقد عبّر عنها الشيخ الأكبر محي الدين ابن
عربي في أبياته الشهيرة⁽¹⁾:

لَقَدْ صَارَ قَلْبِي قَابِلًا كُلِّ صُورَةٍ	فَمَرَعَى لِيْغْزَلَانٍ، وَدَيْرٍ لِرُهْبَانٍ
وَبَيْتٍ لِأَوْثَانٍ، وَكَعْبَةٍ طَائِفٍ	وَالْوَاخِ تَوْرَةٍ، وَمُصْحَفٍ قُرْآنٍ
أَدِينُ بِدِينِ الْحُبِّ أَنِّي تَوَجَّهْتُ	رَكَائِبُهُ، فَالْحُبُّ دِينِي وَإِيمَانِي

وهكذا يمكن تلخيص المعنى في دوائر متصاعدة:

العراق موطنُ القرب، والعروبة فضاءُ الانتماء الحضاري، والإسلام
رابطةُ الروح والأخوة، والإنسانية وأفقُ الرحمة، وأرضُ الله ميدانُ
الاستخلاف. وكلُّ دائرة تحتضنُ ما قبلها وتمنحها امتداداً أوسع.

وعليه، فإنَّ كلَّ مريدٍ، بل كلَّ إنسانٍ يسمعُ هذا الخطاب، يستطيعُ
أن يرى وطنه داخله. فالعراق وردَ بوصفه المثال الأقرب إلى تجربة
حضرة السلطان (قُدس سره)، فيما تحملُ القاعدةُ كلَّ الأوطان في
معناها. وما يقالُ للعراقي في خدمة العراق يقالُ للعربي في وطنه،
وللمسلم في بلده، ولكلِّ إنسانٍ في الأرض التي يعيش عليها.

إنَّ محبةَ شيخ الكسنزان مدرسةٌ تُعلمُ أبناءها أن يكونوا أوفياءً
لأوطانهم، رحماءً بشعوبهم، منفتحين على العالم، عاملين من أجل
أرض يسكنها السلام وتزدهر فيها كرامة الإنسان.

1 - محيي الدين محمد بن علي ابن عربي، ذخائر الأعلام في شرح ترجمان الأشواق، بيروت: المطبعة
الأنسية، 1895م، ص 39-40.

الفخرُ الوطني في خطابنا المعاصر

يقولُ حضرةُ السلطانِ (قُدست أسرارُهُ المباركة): ” نحنُ عراقيون، نعتزُّ بعراقيتنا، نعتزُّ بحبنا لوطننا، عندنا في الطريقةِ رجالٌ شرفاء، عندنا أبطالٌ، عندنا قوةَ العقيدةِ والإيمانِ، معتقدونَ بحبِّ الوطن، حبُّ الوطنِ جزءٌ من إيمانك“.

الجانبُ الذي أريدُ توجيهَ الأنظارِ إليه في هذهِ المقولةِ العظيمةِ من حضرةِ السلطانِ (قُدس سِرهِ) هو جانبُ الاعتزازِ بالوطنِ والافتخارِ بالهويةِ العراقية. والفخرُ نوعان:

فخرٌ مذمومٌ: هو الذي حذرَ منه حضرةُ النبي ﷺ، وذلكَ لأنه ينطلقُ من الهوى، حيثُ يرفعُ صاحبهُ نفسه فوقَ غيره، ويزدري من سِواه. وفخرٌ محمودٌ: ينطلقُ فيه المفتخرُ من الامتنانِ والافتداءِ والاعتزازِ. في هذا النوعِ من الفخرِ يجدُ المريدُ نفسه سائراً على خُطى من يحبُّ الذي يفتخرُ بحبهِ وولائه لوطنه.

إن لهذا الفخرِ أصلٌ قرآني، وهو مبدأُ التحدثِ بالنعمةِ شكراً لا خيلاً، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾⁽¹⁾، فذكرُ النعمةِ والاعتزازُ بها، حينَ يكونُ شكراً لواهبها لا تعالياً على من حُرِمَها، عبادةٌ لا معصية.

وبالمثلِ، فانتماءُ المريدِ لعراقٍ شهدَ له شيخُه بالاعتزازِ والانتماءِ والولاءِ وافتخرَ به، هو نعمةٌ تستحقُّ أن يتحدَّثَ بها المريدُ بـ ﴿لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾⁽²⁾، أي في كافةِ المحافلِ، وجميعِ الأماكنِ والأزمنةِ التي تقتضي رفعَ الصوتِ عالياً، بلا خجلٍ ولا وجل.

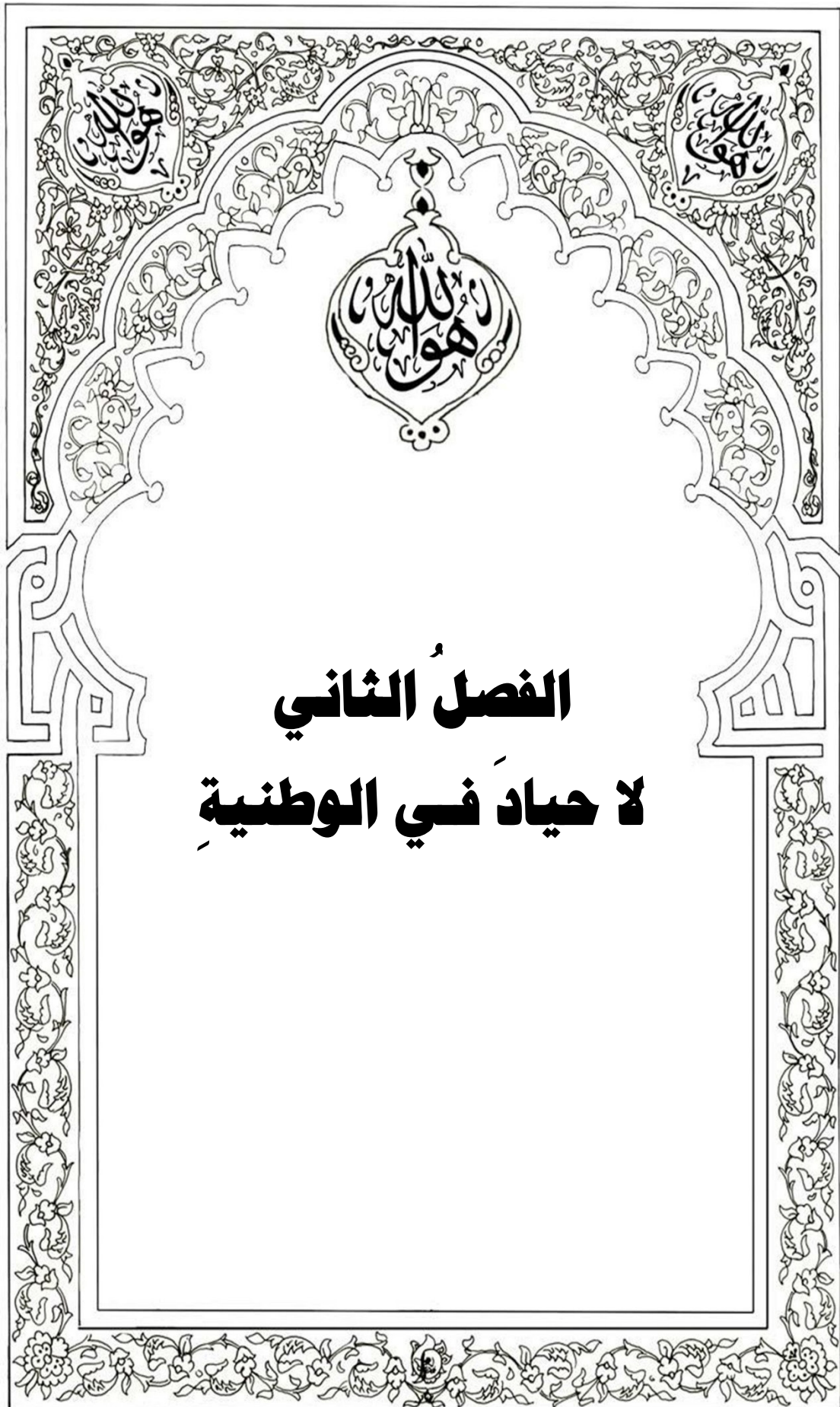
معنى هذا أنَّ المريدَ الكسنزاني حينَ يذكرُ عراقيتهُ، فهو يذكرُها كما يذكرُ أيَّ أثرٍ من آثارِ محبتهِ لشيخه، بعزّةٍ واطمئنان.

1 - [الضحى: 11].

2 - [مريم: 50].

فإذا سُئِلَ المريدُ يوماً عن وطنه، فليذكر أنَّ الجوابَ الذي سيقوله هو الجوابُ نفسه الذي سبقه إليه من يواليه، "نحنُ عراقيون"، وأنَّ في هذا التطابقِ بين قولهِ وقولِ شيخهِ أنسٌ لا يجدهُ في أي انتماءٍ آخرَ لم يَشْهَدْ لَهُ قُدُوتُهُ بمثلِ هذه الشهادةِ الصريحة.

الفخرُ، إذا فُهِمَ على هذا الوجه، يتحولُ من مجرد شعورٍ وطنيٍّ عامٍ إلى رابطةٍ روحيةٍ تصلُ المريدَ بشيخهِ من بوابةِ الهويةِ نفسها، فيصبحُ حُبُّ الوطنِ عندهُ امتداداً لحُبِّ الطريقة، وجزءاً غيرَ منفصلٍ عن نسيجها.



لا حياد في الوطنية

إمّا أن تكونَ وطنياً أو لا تكون، تلك هي الهويّة.
لا حيادَ بينَ الحاليين ولا موقفَ وسطاً بينَ الموقفين.
الأمرُ أشبهُ بمسألة الإيمان، فإما أن تؤمنَ أو لا تؤمن، ولا حيادَ أو
وسطَ بينَ الإيمان والكفر.

في أصل كلمة حياد

اللافتُ أنَّ كلمةَ حيادٍ نفسها، في أصلها اللغوي، محملةٌ بالمعنى
السلبى قبلَ أي استعمالٍ دينيٍّ أو أخلاقيٍّ لها.
جاءَ في معجمٍ مقاييس اللغة لابن فارس: «الحاء والياء والداُل
أصلٌ واحدٌ، وهو المَيْلُ والعُدُولُ عن طريقِ الاستواء»⁽¹⁾.

والأهمُّ من ذلك أنَّ مولانا الإمامَ عليٍّ (كَرَّم الله وجهه)، هوَ القائلُ في
خطبةٍ له بعدَ غارة الضحاكِ بن قيس صاحبِ معاويةَ على الحُجاج:
«تَقُولُونَ فِي الْمَجَالِسِ: كَيْتَ وَكَيْتَ، فَإِذَا جَاءَ الْقِتَالُ قُلْتُمْ: حَيْدِي
حَيَادٍ!»⁽²⁾ وهي الخطبةُ التاسعةُ والعشرونُ في نهجِ البلاغة، حيثُ يذمُّ
فيها من ينادونَ بالتراجع والفرارِ عندَ اشتدادِ القتال، فقال: تقولونَ في
المجالسِ كَيْتَ وَكَيْتَ، فَإِذَا جَاءَ الْقِتَالُ قُلْتُمْ حَيْدِي حَيَادٍ

شُرَّاحُ نهجِ البلاغة، ومنهم ابنُ أبي الحديدِ في شرحه، فسروا:

(كَيْتَ وَكَيْتَ): كنايةٌ عن كثرةِ الكلامِ والادعاءِ في المجالسِ.

(حَيْدِي حَيَادٍ): كلمةٌ يَقُولُهَا الهاربُ عندَ الفرارِ مِنَ المعركة،
وهي صيغةٌ زجرٍ للدابةِ أو النفسِ للهربِ، ومعناها: «انحرفي

1 - ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق وضبط: عبد السلام محمد هارون، شركة مكتبة ومطبعة

مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط2، 1969 - 1972 م، ج2 ص123.

2 - نهج البلاغة، جمعه: الشريف الرضي محمد بن الحسين، تحقيق: صبحي الصالح، طبعة دار العلم

للملايين، الخطبة 29، ص124.

وابتغدي» (من حادَ عن الشيء: انحرف). وهي تعبيرٌ عن التخاذلِ عند اللقاءِ الحقيقي⁽¹⁾.

معنى ذلك أنَّ لفظةَ (الحيادِ) في جذرها العربي الأول لم تكن يوماً وصفاً بريئاً محايداً، إنما كانت اسماً للفرارِ من ساحةِ المواجهة والانحرافِ عن الطريقِ المستقيم.

لا حيادَ في القرآن الكريم

هذا الرفضُ للحيادِ السلبي هو رفضٌ لغويٌّ، يعصده موقفُ قرآنيٍّ صريحٌ، فقد وصفَ القرآنُ الكريمُ أصحابَ الموقفِ المترددِ بينَ صفينِ بأشدَّ الأوصافِ ذمّاً، قال تعالى: ﴿مُذَبِّذِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا﴾⁽²⁾.

هذه الآيةُ نزلت في وصفِ المنافقين، الذين لم يكونوا مع المؤمنين ظاهراً وباطناً، ولم يكونوا مع الكافرين ظاهراً وباطناً، وإنما كانوا مترددينَ بينَ الفريقين، ينظرونَ إلى هذا مرةً وإلى ذاك مرةً، غيرَ قادرينَ على حسمِ موقفهم.

الواضح في هذه الآية الكريمة أنَّ القرآنَ الكريمَ لم يذمَّ المنافقينَ على اختيارهم جانبَ الكفرِ صراحةً، إنما ذمهم على عجزهم عن الاختيارِ أصلاً، وعلى بقائهم في تلك المنطقة الرمادية التي لا تنتمي إلى حق ولا تصطدمُ بباطل. هذا المعنى المجردُ وصفهُ حضرةُ النبي ﷺ بصورةٍ حسيةٍ بديعةٍ، فقد روى مسلمٌ في صحيحه، عن عبد الله بنِ عمرَ (رضيَ الله عنهما)، أنَّ النبي ﷺ قال: ﴿مثلُ المنافقِ كمثلِ الشاةِ العائرة⁽³⁾ بينَ الغنمين، تعيرُ إلى هذه مرةً وإلى هذه مرةً، لا تدري أيهما تتبع﴾⁽⁴⁾.

1 - انظر: شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، تحقيق: محمد إبراهيم، بغداد، ط1، 2007م، ص295.

2 - [النساء: 143].

3 - العائرة: المترددة العائرة لا تدري أيهما تتبع. انظر: ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج4 ص191.

4 - صحيح مسلم، الرقم [2784]، ج4 ص2146.

هذا المثلُّ صورةٌ حيَّةٌ لحالِ المتردِّ، شاةٌ حائرةٌ بين قطيعين، لا تنتمي إلى هذا ولا إلى ذاك، تنتقلُ بينهما دونَ غايةٍ ولا انتماءٍ، وهي صورةٌ تجسَّدُ معنى الآيةِ السابقةِ تجسيداً محسوساً، إذ تحولُ الترددُ من فكرةٍ مجردةٍ إلى مشهدٍ يراه الناظرُ رأيَ العين.

أصواتٌ ضدَّ الحياد

هذا الرفضُ للحيادِ ليسَ فكرةً معزولةً، إنما هو حُكمٌ استقرَّ عليه العقلاءُ في أزمنةٍ وثقافاتٍ متعددة.

قالَ مولانا أميرُ المؤمنينَ عليُّ بنُ أبي طالبٍ (كَرَّمَ اللهُ وجهه)، في ذمِّ المتخاذلينَ الذينَ لا ينصرونَ حقاً ولا يدفعونَ باطلاً: «خذلوا الحقَّ ولم ينصروا الباطل»⁽¹⁾.

حدثَ ذلكَ بعدَ أنْ بايَعَ الناسُ الإمامَ بالخلافةِ، وأخذتُ الأحداثُ تسيرُ بعكسٍ ما أرادَهُ الإمامُ وبدأ الإمامُ (عليه السَّلامُ) يُعبئُ جيشَهُ لقتالِ الناكثينَ، فاستعدَّ الناسُ للقتالِ باستثناءِ بعضِ الصحابةِ الذينَ حاولوا إيجادَ التبريراتِ فراراً منَ المعركةِ وخذلاناً للحقِّ. وقد رويَ أنَّ أميرَ المؤمنينَ (عليه السَّلامُ) لما دعاهم إلى القتالِ معه، واعتذروا بما اعتذروا به، قالَ لهم: أتتكرونَ هذه البيعة؟

قالوا: لا، لكننا لا نقاتل!

فقال الإمامُ فيهم قولتهُ تلكَ التي صرَحَ ببيانها غيرَ واحدٍ قائلين: خذلوا علياً ولم ينصروا معاوية.

من بيتِ فاطمةَ وعليٍّ (سلامُ اللهِ تعالى عليهما) بزغ فجرُ إمامِ الثائرينَ ضدَّ الظلمِ والظالمينَ، مولانا الإمامِ الحسينِ (عليه السَّلامُ) وقفَ الإمامُ الشهيدُ الحي، وحيداً تقريباً، بأهلِ بيتِهِ ونفَرٍ يسيرٍ من أصحابه، في

1 - نهج البلاغة، جمعه الشريف الرضي، تحقيق: صبحي الصالح، بيروت، دار العلم للملايين، ط3،

1991م، حكمة رقم (18)، ص471.

وجه دولة الظلم كُلِّها، رافضاً بيعَةَ الظالمِ بنِ الظالمِ، يزيد بن معاوية. لم يخرج الحسين عليه السلام طلباً للملك أو ثأراً شخصياً، فقد أعلن غايته صراحةً في وصيته التي كتبها لأخيه محمد بن الحنفية قبيل خروجه من المدينة، فقال: «إني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً، وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي، أريد أن آمرَ بالمعروفِ وأنهى عن المنكرِ، وأسيرَ بسيرة جدي وأبي علي بن أبي طالب»⁽¹⁾.

هذه الكلمات تجعل من موقف الإمام الحسين عليه السلام تجسيداً حياً لمعنى القيام بالواجب الديني والأخلاقي، فحضرته لم يقف عند مرتبة الإنكار بالقلب، ولا اكتفى بمرتبة اللسان، إنما انتقل إلى أعلى مراتب التغيير، مرتبة اليد، مقدماً نفسه وأهل بيته ثمناً لهذا الموقف، حين علم أن الطريق ينتهي عند كربلاء.

من هذا البيت الواحد الذي جمع القول والفعل، يتسع الأفق إلى أصوات أخرى من ثقافات مختلفة تماماً، اتفقت جميعاً على المعنى نفسه.

في موقف حديث، كتب (مارتن لوثر كينغ) يوماً في سجنه نصاً قال فيه: «الظلم في أي مكان هو تهديد للعدالة في كل مكان». وردت العبارة في نصه الشهير: (Letter from Birmingham Jail - رسالة من سجن برمنغهام)، المؤرخة في 16 أبريل 1963، وهي رسالة مفتوحة كتبها كينغ رداً على بيان انتقادي أصدره قساوسة بيض في ولاية ألاباما، اتهموه فيه بالتطرف وبأنه «غريب» عن المدينة⁽²⁾.

1 - انظر: أحمد بن أعثم الكوفي، كتاب الفتوح، تحقيق: علي شيري، دار الأضواء، بيروت، ط1، 1991م، ج5 ص52.

2 - مارتن لوثر كينغ (الابن)، رسالة من سجن برمنغهام، 16 أبريل/نيسان 1963، في: عهد الأمل (الكتابات والخطب الأساسية لمارتن لوثر كينغ الابن)، تحرير: جيمس م. واشنطن، نيويورك: هاربر ون، 1986، ص290.

كذلك، (ألبير كامو) الجزائري-الفرنسي، الحائز على جائزة نوبل في الآداب عام 1957، ذهب في خطاب حفل تسليم الجائزة في (ستوكهولم - السويد) إلى القول فيما مضمونه: الذين يكتفون بالفرجة على المأساة هم شركاء في صنعها. وقال: «في كل ظروف حياته، المدلهمة أو المريحة مؤقتاً... يستطيع الكاتب أن يستعيد شعور الجماعة الحية، شريطة أن يقبل، قدر المستطاع، التكليفين اللذين يصنعان عظمة مهنته: خدمة الحقيقة، وخدمة الحرية»⁽¹⁾.

ثلاثة أصوات من ثقافات مختلفة، اتفقت جميعاً على معنى واحد، الوقوف على الحياد أمام الحق والباطل ليس موقفاً بريئاً، هو نوع من المشاركة في الظلم بالسكوت عنه.

في السياق فإن رفض الحياد كان سلوكاً عملياً مارسه كبار مشايخ التصوف أنفسهم، وفي مقدمتهم سيدي حضره الشيخ عبد القادر الجيلاني (قدس سره)، وخير دليل على ذلك ما روي عنه (قدس سره) أنه لما ولي المقتفي القاضي ابن المرخم [الظالم] قام الشيخ عبد القادر (قدس سره) إلى ذلك الخليفة مواجهةً، وقال له: «وليت على المسلمين أظلم الظالمين، فما جوابك غداً عند رب العالمين، أحكم الحاكمين؟ فارتعد الخليفة، وعزل ذلك القاضي من وقته»⁽²⁾.

هذا الموقف يُظهر أن حضره الشيخ (قدس سره) لم يد في مقام السلوك عذراً للسكوت عن الظلم، واتخاذ موقف الحياد السلبي.

1 - ألبير كامو، خطاب السويد (أو الفنان وزمانه)، ترجمة أحمد المديني، مؤسسة هنداي، 2023، ص18.

2 - سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، تحقيق: إبراهيم الزبيق، دار الرسالة العالمية، دمشق - الحجاز، ط1، 2013م، ج21 ص78.

من الوطن الشخصي إلى وطن الجميع

الإنسانُ صاحبُ الغيرةِ يدافعُ بصورةٍ غريزيةٍ عن نفسه، وعن أهله وأولاده، وبيته، وأملاكه، وذلك لأنَّ هذه الأمورَ امتدادٌ لهويته الشخصية في الواقع الخارجي.

هذه الأمورُ بمثابة الوطنِ الشخصي، لذا يسعى في إعمارها وحمايتها تلقائياً، دونَ أنْ يحتاجَ إلى من يذكره بذلك. المؤمنُ ليسَ كذلك.

المؤمنُ أكثرُ من ذلك.

المؤمنُ صاحبُ رسالةٍ للناس، هو يعي أنَّ غايةَ خلقه لا تقفُ عندَ حدودِ نفسه، بل هي ممتدةٌ إلى الناسِ من حوله. المؤمنُ وطنه وطنُ الجميع.

مثلاً يتعاملُ مع وطنه الشخصي بالإعمارِ والحماية، له دورٌ تفاعليٌّ إيجابيٌّ من موقعه في بلده، ينتقلُ به من دائرة الذات الضيقة إلى دائرة الوطن الواسعة.

الانحياز لا الحياد

المؤمنُ لا يقفُ موقفَ الحيادِ من وطنه، هو صاحبُ انحيازٍ صريحٍ لمصلحته وقيمه وقوانينه وأعرافه وتقاليده.

هذا الانحياز ليسَ تعصباً أعمى، هو التزامٌ واعٍ بما يخدمُ الصالح العام، وهو امتدادٌ طبيعيٌّ للانحياز الأول الذي يحمله كلُّ إنسانٍ تجاهَ نفسه وأهله، غيرَ أنه في حالة المؤمن يتسعُ ليشملَ وطنه ومجتمعه.

حتى في العلوم السياسية الحديثة، لفظةُ الحيادِ لا تعني الانسحابَ الكامل، فقد أقرَّ مجَمَعُ اللغة العربية في القاهرة، في

معجمه الوسيط، مادةً حيَدَ، مصطلح الحياد الإيجابي، وعرفه بأنه ألا تتحيز الدولة لإحدى الدول المتخاصمة، مع مشاركتها الفعلية سائر الدول فيما يحفظ السلم العام⁽¹⁾. فحتى المصطلح الذي يحمل اسم الحياد نفسه، في أدق تعريفاته السياسية، هو مشاركة فعلية لا انسحابٌ سلبيٌّ.

الإيمانُ المقترنُ بالعملِ الصالح

عندما تتلو في أكثر من خمسين موضعاً قرآنيّاً اقترانَ الإيمانِ بالعملِ الصالح، نفهمُ التلازمَ التامَ بينَ الأمرين، كما في قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾⁽²⁾.

هذا التلازمُ معناه أنَّ أعمالَ الإيمانِ وحدها غيرُ كافيةٍ، فلا بدَّ أنْ يقتترنَ عملُ الإيمانِ بالعملِ الصالحِ حتى يكتملَ معناه. الأهمُّ هو الانتباهُ إلى أنَّ قوله تعالى، وعملوا الصالحات، واضحٌ وضوحَ الشمسِ في رابعةِ النهارِ في أنَّه يقصدُ المبادرةَ بالمشاركة، وهذا يعني عدمَ السكونِ إلى الحيادِ السلبي، وأنَّ الإيمانَ الحقَّ دعوةٌ دائمةٌ إلى الفعلِ، لا مجردَ حالٍ قلبيَّةٍ ساكنةٍ.

مشكلةُ الحيادِ اللحظي - شاهدٌ من علمِ النفس

ميلُ بعضِ النايِسِ إلى ما يُسمى الحيادَ اللحظي (أو حيادُ اللحظةِ الطارئة) والتفرُّجُ ليسَ ضعفاً أخلاقياً فردياً فحسب، إنما هو نزعةٌ نفسيةٌ وثقفاً العلمُ الحديثُ توثيقاً تجريبياً.

في عام 1964، قُتِلَتْ فتاةٌ أمريكيةٌ تدعى (كاثرين جينوفيز) في

1 - نخبة من اللغويين بمجمع اللغة العربية بالقاهرة، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة،

ط2، 1972 م، ج1 ص211.

2 - [البقرة: 25].

نيويورك، وأشيّع حينها أن عشرات الجيران شهدوا الحادثة دون أن يبادر أحد منهم بالتدخل، ورغم أن التفاصيل الصحفية لتلك الحادثة بولغ فيها لاحقاً كما أثبتت مصادر متأخرة، فإنها دفعت عالمي النفس (بيب لاتاني وجون دارلي) إلى دراسة متخصصة بهذه الظاهرة، ونشروا الدراسة بالفعل⁽¹⁾.

خلاصة هذه الدراسة أن كثرة الشهود على موقفٍ طارئٍ تقلل من احتمال تدخل أيٍّ منهم، لأنَّ كُلَّ واحدٍ يشعر بأنَّ المسؤولية موزعةٌ على الجميع، فلا يتحملها هو وحده.

هذا شاهدٌ على حياد اللحظة الواحدة، حيادٌ يقع أمام حدثٍ طارئٍ عابرٍ، ينتهي بانتهاء ذلك الحدث.

مشكلة الحياد المتراكم - شاهد من علم الاجتماع

إلى جانب حياد اللحظة الطارئة، هناك نوع آخر من الحياد أشد فتكاً لأنه صامتٌ وبطيءٌ، وهو حياد الإهمال اليومي المتكرر الذي يظنُّ كلُّ فردٍ فيه أنه لا يعنيه.

صاغ (جيمس كيو ويلسون) و(جورج إل. كيلينغ) ما عُرف لاحقاً بنظرية النوافذ المكسورة في مقالٍ نُشر سنة 1982، وقد استُخدمت فيه النافذة المكسورة بوصفها استعارةً للدلالة على أن الإهمال البسيط والفوضى غير المعالجة يبعثان برسالة تسمح بتفاقم الانحراف والجريمة. وقد غدت هذه الفكرة من أكثر التصورات تأثيراً في علم الجريمة الحديث وفي السياسات الحضرية والأمنية⁽²⁾.

وخلاصتها أن نافذة مكسورة في مبنى إن تركت دون إصلاح، فإنَّ

1 - بيب لاتاني وجون دارلي، تثبيط تدخل المتفرج في حالات الطوارئ، مجلة الشخصية وعلم النفس الاجتماعي، مج10، عدد3، 1968، ص215-221.

2 - جيمس كيو ويلسون، و جورج إل كيلينغ، النوافذ المكسورة، ذا أتلانتيك مانثلي، مارس 1982.

سائر نوافذ ذلك المبنى ستتخطم عاجلاً، لأنَّ الإهمال يُرسل إشارةً إلى الجميع بأنَّ لا أحد مسؤول ولا أحد يهتم، فتنتشر الفوضى من ذلك المبنى إلى الشارع، ثم إلى الحي، ثم إلى المجتمع بأسره. سبقت هذه النظرية تجربة ميدانية أجراها عالم النفس (فيليب زيمباردو)⁽¹⁾ عام 1969، ترك فيها سيارتين مهجورتين، إحداهما في حيٍّ غنيٍّ والأخرى في حيٍّ فقيرٍ، فبدأ المارة بتخريب سيارة الحيِّ الفقير سريعاً، بينما بقيت سيارة الحيِّ الغنيِّ سليمةً أياماً، حتى كسر هو بنفسه إحدى نوافذها، فتسارع الناس بعدها إلى تخريبها بصرف النظر عن طبيعة الحي.

الفارق بين هذين الحيايين واضح، تأثير المتفرج حياً أمام حدث طارئٍ ينتهي بانتهاؤه، أما النافذة المكسورة فحياً يومي صامت أمام خللٍ صغير، كلُّ فردٍ يظنُّ أنَّ إصلاحه ليس شأنه الخاص، حتى يتراكم ذلك الإهمال فيتحوّل إلى فوضى شاملة تصيب الجميع، من أهمل الإصلاح ومن لم يهتمه على حدٍ سواءٍ.

هذان الشاهدان معاً، الآنيُّ والمتراكم، يؤكدان أنَّ الحياء ليس موقفاً عابراً بلا أثرٍ، هو في الحالتين مقدمة مباشرة لضررٍ يلحق بالجماعة كلّها، لا بصاحب الموقف وحده.

1 - فيليب زيمباردو (Philip Zimbardo): عالم نفس اجتماعي أمريكي (1933-2024)، أستاذ فخري

بجامعة ستانفورد، اشتهر بتجربة سجن ستانفورد (1971) التي أظهرت تأثير المواقف الاجتماعية

على سلوك الأفراد، وتولى رئاسة الجمعية الأمريكية لعلم النفس عام 2002.

انظر: <https://www.apa.org/about/governance/president/bio-philip-zimbardo>

مراتبُ التغيير، لا مجالٌ للحِياد

الحركةُ الفعليةُ المطلوبةُ مِنَ المؤمنِ ليست مجردَ فضيلةٍ اختياريةٍ، إنما هي واجبٌ متدرِّجٌ لَهُ مراتبٌ واضحةٌ في القرآنِ الكريمِ وسُنَّةِ النبي العظيم ﷺ، لا يُتركُ فيها للمؤمنِ هامشُ الحِيادِ الكاملِ مهما ضَعُفَتْ قُدرتهُ.

قالَ تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾⁽¹⁾.

هذهِ الآيةُ تجعلُ الأمرَ بالمعروفِ والنهيَ عن المنكرِ ثمرةً من ثمارِ الولاءِ المتبادلِ بينَ المؤمنينَ، فمن انحازَ لأخيه المؤمنِ، انحازَ معه للحقِّ الذي يجمعهما.

يرسُخُ ذلكَ ما رواهُ أحمدُ في مسندهُ، عن أبي سعيدٍ الخدري رضي الله عنه قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: ﴿مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ﴾⁽²⁾.

هذهِ الروايةُ يَرتبُ عليها ثلاثُ مراتبٍ للتغييرِ بحسبِ القدرةِ، اليدُ أولاً، ثم اللسانُ، ثم القلبُ، غيرَ أَنَّهُ لا يتركُ مرتبةً رابعةً اسمها الحِيادُ أو السكوتُ التامُ، فحتى أضعفُ درجاتِ الإيمانِ تستوجبُ رفضاً قلبياً للمنكرِ، لا مجردَ عدمِ اكتراثٍ به.

إنَّ هذهِ الروايةَ بالذاتِ هي الرَّدُّ النبويُّ المسبِّقُ على منطقِ النافذةِ المكسورةِ، فلو أنَّ كُلَّ مَنْ رَأَى مِنْكُمْ صَغِيرًا أَنْكَرَهُ ولو بقلبه، لما تراكمَ الإهمالُ حتى يتحولَ إلى فوضى شاملة.

الطريقةُ مَنْ حَيْثُ هي منهجُ إصلاحِ الفردِ والمجتمعِ، لا تتمُّ إلَّا

1 - [التوبة: 71].

2 - مسند الإمام أحمد بن حنبل، مصدر سابق، حديث رقم [11515]، ج 18 ص 79.

بحبّ الوطن، وحبّ الوطن لا يتحقّق إلّا بالمشاركة الفعلية الإيجابية في إصلاح الواقع الاجتماعي والسياسي، وفق البرنامج الذي يقرره أستاذ الطريقة الحاضر في كلّ زمان.

الوطنية بين المداراة والمداهنة

ليس كلّ تعاملٍ بليّن مع الحكام تناقضاً أو تعارضاً مع إنكار المنكر، فالفقه العقلي يميّز بدقة بين المداراة، وهي محمودّة، والمداهنة، وهي مذمومة، والفارق بينهما ليس في درجة اللين الظاهر، إنما في الباعث الداخلي من وراء ذلك اللين، وفي المقصد المتمثل بتحقيق القدر الممكن من الإصلاح والمصلحة العامة.

قال الإمام الغزالي في تحديد هذا الفارق: «الفرق بين المداراة والمداهنة بالغرض الباعث على الإغضاء، فإن أغضيت لسلامة دينك، ولمّا ترى من إصلاح أخيك بالإغضاء فأنت مدار، وإن أغضيت لحظ نفسك واجتلاب شهواتك وسلامة جاهك فأنت مداهن»⁽¹⁾.

وقال أبو الدرداء في وصف المداراة: «إنّا لنُبشّ في وجوه أقوام وإنّ قلوبنا لتلعنهم»⁽²⁾، والسبب في ذلك هو درء شرّ من يعسرُ منع شره. لهذا السلوك الاضطراري أدلة في القرآن الكريم، ومنها قوله تعالى: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ﴾⁽³⁾.

ومنها: ﴿وَيَذَرُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ﴾⁽⁴⁾، قال ابن عباس رضي الله عنهما في المقصود منها: أي يدرؤون الفحش والأذى بالسلام والمداراة⁽⁵⁾. وفي رواية عن السيدة عائشة (رضي الله عنها) أنه استأذن رجل

1 - الإمام الغزالي، إحياء علوم الدين، دار المعرفة - بيروت، 1431هـ، ج 2 ص 182.

2 - المصدر نفسه، ج 2 ص 207.

3 - [المؤمنون: 96].

4 - [الرعد: 22].

5 - المصدر السابق، ج 2 ص 207.

على رسول الله ﷺ قال: ﴿اِذْنُوا لَهُ فَبئسَ رَجُلٍ الْعَشِيرَةُ هُوَ﴾ فلما دخلَ أَلَانَ لَهُ الْقَوْلَ حَتَّى أَنَّ لَهُ عِنْدَهُ مَنْزِلَةً فَلَمَّا خَرَجَ قَلْتُ لَهُ: لَمَّا دَخَلَ قَلْتُ الَّذِي قَلْتُ، ثُمَّ أَلَنْتَ لَهُ الْقَوْلَ! فَقَالَ ﷺ: ﴿يَا عَائِشَةُ إِنَّ شَرَّ النَّاسِ مَنْزِلَةٌ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ تَرَكَهُ النَّاسُ اتِّقَاءَ فُحْشِهِ﴾ (1).

وقال ابنُ بطالٍ في شرحه لصحيح البخاري: إِنَّ الْمَدَارَةَ مِنْ أَخْلَاقِ الْمُؤْمِنِينَ، وَهِيَ خَفْضُ الْجَنَاحِ لِلنَّاسِ وَلِينُ الْكَلِمَةِ، وَظَنُّ بَعْضِهِمْ أَنَّ الْمَدَارَةَ هِيَ الْمَدَاهِنَةُ فَغَلَطَ، لِأَنَّ الْمَدَارَةَ مَدُوبٌ إِلَيْهَا، وَالْمَدَاهِنَةُ مَنْكَرَةٌ ﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيَذْهَبُونَ﴾ (2)، وَالْمَدَاهِنَةُ مَعَاشِرَةُ الْفَاسِقِ وَإِظْهَارُ الرِّضَا بِمَا هُوَ فِيهِ مِنْ غَيْرِ انْكَارٍ عَلَيْهِ، أَمَّا الْمَدَارَةُ فَهِيَ الرِّفْقُ بِالْفَاسِقِ فِي النَّهْيِ عَنْ فِعْلِهِ وَتَرْكُ الْإِغْلَظِ عَلَيْهِ حَيْثُ لَا يُظْهَرُ مَا هُوَ فِيهِ (3).

اللِّينُ مَعَ الطَّغَاةِ لِتَحْقِيقِ الْمَصْلَحَةِ الْعَامَةِ مِمَّا نَدَبَ إِلَيْهِ التَّنْزِيلُ الْحَكِيمُ، فَقَدْ أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى نَبِيَّهُ مُوسَى وَأَخِيَّهُ هَارُونَ (عَلَيْهِمَا السَّلَامُ) أَنْ يَبْدَأَ دَعْوَتَهُمَا بِالْقَوْلِ اللَّيِّنِ حِينَ أَرْسَلَهُمَا إِلَى فِرْعَوْنَ، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ (4).

هَذَا الْأَمْرُ الْإِلَهِيُّ لَمْ يَكُنْ تَنَازُلًا عَنِ الْحَقِّ، إِنَّمَا اخْتِيَارٌ لِلْأَسْلُوبِ الْأَرْفَقِ فِي إِيصَالِهِ، فَالنَّبِيُّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ نَفْسُهُ هُوَ الْقَائِلُ بَعْدَهَا لِفِرْعَوْنَ كَلِمَةً الْحَقِّ كَامِلَةً دُونَ مَوَارِبَةٍ، غَيْرَ أَنَّهُ بَدَأَ بِاللِّينِ أَمْلًا فِي هِدَايَةِ الْقَلْبِ، لَا كَسْرًا لِلْكِبْرِيَاءِ مِنْ أَوَّلِ لِقَاءِ أَبْلُغُ مِنْ ذَلِكَ شَاهِدًا، أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَنْزَلَ حُكْمًا صَرِيحًا فِيمَنْ اضْطَرَّ إِلَى قَوْلٍ ظَاهِرٍ يَخَالِفُ بَاطِنَهُ تَحْتَ وَطْأَةِ الْإِكْرَاهِ، وَذَلِكَ

1 - البيهقي، السنن الكبرى، المحقق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط3،

2003م، حديث رقم [21150]، ج10 ص415.

2 - [القلم: 9].

3 - الإمام الغزالي، إحياء علوم الدين، مصدر سابق، ج2 ص182.

4 - [طه: 44].

حِينَ عَذَّبَ الْمُشْرِكُونَ الصَّحَابِيُّ الْجَلِيلَ عِمَارَ بْنَ يَاسِرٍ رضي الله عنه حَتَّى قَالَ مَا أَرَادُوهُ مِنْهُ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾⁽¹⁾.

هَذِهِ الْآيَةُ هِيَ الْأَصْلُ الَّذِي يَقُومُ عَلَيْهِ مَعْيَارُ الْقَلْبِ الْمَذْكُورِ آنِفًا، فَحَتَّى فِي أَشَدِّ حَالَاتِ الْإِكْرَاهِ، حِينَ يَضْطَرُّ الْمَرْءُ إِلَى كَلَامٍ ظَاهِرٍ لَا يَرْضَاهُ، يَبْقَى الْحُكْمُ لِقَلْبِهِ لَا لَلِسَانِ، وَهَذَا فَارَقٌ أَسَاسِيٌّ بَيْنَ حَالِ الصَّحَابِيِّ الْجَلِيلِ عِمَارٍ وَبَيْنَ حَالِ الْمَدَاهِنِ الَّذِي قَلْبُهُ لَا يَنْكَرُ الْمُنْكَرَ، فَعِمَارٌ مَكْرَهُ مُضْطَرٌّ، وَالْمَدَاهِنُ مُخْتَارٌ مُنْتَفِعٌ.

إِلَى ذَلِكَ، فَإِنَّ أَدَقَّ شَاهِدٍ عَلَى مَسَايِسَةِ أَهْلِ النُّفُوذِ لِمَصْلَحَةٍ عَامَةٍ، هُوَ تَعَامُلُ حَضْرَةِ النَّبِيِّ ﷺ نَفْسُهُ مَعَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بَنٍ سُلُولٍ، رَأْسِ الْمُنَافِقِينَ فِي الْمَدِينَةِ، وَصَاحِبِ النُّفُوذِ الْعِشَائِرِيِّ الْوَاسِعِ بَيْنَ الْأَنْصَارِ قَبْلَ الْإِسْلَامِ.

لَمْ يُوَاجِهْهُ حَضْرَةُ النَّبِيِّ ﷺ مُوَاجَهَةً تَفْضَحُهُ عَلَنًا بِصُورَةٍ تَمْزُقُ نَسِيجَ الْمَدِينَةِ الْاجْتِمَاعِي، بَلْ تَعَامَلَ مَعَهُ سِيَاسِيًّا بِحِكْمَةٍ بِالْغَةِ طِيلَةَ حَيَاتِهِ حِفَاطًا عَلَى وَحْدَةِ الصِّفِّ، حَتَّى فِي وَفَاتِهِ، فَحِينَ تُوْفِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِيٍّ، جَاءَ ابْنُهُ الْمُؤْمِنُ الصَّادِقُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِيٍّ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، وَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَعْطِنِي قَمِيصَكَ أَكْفَنُهُ فِيهِ، وَصَلَّ عَلَيْهِ، وَاسْتَغْفَرَ لَهُ، فَأَعْطَاهُ قَمِيصَهُ، وَذَهَبَ لِيَصْلِيَ عَلَيْهِ⁽²⁾. وَكَانَ حَضْرَتُهُ ﷺ عَارِفًا بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾⁽³⁾، وَقَدْ أَرَادَ مَدَارَةَ الْقَوْمَ لِمَصْلَحَةِ أُمَّتِهِ، وَلَمْ يَتْرِكْ ذَلِكَ إِلَّا بَعْدَ أَنْ نَزَلَ عَلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَى:

1 - [النحل: 106].

2 - صحيح البخاري، حديث رقم [5795]، ج 7 ص 415.

3 - [التوبة: 80].

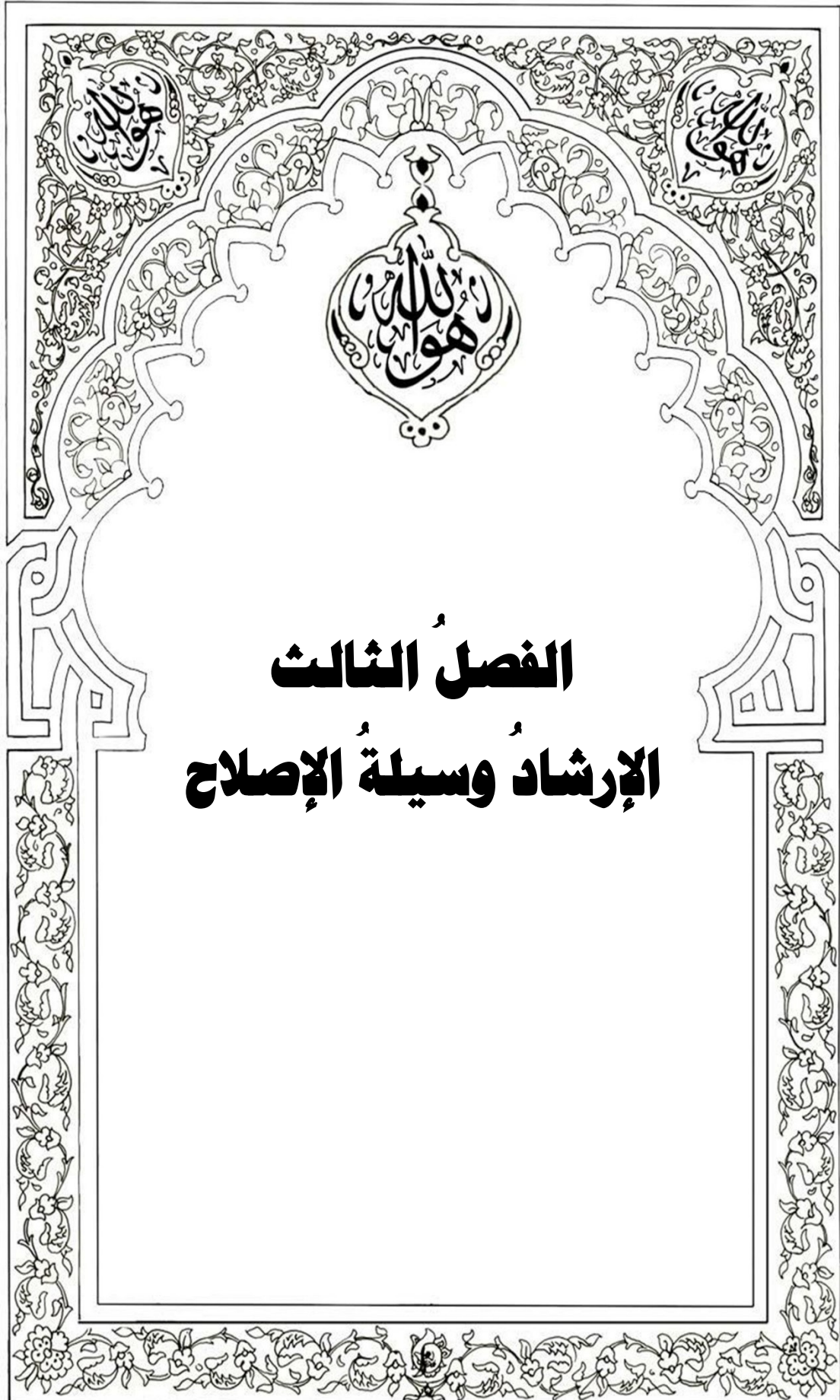
﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ﴾⁽¹⁾، فترك الصلاة عليهم من بعدها.

في هذا الموقفِ مداراةٌ سياسيةٌ بالغةُ الدقة، فالنبي ﷺ لم ينكر باطنَ عبدِ الله بنِ أبيٍّ ولا حقيقةَ نفاقه، لكنه راعى مشاعر ابنه المؤمن، وحافظ على تماسك الصفِّ الاجتماعي في المدينة، إلى أن جاء الحكمُ الإلهي فحددَ للمداراةِ نهايتها، فالمداراةُ ليستْ بلا حدود، إنما هي مساحةٌ محكومةٌ بضوابطٍ يفرضها الواقعُ حينَ يقتضي الأمرُ ذلك.

هذه الشواهدُ ترسمُ صورةً متكاملةً لمعنى المداراةِ المقبولة، فهي في الأسلوبِ المظهرِ لا في المضمونِ المضمَرِ، وفي القلبِ لا في اللسانِ وحده، ولها حدودٌ يُقدرها أهلها بقدرها.

أهلُ الحقيقةِ يعلمونَ بيقينٍ، أنَّ الواقعَ ليسَ أحاديًّا، بل مركَّبٌ، وأنهم يتعاملونَ في أوطانهم بحسبِ الحكمةِ التي عندهم، فيدارونَ إنْ كانت المداراةُ هي السبيلُ الأمثلُ لمصلحةِ المواطنِ والوطنِ، وينكرونَ إنْ كانت تلكَ المصلحةُ لا تتحققُ إلَّا بالمواجهةِ أو المجابهةِ.





الإرشاد بين اللغة والقرآن

الإرشاد في أصله اللغوي من مادة رُشِدٍ، وهي قرآنيًا ضِدُّ الغيِّ، قال تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾⁽¹⁾، فالرشد إصابة الطريق الصحيح، والإرشاد للدلالة عليه، وهذا يعني أنَّ كلَّ عملٍ يهدي إلى الطريق الصحيح، سواءً أكان في تزكية النفس أم في إصلاح شأنٍ عام، فهو من صميم معنى الإرشاد الذي تأمَّر به الطريقة الكسنزانية.

لقد وضع القرآن الكريم منهجَ هذا الإرشاد في آيةٍ جامعةٍ، قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾⁽²⁾، فالحكمة والموعظة الحسنة ليستا أسلوبين للوعظ الفردي وحده، إنما هما منهجٌ شاملٌ لكلِّ دعوةٍ إلى الخير، فرديةٌ كانت أم عامة، شخصيةٌ أم سياسية.

يقولُ السلطان محمدُ محمدٍ الكسنزان (قُدس سره): "تحركوا للإرشاد، ومن خلال الإرشاد تستطيعون أن تفعلوا كُلَّ شيءٍ، لكنكم إذا توقفتُم عن حركة الإرشاد فإنَّ المَدَدَ سيتوقف عنكم، ابدؤوا بأورادكم وجددوها، والتزموا بأوامر الطريقة حتى تنجحوا إن شاء الله في مساعدة أخوكم نهرو في الانتخابات".

هذه الكلمات تختصرُ منهجاً كاملاً في فهم الإرشاد، إذ وكما هو واضحٌ في النصِّ المبارك، أنَّ الإرشاد هو المحرك الذي يربط بين استمرار المدد الروحي، واستمرار العمل في الواقع، وقد جمعَ حضرة السلطان (قُدس سره) في كلمةٍ واحدةٍ بين: تجديد الأوراد والنجاح في العمل السياسي. هذا الجمعُ بذاته دليلٌ على أنَّ الإرشاد في العقيدة الصوفية الكسنزانية، لا يُفَرِّق بين إصلاح القلب وإصلاح المجتمع.

1 - [البقرة: 256].

2 - [النحل: 125].

الإرشاد... دعوة مزدوجة التوجه

الإرشاد كلمة مباركة مركبة، أو ثنائية التوجه، فمن جهة هي تدعو إلى ذكر الله تعالى من خلال إصلاح النفس، ومن جهة أخرى تدعو إلى ذكر الله تعالى من خلال إصلاح الواقع السياسي أو القانوني أو الاجتماعي.

هذا الازدواج نفسه وصفته آية واحدة جامعة في سورة الحج، وردت في سياق الإذن بالدفاع عمن أخرج من داره بغير حق، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾⁽¹⁾.

هذه الآية الكريمة تصف علامة صادقة لمن ينصر الله ودينه، فليس كل من ادعى نصرته الحق صادق في دعواه، إنما الصادق من جمع بين أمرين عند التمكين: إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، وهما شأن إصلاح النفس، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وشأن إصلاح المجتمع والسياسة العامة.

نقل ابن كثير في تفسيره أن الصباح بن سواده الكندي قال: «سمعت عمر بن عبد العزيز يخطب وهو يقول: ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾... الآية، ثم قال: إلا أنها ليست على الوالي وحده، ولكنها على الوالي والمولى عليه، ألا أنبئكم بما لكم على الوالي من ذلكم، وبما للوالي عليكم منه؟ إن لكم على الوالي من ذلكم أن يؤخذكم بحقوق الله عليكم، وأن يأخذ لبعضكم من بعض، وأن يهديكم للتي هي أقوم ما استطاع، وإن عليكم من ذلك الطاعة غير المبزوزة ولا المستكرهة، ولا المخالف سيرها علانياتها»⁽²⁾.

1 - [الحج: 41].

2 - ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، المحقق: سامي بن محمد السلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض - السعودية، ط2، 1999م، ج5 ص437.

فهنا فهمم بالغ الأهمية، ذلك أن عمر بن عبد العزيز وهو خليفة أموي، فسر الآية بنفسه على أنها عهد متبادل بين الحاكم والمحكوم، لا واجباً يقع على الوالي وحده، وهذا يوسع دائرة ازدواج من ازدواج فردي، صلاة وأمرٌ بمعروفٍ، إلى ازدواج مؤسسي، حاكمٌ ومحكومٌ.

لاحظ أيضاً أن الآية ربطت هذا الازدواج بشرط التمكين في الأرض نفسه، فلم تجعله فضيلةً اختياريةً بعد نيل السلطة أو النفوذ، بل جعلته العلامة التي يُعرف بها صدقُ دعوى النصرة أصلاً، وهذا يعني أن السعي إلى موقع يُمكن صاحبه من خدمة الناس، كموقع سياسي أو تمثيلي، ليس أمراً منفصلاً عن الإرشاد، بل بالعكس هو ميدانٌ تتحقق فيه العلامة القرآنية نفسها متى اقترن بإقامة الصلاة والزكاة من جهة، وبالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من جهة أخرى.

بتعبير آخر، نية الإرشاد ينبغي أن تُطور بحيث تكون شاملةً لإصلاح العباد وإعمار البلاد معاً، فلا يكتمل أحد الجانبين بمعزلٍ عن الآخر، ذلك أن إصلاح النفس بلا أثر في الواقع يبقى ناقصاً، وإصلاح الواقع بلا تزكية للنفس يفتقر إلى الروح التي تحفظه من الانحراف.

الوطن مسجدُ المريد

هذه الرؤية المزدوجة للإصلاح لم تكن يوماً فهماً حديثاً، إنما كانت مهمة الأنبياء جميعاً، فلم يأت أحدٌ منهم لينزوي في معبدٍ بنفسه. نعم كانت لهم خلوات ورياضاتٌ وقتية، لكن معابدهم الحقيقية وبصورة عامة، كانت أرض الله الواسعة، وقائدهم الأعظم سيدنا محمد ﷺ الذي جسد أكرم مثال، بل برهانٍ على ذلك، ومن بعده ورثته الكرام (قدست أسرارهم أجمعين).

من مظاهر ذلك في السنة النبوية المطهرة، أن الله تعالى خصَّ نبيه ﷺ بخاصية لم تكن لنبيٍّ قبله، فجعل له الأرض كلها مسجداً

وطهوراً، وكما ثبت في الحديث الشريف، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ﴿جُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِداً وَطُهوراً﴾⁽¹⁾.

هذا الحديث بذاته يحمل دلالة عميقة، فحين تصبح الأرض كلها مسجداً، لا يبقى للعبادة موضع محصور تنحصر فيه، ولا يبقى للإرشاد وظيفته تنتهي عند جدران معبد، فهو يمتد إلى كل موضع يطؤه المؤمن، وإلى كل ميدان يعمل فيه.

إن كلمة مسجد نفسها، في أصلها اللغوي، اسم مكان من سجد، أي موضع السجود، والسجود في القرآن الكريم لا ينحصر في هيئة الركوع والسجود في الصلاة وحدها، إنما يستعمل أيضاً للدلالة على الخضوع والانقياد لأمر الله تعالى في الكون كله، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ﴾⁽²⁾، فالسجود هنا امتثال كل مخلوق لوظيفته التي خلق من أجلها، لا هيئة بدنية بعينها.

وإذا كان الأمر كذلك، فإن جعل الأرض كلها مسجداً لا يعني فقط أن كل بقعة فيها صالحة لأداء الصلاة، بل يحمل أيضاً إشارة إلى أن كل بقعة فيها صالحة لأن تكون ميداناً للعمل الصالح الذي هو نوع من السجود لأمر الله تعالى وابتغاء وجهه.

يؤكد هذا المعنى حديث آخر صحيح، يوسع دائرة الفهم والعمل بالصدقة، وهي عبادة، تشمل أفعالا يومية عادية، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: ﴿كُلُّ سُلَامَى مِنَ النَّاسِ عَلَيْهِ صَدَقَةٌ، كُلَّ يَوْمٍ تَطْلُعُ فِيهِ الشَّمْسُ، يَعدُلُ بَيْنَ اثْنَيْنِ صَدَقَةٌ، وَيَعيُنُ الرَّجُلَ عَلَى دَابَّتِهِ فَيَحْمِلُهُ عَلَيْهَا أَوْ يَرْفَعُ عَلَيْهَا مَتَاعَهُ صَدَقَةٌ، وَالْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ، وَبِكُلِّ خُطْوَةٍ

1 - أبو نعيم الاصفهاني، المسند المستخرج على صحيح الإمام مسلم، المحقق: محمد حسن الشافعي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1996م، حديث رقم [1150]، ج2 ص125.

2 - [الحج: 18].

يمشيها إلى الصلاة صدقةً، ويميط الأذى عن الطريق صدقةً⁽¹⁾.
ومعنى السلامي هو أنَّ «تركيبُ العظام [في جسم الإنسان] وسلامتها من أعظم نعم الله على عبده، فيحتاج كلُّ عظم منها إلى صدقة يتصدق ابنُ آدم عنه؛ ليكونَ ذلك شكرياً لهذه النعمة»⁽²⁾.
كما أنَّ من الأخذ بالركاب، أي المساعدة على ركوب الدابة أو المركبة في العصر الحديث، هو صدقة «وقد أخذ ابنُ عباسٍ بركابِ زيد بن ثابت فقال له: لا تفعلْ يا ابنَ عمِ رسولِ الله ﷺ. فقال: هكذا أمرنا أنْ نفعلَ بعلمائنا، فأخذَ زيدُ بيدِ ابنِ عباسٍ فقبلها، فقال له: لا تفعلْ. فقال: هكذا أمرنا أنْ نفعلَ بآلِ رسولِ الله ﷺ»⁽³⁾.

فالحديث الشريف يبين أنَّ الإصلاح بين اثنين، ومساعدة محتاج، وإمالة الأذى عن الطريق، أفعالٌ دنيويةٌ في ظاهرها، لكنَّ النبي ﷺ عدها صدقةً، أي عبادةً، حينَ تصحبُ النيةَ خالصةً لله تعالى.
من هذه النصوص مجتمعةً، القرآنية والنبوية، يتضح أنَّ الأرض حينَ جُعِلت مسجداً، لم يكن الأمرُ مقتصرًا على رفع القيد المكاني عن الصلاة، بل هو متضمنٌ لرفع القيد عن كلِّ عملٍ صالح يُبتغى به وجهُ الله أيضاً، فالتكية والميدان السياسي وقاعة الانتخابات أو عموم الوطن بما فيه من أماكنٍ عملٍ كُلُّها مواضعٌ سجودٍ، بمعنى الخضوع لأمرِ الله والعملِ بمقتضى مُرادِهِ، تماماً كما أنَّ المسجدَ المبني موضعٌ سجودٍ بمعناه الحرفي.

1 - أخرجه البخاري في صحيحه، حديث رقم [2827]، ج 3 ص 1090.

2 - ابن رجب الحنبلي البغدادي، جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم، المحقق: الدكتور محمد الأحمد أبو النور، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط 2، 2004م، ج 2 ص 708.

3 - ابن الملقن، التوضيح لشرح الجامع الصحيح، المحقق: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، دار النوادر، دمشق - سوريا، ط 1، 2008م، حديث رقم [2989]، ج 18 ص 121.

وما الإرشادُ إلا تزكيةُ النفسِ والوطنِ

يُشكِّلُ على بعضهم فهمُ المقصودِ بكلمةِ الإرشادِ، فيظنها مقتصرةً على الشأنِ الخاصِ (الطريقةُ) في حين أنَّ دائرتها أوسعُ من ذلك فهي تشملُ الشأنَ العامَ (الوطن).

لدينا أصلٌ نبويٌّ صريحٌ صحيحٌ بهذا الخصوصِ فقد قالَ النبيُّ ﷺ: ﴿الدينُ النصيحةُ﴾، قلنا: لمن؟ قال: ﴿لِلَّهِ، وَلِكِتَابِهِ، وَلِرَسُولِهِ، وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ، وَعَامَتِهِمْ﴾⁽¹⁾.

هذا الحديثُ المباركُ يوسِّعُ دائرةَ الإرشادِ بنصِّ صريحٍ لتشملَ أئمةَ المسلمين، أي ولايةَ الأمرِ والحكام، إلى جانبِ عامةِ الناسِ، فلا يبقى مجالٌ للقولِ بأنَّ الإرشادَ شأنٌ خاصٌّ منحصرٌ في تزكيةِ النفسِ، وكيف يكون ذلك وهو يمتدُّ ليشملَ النصيحَ للحاكمِ والمحكومِ على حدٍّ سواء! هذا هو بعينه المعنى الذي أرادَهُ حضرةُ السلطانِ محمدِ المحمدي الكسنزان (قُدست أسرارُهُ المباركةُ) حينَ ربطَ بينَ الإرشادِ والمشاركةِ في الانتخاباتِ، فعلى الخليفةِ والمرشدِ والمريدِ أنْ يعوا الترابطَ الصميميَ بينَ الشأنيين، والتزكيتين: شأنُ النفسِ وتزكيتها وشأنُ المجتمعِ وتزكيتِهِ.

بركةُ الإصلاحِ المُسدَدِ بالمددِ

ميزةُ إصلاحِ الأوطانِ عن طريقِ الإرشادِ أنَّ ذلكَ الإصلاحَ يكونُ مسدداً بالمددِ والهمةِ الروحيةِ، يعني أنْ يَتِمَّ إصلاحُهُ فيكونُ مباركاً بنورِ الطريقةِ.

كلمةُ مددٍ نفسَها، في أصلها اللغوي، ليستُ تعبيراً صوفياً مستحدثاً، إنما هي مصطلحٌ عربيٌّ أصيلٌ له جذرٌ عسكريٌّ دقيقٌ. جاء في لسانِ العربِ لابنِ منظور: مددنا القومَ، أي صرنا لهم

1 - مسند أحمد، مصدر سابق، حديث رقم [16940]، ج 28 ص 138.

أنصاراً ومدداً، وأمددناهم بغيرنا، وقال سيبويه: المدد ما مدهم به أو أمدهم، والجمع أمداد، والمدد العساكر التي تلحق بالمغازي في سبيل الله⁽¹⁾.

هذا التعريف اللغوي يكشف أن المدد في أصله قوة إضافية تلحق بمن يخوض معركة أو مهمة شاقة، وطاقته لا تعينه بمفرده على إتمامها، فتأتيه نجدة من خارج طاقته الذاتية.

وهذا هو بعينه ما وقع تاريخياً في أعظم معارك الإسلام، فقد استغاث المسلمون ربهم يوم بدر وهم في أشد ضيق العدد والعدة، فاستجاب الله لهم، قال تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَبَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْفِ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدَفِينَ﴾⁽²⁾، فلاحظ أن المدد هنا لم ينزل على قوم قاعدين، بل نزل على قوم استغاثوا وهم في ساحة الفعل والمواجهة، مستنفدين طاقتهم البشرية، فجاءهم المدد إتماماً لجهدهم لا بديلاً عنه.

هذا الأصل هو عين ما نوصي به، وننصح فيه من ضرورة العمل في إصلاح الوطن، والمقصود: بذل الجهد الكامل أولاً، قبل أن يأتي المدد. المدد يأتي ليسدد الجهد ويثمره، لا ليغني عنه.

هذا الفارق في الفهم والاعتقاد والعمل هو ما يميز المريد السالك عن عمل المصلح العادي، فكلاهما قد يسعى إلى النتيجة نفسها، إصلاح قانون أو تغيير واقع أو دعم مرشح كفء، غير أن عمل المريد مسنود بمدد لا ينقطع ما دام متمسكاً بأوراده وملتزماً بأوامر شيخه.

إن قولنا بالتمسك المتوارث روحياً من حضرة أستاذنا وشيخنا وسيّدنا عبد القادر الكيلاني (قدّس سره) باشتراط التلازم بين الورد والمدد، له أصل في الحديث القدسي المبارك، فقد جاء

1 - ابن منظور، لسان العرب، دار صادر - بيروت، ط3، 1414 هـ، ج3 ص398.

2 - [الأنفال: 9].

عن حضرة النبي ﷺ فيما يرويهِ عن ربهِ عزَّ وجلَّ: ﴿أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ حِينَ يَذْكُرُنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَأٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَأٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ، وَإِنْ اقْتَرَبَ إِلَيَّ شَبْرًا اقْتَرَبْتُ مِنْهُ ذِرَاعًا، وَإِنْ اقْتَرَبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا اقْتَرَبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً﴾⁽¹⁾.

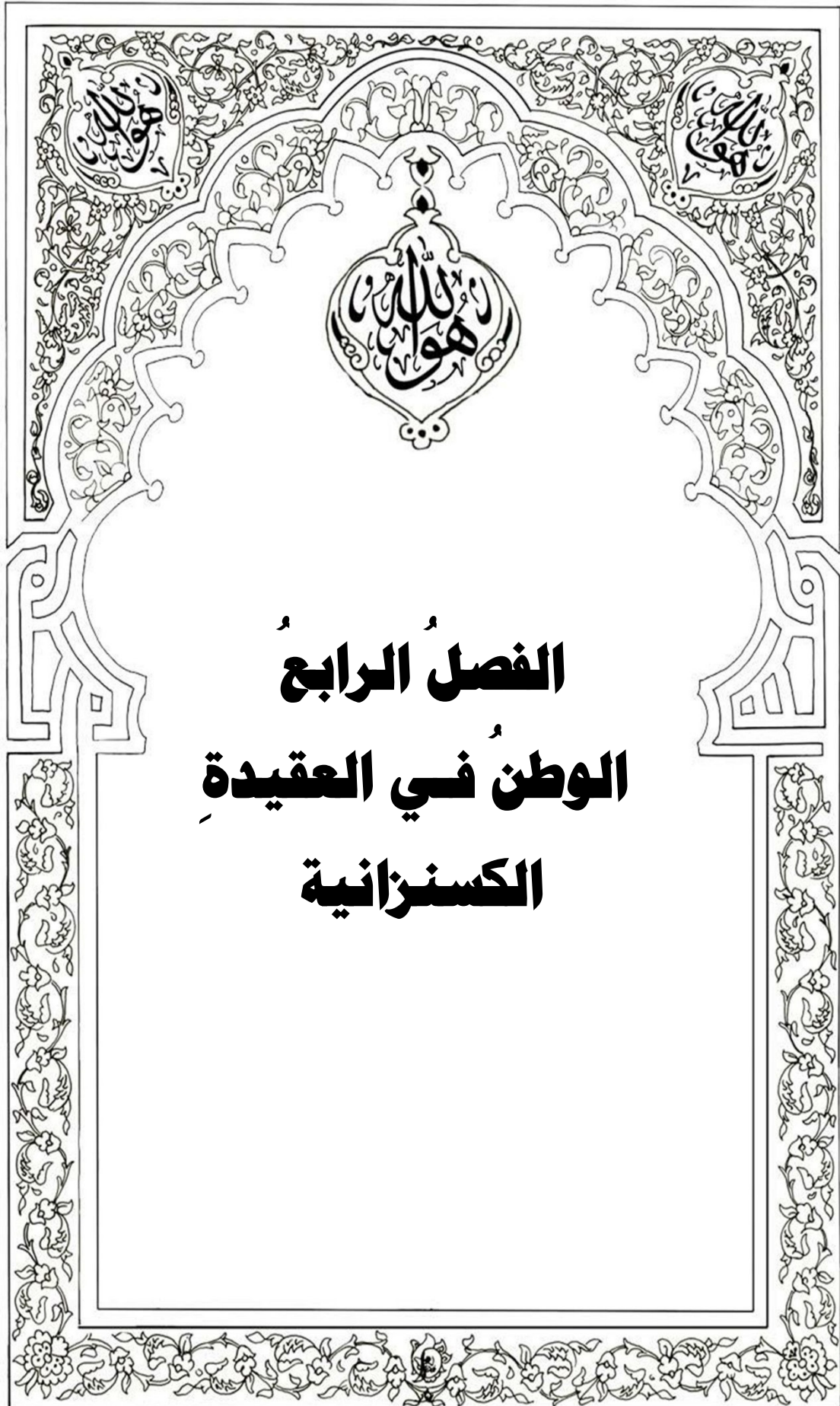
هذا الحديثُ يرسمُ قانوناً عاماً لعلاقة العبدِ بربه، وهو أنَّ عطاءَ اللهِ متناسباً مع سعي العبدِ لا منقطعاً عنه، فكلما ازداد العبدُ قرباً بالطاعة والذكر، ازدادَ اللهُ له قرباً وعطاءً بما لا يقاسُ بسعيه، وهذا هو عينُ معنى المددِ الذي يربطهُ حضرةُ السلطانِ محمدُ المحمديُّ الكسنزان قُدس سره بتجديد الأوراد، فالوردُ هو أداةُ القربِ المستمر، وانقطاعه انقطاعٌ لأداةِ القربِ نفسِها، لا للاستحقاقِ فقط.

وعلى النقيض من ذلك، وردَ التحذيرُ من عاقبةِ الإعراض، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾⁽²⁾، فالإعراضُ عن الذكرِ لا يتركُ الحالَ كما هو، هو يُورثُ ضيقاً وحرماناً، وهذا نظيرُ انقطاعِ المددِ الذي حذرَ منه حضرةُ السلطان. من هذا كَلِّهِ يتضحُ أنَّ الإرشادَ هو وسيلةُ الإصلاحِ الجامعةُ التي تصلُ ما انفصلَ عندَ غيره، يصلُ بين القلبِ والمجتمعِ، وبينَ الذكرِ والعملِ، وبينَ الدنيا والآخرة، وبينَ جهدِ العبدِ ومددِ ربه.

1 - الترمذي، الجامع الكبير (سنن الترمذي)، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: بشار عواد معروف، دار

الغرب الإسلامي - بيروت، ط1، 1996 م، حديث رقم [3603]، ج5 ص553.

2 - [طه: 124].



الوطن في العقيدة الكسنزانية

يقول حضرة السلطان محمد المحمد الكسنزان (قدّست أسرارهُ):
”وطنكم العراقُ وطنُ الكلِّ، يجبُ على الكلِّ أن يخدمَ العراقَ،
(حبُّ الوطنِ من الإيمان)، هذا الحبُّ جزءٌ من إيماننا، من
عقيدتنا.“

التعريفُ بالعقيدة

حين يقولُ حضرة السلطان (قدّس سره):

”هذا جزءٌ من إيماننا، من عقيدتنا“، فالواضحُ لنا أنه يستدعي
بهذا اللفظِ بالذاتِ حقلاً دلاليّاً محدداً له جذرٌ لغويٌّ، ومعنىٌّ
اصطلاحيٌّ فقهيٌّ، وبعدُ ذوقٍ صوفيٍّ، بحيثُ يجتمعُ الثلاثةُ على
مقصدٍ واحدٍ، وفيما يلي تبيانٌ موجزٌ لهذا الحقلِ وما يدلُّ عليه:

العقيدة في اللغة:

عقيدة: في أصلها اللغوي من مادة عقد، «يدلُّ على شَدٍّ وشِدَّةٍ
ووثوقٍ»⁽¹⁾ فهي تفيّدُ الشَّدَّ والربطَ والإحكامَ، يقالُ: عقدَ الحبلَ إذا
شدهُ بإحكامٍ بحيثُ لا ينحلُّ، وعقدَ البيعَ إذا أبرمه إبراماً لازماً، ومنه
سُميَ العهدُ الملزماً عقداً.

فالعقيدة إذا ما عُقدَ عليه القلبُ عقداً مُحكماً لا ينفك، بخلافِ
الرأيِ أو وجهةِ النَّظرِ التي تقبلُ المراجعةَ والتبديلَ لكونها فكرةً عابرةً
يمكنُ أن تتغيَّرَ بتغيُّرِ المزاجِ أو الظرفِ.

1 - ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج 4 ص 86.

العقيدة في الاصطلاح الفقهي:

فرق علماء أصول الدين بين نوعين من مسائل الشريعة:

- مسائل أصول الدين: وهي العقيدة.

- ومسائل فروع الدين: وهي الفقه.

وذهبوا إلى أن مناط الفرق بين هذين النوعين يعود إلى طبيعة الارتباط بالمصير الأخرى. ففي الفقه، يجتهد المجتهد فيصيب أو يخطئ، وله في الحالتين أجر، كما ثبت في الحديث الشريف: ﴿إِذَا حَكَمَ الْحَاكِمُ فَاجْتَهَدَ فَأَصَابَ فَلَهُ أَجْرَانِ، وَإِذَا حَكَمَ وَاجْتَهَدَ فَأَخْطَأَ فَلَهُ أَجْرٌ﴾⁽¹⁾.

أما في العقيدة، فالخطأ لا يعد مجرد نقص علمي يُعذر صاحبه، إنما هو زللٌ مصيري، قد يبلغ حد الخروج من الملة بالكلية، لأنَّ مسائل العقيدة هي بعينها المعايير التي يُقاس بها القبول والرد عند الله تعالى، النجاة أو الهلاك، فهي ليست مجرد فهم أو استنباطات اجتهادية.

من هنا فهم علماء الأصول أن وصف مسألة بأنها من العقيدة يعني أنها ليست موضع اجتهاد يسع فيه الخلاف، لأنها أمرٌ قطعيٌّ يترتب عليه مباشرة حكمٌ أخرويٌّ، وهذا هو الفارق الأساسي الذي يجعل استعمال حضرة السلطان (قدس سره) للفظ عقيدة هنا استعمالاً مقصوداً، لا مجرد تعبير حماسي.

1 - الإمام الشافعي: مسند الإمام الشافعي، حقق نصوصه وخرج أحاديثه وعلق عليه: ماهر ياسين فحل، شركة غراس للنشر والتوزيع، الكويت، 1، ط 2004م، حديث رقم [1684]، ج 4 ص 7.

العقيدة في البعد الصوفي:

أما البعد الذي يضيفه أهل التصوف على هذا المعنى الفقهي، فهو أدق وأعمق، إذ لا يكتفون بأن تكون العقيدة أمراً قطعياً في الحكم، إنما يطلبون أن تتحول من علم مجرد أو نظري في الفكر إلى مشهد حاضر في القلب الآن.

وقد أخذ علماء الصوفية، التدرج بالانتقال من العلم إلى الشهود من آيات قرآنية عديدة، لعل أوضحها، قوله تعالى في سورة التكاثر: ﴿كَلا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ﴾⁽¹⁾، ثم ﴿لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ﴾⁽²⁾، ثم ﴿ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ﴾⁽³⁾، فذكروا أن مراتب اليقين ثلاث:

علم اليقين: وهو ما كان عن دليل وبرهان.

يقول الشيخ ابن عربي (قدس سره): «علم اليقين، ما أعطاه الدليل الذي لا يتحمل الشبهة الواردة من الخاطر»⁽⁴⁾.

وعين اليقين: وهو ما كان عن مشاهدة وانكشاف.

يقول الشيخ محمد بن زياد العليماني: «عين اليقين: هو ما تعلق به المشاهدة وإن كان بشرط البعد»⁽⁵⁾.

وحق اليقين: وهو ما كان عن ملاسة ومخالطة.

يقول العارف بالله الشيخ الجنيد البغدادي (قدس سره): «حق اليقين: هو أن يشاهد الغيوب، كما يشاهد المرئيات

1 - [التكاثر: 5].

2 - [التكاثر: 6].

3 - [التكاثر: 7].

4 - الشيخ ابن عربي، الفتوحات المكية، المجلس الأعلى للثقافة- مصر، ط2، 2013م، ج2 ص132. نقلا عن موسوعة الكسنزان فيما اصطلح عليه أهل التصوف والعرفان، (24 مجلد)، ط1، دار المحبة، دمشق 2005م، ج22 ص382.

5 - الشيخ محمد بن زياد العليماني، مخطوطة نهج الخواص إلى جناب الخاص، ص62. نقلا عن: موسوعة الكسنزان فيما اصطلح عليه أهل التصوف والعرفان، مصدر سابق، ج22 ص387.

مشاهدةً عيانٍ، ويحكمُ على الغيبِ، فيخبرُ عنه بالصدق»⁽¹⁾.
ومثاله: أنْ تعلمَ بالدليلِ أنَّ الكعبةَ موجودةٌ، فذلكَ علمُ اليقينِ،
فإذا رأيَتها بعينِكَ فذلكَ عينُ اليقينِ، فإذا دخلَتها ولمسَ استارَها،
وقبلتَ حجرَها، فذلكَ حقُّ اليقينِ.

قالَ العارفُ باللهِ الشيخُ ابنُ عجيبةٍ (رحمه الله): «علمُ اليقينِ
لأهلِ الدليلِ والبرهانِ، وعينُ اليقينِ لأهلِ الكشفِ والبيانِ، وحقُّ
اليقينِ لأهلِ الشُّهودِ والعيانِ»⁽²⁾.

إنَّ المتحقِّقَ باليقينِ لا ينتظرُ يومَ القيامةِ ليرى الجحيمَ أو الجنةَ،
إنما يراها الآنَ بعينِ قلبه، فيتعاملُ مع الآخرةِ بوصفها حاضرةً معه
في لحظتهِ الراهنةِ، لا غائبةً عنه إلى أجلٍ مسمى.

هذا هو بالضبطِ المعنى الذي يجعلُ استعمالَ حضرةِ
السلطانِ (قدّس سره) للفظَةِ عقيدةٍ مرتبطاً بالآخرةِ ارتباطاً
واقعيّاً أنيائاً، لا نظريّاً مؤجلاً، فحينَ يصفُ حبَّ الوطنِ بأنه جزءٌ من
عقيدتنا، فإنه (قدّس سره) ينيّرُ الطريقَ أمامَ المريدِ أو المؤمنِ
ليرى أنَّ ميزانَ هذا الأمرِ منصوبٌ الآنَ، في هذهِ اللحظةِ، وأنَّ
كلَ خطوةٍ يخطوها المريدُ في خدمةِ وطنهِ محسوبةٌ عليه أو له،
في سجلِّ حاضرٍ، قالَ تعالى: ﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنْتُمْ
تَعْمَلُونَ﴾⁽³⁾.

الخلاصةُ: اجتماعُ هذهِ المعاني الثلاثةِ، الربطُ اللغويُّ المحكمُ الذي
لا ينحلُّ، والقطعيةُ الفقهيةُ التي لا تحتملُ الاجتهادَ أو الخطأَ
المعذورَ، والحضورُ الصوفي الذي يجعلُ الآخرةَ مشهودةً الآنَ لا

1 - الشيخ عمر السهروردي، عوارف المعارف، مكتبة القاهرة- ميدان الأزهر الشريف، ط5، 2004م، ص

250. نقلا عن موسوعة الكسنزان، ج22 ص391.

2 - العارف بالله أحمد بن عجيبة، إيقاظ الهمم في شرح الحكم، تقديم ومراجعة: محمد أحمد حسب

الله، دار المعارف، كورنيش النيل - مصر، ج1 ص68. نقلا عن موسوعة الكسنزان، ج22 ص398.

3 - [الجائية: 29].

مؤجلةً، يفسرُ سبب اختيار حضرة السلطان (قدّس سره) لفظةَ
(عقيدتنا) بالذاتِ دونَ سواها حينَ تحدّثَ عنُ حبِّ الوطن، فهو بهذا
الاختيارِ اللفظي الدقيقِ أدخلَ (حبَّ الوطنِ) في دائرة ما يُعقدُ عليه
القلبُ عقداً لا ينفك، وما يحاسبُ عليه العبدُ حساباً حاضراً لا غائباً.



حب الوطن ومبدأ الشمول

جاء في مقولة حضرة السلطان (قدّس سره): " وطنكم العراق وطن الكل، يجب على الكل أن يخدم العراق "، والواضح لنا أن حضرة يركّز بعناية على التأسيس العقائدي لمبدأ الشمول في حب الوطن، وخلاصة هذا المبدأ: إنّ جميع من ينتسب للعراق بصورة خاصة ولأي وطن بصورة عامة- أفراداً أو طوائفاً أو مذاهباً أو أدياناً أو أعراقاً- فإنهم جميعاً ملزمون وجوباً بخدمة الوطن والدفاع عنه، لا أن الأمر حكر على طائفة أو قومية. الوطن وطن الكل، والعمل لأجل استقراره وازدهاره مشمول به الجميع على قدم المساواة، كلّ من موقعه أو ما يقع في دائرة استطاعته.

في الحقيقة، مبدأ شمولية الوطنية لجميع أفراد ومكونات أبناء الوطن له أصل نبويّ مطهر راسخ، فقد أسس له حضرة الرسول الأعظم ﷺ في أول وثيقة عقد اجتماعي وسياسي مكتوبة في الرسالة المحمدية، والتي سُميت بـ(وثيقة المدينة)، وهي وثيقة أو عقد اجتماعي موسّع نسبياً، تضمنت بنوداً كثيرة (68 بنداً)⁽¹⁾،

-
- 1 - وصلت إلينا نصوص هذه الصحيفة كاملة من خلال كتاب السيرة النبوية لابن هشام، وكذلك من خلال كتاب الأموال لأبي عبيد القاسم بن سلام، كما وصل إلينا شيء من المقتطفات منها من خلال كتب عدد من المؤرخين والمحدثين:
 - عبد الملك بن هشام، السيرة النبوية لابن هشام، تحقيق: مصطفى السقا، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط2، 1955م ج1 ص501-504.
 - أبو عبيد القاسم بن سلام البغدادي، كتاب الأموال، المحقق: خليل محمد هراس، دار الفكر- بيروت، ص202-207.
 - محمد بن عمر بن الواقدي، المغازي، تحقيق: د.مارسدن جونس، جامعة أكسفورد - لندن، 1966م، ص138.
 - أبو الفداء إسماعيل بن كثير، البداية والنهاية، تحقيق: د. محيي الدين ديب مستو وآخرون، دار ابن كثير، دمشق - بيروت، ط3، 2013 م، ج3 ص224.
 - البخاري، مصدر سابق، ج4 ص224.
 - محمد حميد الله الحيدر آبادي الهندي، مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، دار النفائس - بيروت، ط6، 1407هـ، ص15-21.

تستحقُّ قراءةً معمقةً، ودراسةً مفصلةً، غير أنَّنا سنقتصرُ هنا على ذكرِ موطنِ الشاهدِ المتعلِّقِ ببعضِ البنودِ التي تخدمُ فكرةَ (وطنُ الكلِّ) من زوايا مختلفة:

البندُ الأول: التأسيسُ الجامع

جاءَ فيه: «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، هذا كتابٌ من محمدٍ النَّبِيِّ ﷺ، بينَ المؤمنينَ والمسلمينَ، منَ قريشٍ ويثرب، ومنَ تبعهم فلحقَ بهم وجاهدَ معهم، إنهم أُمَّةٌ واحدةٌ منَ دونِ الناسِ».

هذا البندُ جعلَ منَ المهاجرينَ والأنصارِ، على اختلافِ قبائلهم وأنسابهم، كياناً واحداً، فنقلَ العربَ منَ مستوى القبيلةِ الضيقِ إلى مستوى الأمةِ الجامعة.

البندُ الثاني: إقرارُ التعددِ داخلَ الوحدةِ

ذُكرَ فيها: أنَّ لليهودِ دينهم وللمؤمنينَ دينهم، بمعنى أنَّ الوحدةَ السياسيةَ لم تفرضْ ذوباناً دينياً أو ثقافياً، إنما حفظتْ لكلِّ طائفةٍ أو شريعةٍ خصوصيتها مع جمعها في كيانٍ واحدٍ.

البندُ الثالث: التكافلُ في الدفاع

وجاءَ في الوثيقة: إنَّ بينهم النصرُ على منَ حاربَ أهلَ هذه الصحيفة، فأوجبَتْ الوثيقةُ نُصرةً مُشتركةً ضدَّ أيِّ عدوانٍ خارجيٍّ يستهدفُ المدينةَ، بصرفِ النظرِ عن الدين.

البندُ الرابع: مرجعيةُ العدلِ المشتركةِ

وكرست الوثيقةُ فكرةَ: إنكم مهما اختلفتم فيه من شيءٍ فإنَّ مرَدُّهُ إلى اللَّهِ عزَّ وجلَّ وإلى محمدٍ ﷺ، فحينَ يقعُ خلافٌ بينَ مكوناتِ هذا الوطنِ الواحدِ، يحتكمُ الجميعُ إلى مرجعيةِ عدلٍ واحدةٍ، لا إلى عصبيةٍ كلِّ طائفةٍ لنفسِها.

هذه البنود الأربعة مجتمعة: الوحدة السياسية، والتعدد الديني المحفوظ، والتكافل الدفاعي، والمرجعية العادلة المشتركة، هي بعينها الأركان التي يقوم عليها مؤسسات الدولة الحديثة، والتي تعدّ التمثّل الواقعيّ لمعنى كلمة سلطان الطريقة (قدّس سره): "وطنكم العراق وطن الكل".

وثيقة المدينة الوطنية.. وثيقة الدنيا والآخرة

أرسى حضرة النبي ﷺ في هذه الوثيقة ضماناً شخصية صارمة، فقال: ﴿أَلَا مَنْ ظَلَمَ مَعَاهِدًا، أَوْ انْتَقَصَهُ، أَوْ كَلَفَهُ فَوْقَ طَاقَتِهِ، أَوْ أَخَذَ مِنْهُ شَيْئًا بِغَيْرِ طَيِّبِ نَفْسٍ، فَأَنَا حَجِيجُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾⁽¹⁾، فلاحظ خطورة هذا الوعيد، فحضرة النبي ﷺ لا يكتفي بوصف ظالم المعاهد بارتكاب الإثم فحسب، بل يقول: إنه شخصياً ﷺ سيكون خصمه أمام الله تعالى يوم القيامة، وهذه أعلى درجة من درجات التحذير التي يمكن أن يصوغها نص نبويّ في عقد اجتماعيّ.

الأهم من الناحية الصوفية، التيقن بأن أعمال الدنيا مربوطة بالآخرة، فالجزاء لا يكون في الدنيا فقط، بل في الدنيا والآخرة معاً.

بتعبير آخر: العقيدة الوطنية فيها جانبان متتامان متلازمان غير منفصلين: دنيويّ وأخرويّ، فمن ظلم شريكه في الوطن، ولو كان مختلفاً عنه في الدين أو الملة، فسيجد نفسه يوم القيامة في خصومة مباشرة مع سيد الخلق ﷺ.

1 - محمد عبد الله الأعظمي المعروف بـ(الضياء)، الجامع الكامل في الحديث الصحيح الشامل المرتب على أبواب الفقه، دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض - المملكة العربية السعودية، ط1، 2016م، ج7 ص382.

العهدُ العمريةُ أنموذجاً

في عهدِ الخلافةِ العمرية، وحينَ فتحَ الخليفةُ عمرُ بنُ الخطابِ رضي الله عنه بيتَ المقدس، كتبَ لأهلها عهداً مشهوراً باسمِ (العهدِ العمرية)، جاءَ فيه: «هذا ما أعطى عبدُ اللهِ عمرُ أميرُ المؤمنينَ أهلَ إيلياءَ منَ الأمانِ، أعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم ولكنائسهم وصلبانهم، أنه لا تُسكنُ كنائسهم ولا تهدمُ ولا يُنتَقَصُ منها ولا منُ حيزها، ولا يُكرهونَ على دينهم، ولا يضارُ أحدٌ منهم»⁽¹⁾.

هذا العهدُ يثبتُ أنَّ مبدأً (وطنُ الكلِّ) ليسَ التزاماً شخصياً لحضرةِ النبي ﷺ وحده، إنما هو منهجٌ مؤسسيُّ انتقلَ إلى الخلفاءِ من بعده عليه السلام، وصارَ سنةً متبعةً في كلِّ أرضٍ دخلها المحمديون.

استشكالُ الوطنِ والأمة

قد يسألُ أحدهم مستشكلاً قائلاً: أليسَ الانتماءُ الأولُ للمؤمنِ هو الأمةُ المحمديةُ الجامعة، فكيفَ يستقيمُ مع ذلكَ التأكيدُ على الهويةِ الوطنيةِ العراقيةِ بعينها؟

الجواب: الحقُّ أنه لا تعارضَ بينَ الأمرينِ إذا فهمَ كلُّ منهما في موضعه الصحيح. فوثيقةُ المدينةِ نفسها لم تلغِ الانتماءَ الأوسع، إنما أسستْ انتماءً سياسياً محلياً، أمةً واحدةً من دونِ الناس، داخلَ الأمةِ الإسلاميةِ الأوسعِ التي كانتْ لا تزالُ في طورِ التكوينِ.

الانتماءُ الوطنيُّ عندَ حضرةِ السلطانِ (قدّس سره)، هو درجةٌ من درجاتِ الانتماءِ لا بديلاً عن غيره، وهذه الدرجةُ تخصُّ أهلَ الأرضِ الواحدةِ بحقوقٍ وواجباتٍ متبادلةٍ، دونَ أنْ تلغي أخوةَ الدين الجامعةَ لكلِّ المسلمين أينما كانوا.

بعبارةٍ أخرى، كلُّ عراقيٍّ مسلمٍ منتِمٍ إلى دائرتين متداخلتين لا

1 - ابن جرير الطبري، تاريخ الطبري (تاريخ الرسل والملوك)، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف بمصر، ط3، 1967م، ج3 ص609.

متنافرتين، دائرة الأمة الإسلامية، ودائرة الوطن العراقي، ولكل دائرة حقوقها وواجباتها الخاصة، ولا تضاد بينهما ما دامت كل دائرة في موضعها.

لاحظ أنَّ المؤمنَ السوري أو الصيني أو الفرنسي أو النيجيري أو الموريتاني أو في أي مكانٍ في أرضِ اللهِ الواسعة، هو ملزمٌ بالإيمانِ بالوطنية المحلية، والنتيجة المتحصلة من ذلك أن المجموعَ الكلي للأمة المحمدية أو الإسلامية تكون فعالةً من حيثِ الوطنية في جميع الأمكنة، بصرفِ النظرِ عن المسميات.

الأصل، هو الاعتقادُ والعملُ بصرفِ النظرِ عن المكان، فالخدمةُ الوطنيةُ والمشاركةُ الواقعيةُ في الحماية والرعاية، جميعها تنتهي في طريقِ إصلاحِ الأرضِ وإعمارها وفقاً لما أرادهُ اللهُ تعالى من استخلافٍ لبني البشرِ في أرضه.

الهوية الوطنية ومعادلة الدفاع

في المقولة الثانية، يصرحُ حضرةُ السلطان (قدّس سره) بالهوية أولاً فيقول: "نحنُ عراقيون". ثم يبيّن عليها معادلةً دقيقةً، قائلاً: "دافعوا عن العراقِ كما تدافعونَ عن طريقَتكم".

اللافتُ في بنية هذا النصِّ السلطاني المبارك أنه لم يبدأ بالأمر مباشرةً، فلم يقلْ ابتداءً: دافعوا عن العراق، بل قدّمَ عليه إعلانَ الهوية، نحنُ عراقيون، ثم بنى التكليفَ على هذا الإعلان.

هذا ترتيبٌ له دلالةٌ عميقة، إذ إنّ التكليفَ المبني على هوية مسبقّة أشدّ التزاماً وأصدقُ باعثاً من التكليفِ المجرد الذي يُفرضُ من خارجِ الذات.

هذا الأسلوبُ نفسه هو الأسلوبُ القرآني الأساسي في مخاطبة

المكلفين، فالقرآن الكريم لا يكاد يأمر بتكليفٍ شاقٍ إلا بعد أن يُذكر المُخاطَبين بهويتهم الإيمانية أولاً، كما في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحَفًا فَلَا تُولُوهُمْ الْأَدْبَارَ﴾⁽¹⁾، فالآية الكريمة تبدأ النداء بالهوية الإيمانية أولاً، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾، ثم تكليفٌ شاقٌ يبنى عليه مباشرة، وهو الثباتُ في وجهِ العدوِّ الزاحفِ وعدمِ الفرارِ منه.

وحضرةُ السلطانِ يسلكُ المسلكَ نفسهُ بدقة، ”نحنُ عراقيون“. أي أنتم من هذا الوصفِ أصلاً، فما يليه من أمرٍ بالدفاعِ هو استحقاقٌ طبيعيٌّ لها وليس تكليفاً خارجياً مضافاً إلى الهوية، فمن كانت هويتهُ عراقيةً حقاً، لزمه الدفاعُ عنها لزومَ الأثرِ لسببه، لا لزومَ الأمرِ المفروضِ من خارجِ الذات.

أكثرُ من ذلك، حينَ يقولُ حضرةُ السلطانِ (قدّس سره): ”دافعوا عن العراقِ كما تدافعونَ عن طريقَتكم“، فليس المقصودُ: إنّ الوطنَ والطريقةَ شيءٌ واحدٌ، إذ هما مختلفانِ في الحقيقة، هذا كيانٌ روحيٌّ، وذاك كيانٌ جغرافيٌّ وسياسيٌّ. الذي يقصدهُ (قدّس سره): إنّ مقدارَ الدفاعِ المطلوبِ عنهما متكافئٌ، فدرجةُ الغيرة، وحجمُ البذل، واستعدادُ التضحية، التي يبديها المريدُ حينَ تُمسُ طريقتهُ، هي بعينها الدرجةُ والحجمُ والاستعدادُ المطلوبُ حينَ يُمسُ وطنه.

لهذا فإن المعادلةَ هنا هي بُعدُ عمليٍّ بالغِ الأهمية، فهي تمنعُ المريدَ من أن يتذرّعَ بازدواجيةٍ في الولاء، فيجتهدُ في طريقتهِ ويتكاسلُ عن وطنه، أو العكس، لأنَّ حضرةَ السلطانِ (قدّس سره) ربطَ الدرجتينَ بمعادلةٍ واحدةٍ صريحةٍ، فمن رضي لنفسه التقصيرَ في حقِ وطنه، لزمه أن يُقرَّ أنه راضٍ بالتقصيرِ نفسه في حقِ

طريقته، إذ لا يستقيم أن يتفاوت طرفا معادلةٍ واحدةٍ في نفس اللحظة التي وُضعا فيها متساويين.

لمسة لغوية حول لفظة (دافعوا)

كلمة (دافعوا) التي استعملها حضرة السلطان (قدس سره) تحمل دلالة لغوية مميزة تستحق التوقف عندها، فهي من جذر (دفع)، وصيغة فاعلٍ هنا، تفيد المفاعلة، أي وجود طرفٍ يدفع في مقابل طرفٍ آخر يدفع، فالدفاع في أصله اللغوي مواجهة فعلٍ بفعلٍ مضادٍ له، لا مجرد وقوفٍ سلبيٍّ في وجه الخطر.

هذا يعني أن حضرة السلطان (قدس سره) حين قال: "دافعوا"، فقد دعا إلى مبادرة فعلية تقابل كلَّ عدوانٍ أو مخالفةٍ بمقاومةٍ تعادلها، لا الاكتفاء بموقفٍ احتياطيٍّ مُنتَظِرٍ. وهذا ترتيبٌ له دلالة بلاغية عميقة، إذ إنَّ التكليف المبني على هويةٍ مسبقةٍ أشدَّ التزاماً وأصدقُ باعثاً من التكليف المجرد الذي يُفرض من خارج الذات.

هذا الأسلوب نفسه هو الأسلوب القرآني في مخاطبة المكلفين، فالقرآن الكريم لا يكاد يأمر بتكليفٍ شاقٍ إلا بعد أن يُذكر المخاطبين بهويتهم الإيمانية أولاً، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾⁽¹⁾، فالنداء بوصفٍ الإيمان هنا هو تذكيرٌ بالهوية قبل الأمر، وكأنَّ المعنى، بما أنكم من هذا الوصف، فإنَّ التكليف التالي امتدادٌ طبيعيٌّ لكم لا عبءٌ غريبٌ عليكم.

شاهدٌ آخر، نجده في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحَفًا فَلَا تُولُوهُمْ الْأَدْبَارَ﴾⁽²⁾، هذه الآية الكريمة تكرر النمط نفسه بدقة، نداءً بالهوية الإيمانية أولاً، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾، ثم تكليفٌ شاقٌ يبنى عليه مباشرةً، وهو الثبات في وجه العدو

1 - [البقرة: 183].

2 - [الأنفال: 15].

الزاحفِ وعدمِ الفرارِ منه .

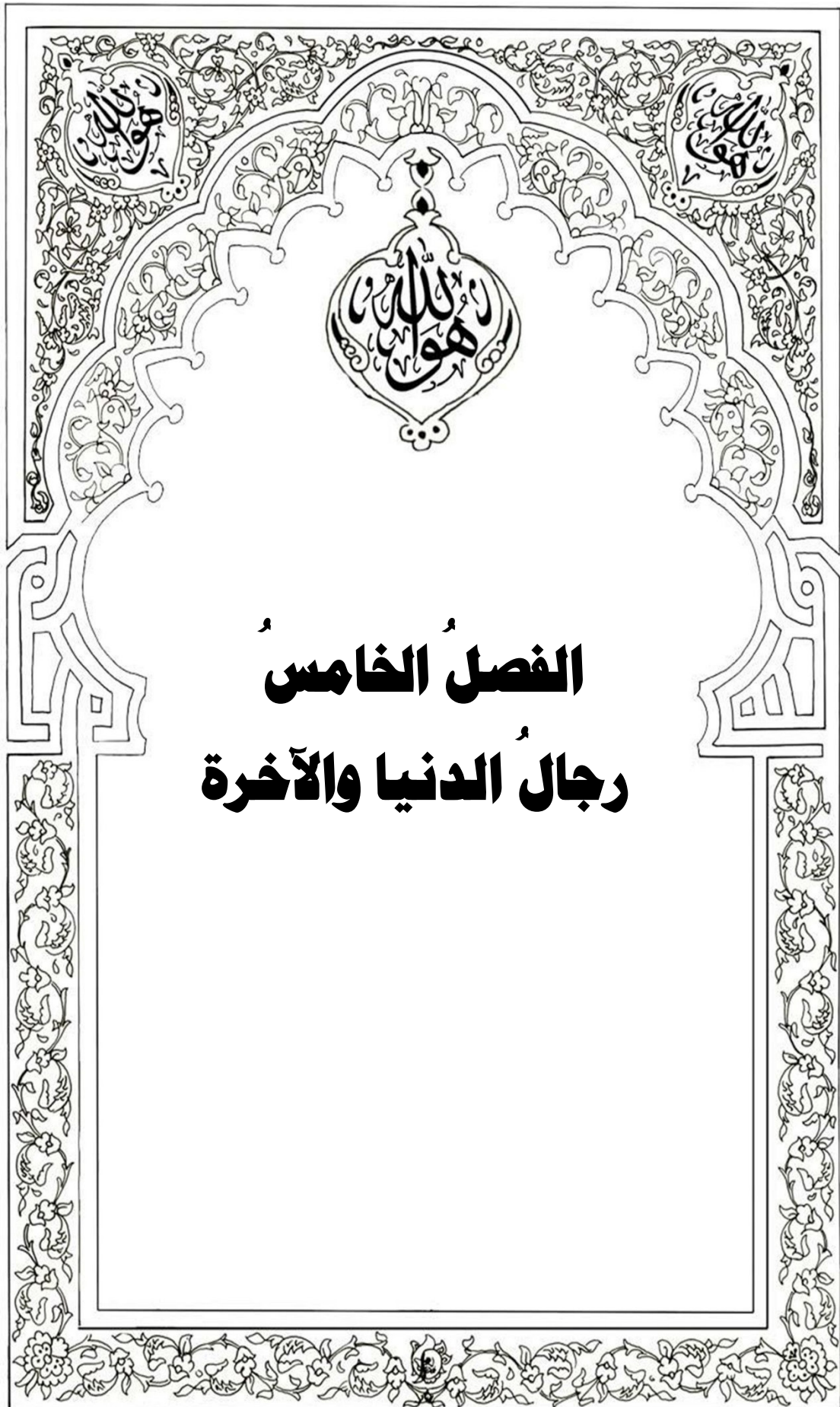
وحضرةُ السلطان يسلكُ المسلكَ نفسهُ بدقة، "نحنُ عراقيون"، أي أنتم من هذا الوصفِ أصلاً، فما يليه من أمرٍ بالدفاع هو استحقاقٌ طبيعيٌّ للموصوفِ بالعراقي، فمن كانت هويتهُ عراقيةً حقاً، لزمهُ الدفاعُ عنها لزومَ الأثرِ لسببه، لا لزومَ الأمرِ المفروض من خارج الذات.

لمسةٌ بيانيةٌ حولَ لفظةٍ (المعادلة)

أما وصفُ هذه العلاقةِ بالمعادلةِ هو وصفٌ دقيقٌ يستحقُّ أن يؤخذَ بحرفيته. فالمعادلةُ في أصلها الرياضي والمنطقي تعني أنَّ قيمتا طرفيها متكافئتان وإنَّ اختلفتا في الماهية.

حينَ يقول حضرةُ السلطان (قدّس سره): "دافعوا عن العراق كما تدافعون عن طريقَتكم"، فالبيدي أنَّ الوطنَ والطريقةَ مختلفانِ في الحقيقة، هذا كيانٌ روحيٌّ، وذاك كيانٌ جغرافي وسياسيٌّ، ومع ذلك فمقدارُ الدفاعِ المطلوبُ عنهما متكافئٌ، أي درجةُ الغيرة، وحجمُ البذل، واستعدادُ التضحية التي يبديها المريدُ حينَ تُمسُ طريقته، هي بعينها الدرجةُ والحجمُ والاستعدادُ المطلوبُ حينَ يُمسُ وطنه.

المعادلةُ هنا معادلةٌ في المقدارِ والشدة، لا معادلةٌ في الماهية والحقيقة، تماماً كما يمكنُ لكميتين مختلفتين في طبيعتهما أن تتساويا قيمةً في معادلةٍ رياضيةٍ واحدةٍ دونَ أن تتحدا في حقيقتهما.



رجال الدنيا والآخرة

يقول السلطان محمد المحمدي (قدّست أسرارُه): " ليس الرجل رجل الدنيا، وليس الرجل رجل الآخرة، الرجل رجل الدنيا والآخرة ".

هذه المقولة تصفُ مقاماً وسطاً دقيقاً، ولها أصل قرآني صريح يسبقها ويؤطرها، قال تعالى: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾⁽¹⁾، فالآية تجمعُ بين أمرين في خطابٍ واحدٍ، طلبُ الآخرة أولاً، وعدمُ نسيانِ نصيبِ الدنيا ثانياً، بحيث يكون طلبُ الآخرة هو الأصل الذي يتوجهُ إليه سائرُ السعي، بينما يبقى نصيبُ الدنيا حاضراً في هذا السعي نفسه، لا معطلاً عنه.

إنَّ مقولةَ حضرة السلطان (قدّس سره) صياغةٌ مكثفةٌ لهذا المعنى القرآني نفسه، إذ حينَ يعرفُ رجلُ الدنيا والآخرة بأنَّه من جمعٍ بين الوصفين معاً، فإنَّما يترجمُ الآيةَ الكريمةَ إلى لغةٍ عمليةٍ يفهمها المريدُ في سياقِ حياته اليومية.

كيف يكونُ المريدُ رجلَ الدنيا والآخرة معاً؟

منهجُ الطريقةِ الذي رسمهُ مشايخُ طريقتنا وأساتذتها من حضرة الرسول محمد ﷺ وحضرة الإمام عليّ (كرمَ الله وجهه) إلى حضرة الشيخ عبد القادر الكيلاني (قدّس سره) ومنهُ إلى شيخنا السلطان محمد المحمدي الكسنزان مروراً بجميع آل البيت والمشايخ الكرام (صلواتُ الله تعالى عليهم أجمعين)، يحدّدُ مستويين اثنين من الإصلاح، وهما اللذين يتوجهُ إليهما الإرشادُ في آنٍ واحدٍ:

الأول: إصلاحُ نفوسِ الأفرادِ عن طريقِ بيعةِ الطريقة.

الثاني: إصلاحُ وعيِ الناسِ ليشاركوا باختيارِ أناسٍ أكفأٍ قادرين على إحداثِ فرقٍ حقيقيٍّ في واقعِ البلادِ وحياةِ العباد.

فالمستوى الأول من الإصلاح موجهٌ إلى باطن الفرد نفسه، وأمّا الثاني فموجهٌ إلى ظاهر أفراد المجتمع. فإنَّ اشتغلَ المريدُ بهما معاً (بالتوازي)، يصيرُ كما وصفهُ حضرةُ السلطان (قدّس سره) ودعا إليه، يصيرُ المريدُ بهما (رجلَ الدنيا والآخرة).

الإصلاحُ الأولُ : بيعةُ الطريقةِ

البيعةُ أو كما تفرّدَ حضرةُ السلطانِ محمدِ المحمّدِ الكسنزانِ (قدّست أسرارهُ) في تسميتها بـ(اللمسةِ الروحية)، على بساطتها المتمثلةِ بالمصافحةِ وترديدِ كلماتِ العهد، فإنّها تنطوي في حقيقتها على عمليةٍ إعجازيةٍ لا يمكنُ للحسِّ أو العقلِ البشريِّ حتى تخيلها، والسرُّ في ذلك أنها تؤثرُ لحظياً على (الهوية الشخصية) للمبايع. وحقيقةُ هذا التأثيرِ أنبأ به حضرةُ السلطان (قدّس سره) حين قال: "يا مريدُ، اللهُ خلقك ﷺ للعبادة، حينَ نقولُ تعالَ خُذْ البيعةَ، نربطك بروحِ الرسولِ ﷺ، نعطيك هذه النعمةَ ونعطيك هذه البركةَ والقوةَ".

ركز هنا على عبارة: "نربطك بروحِ الرسولِ ﷺ" فهذا الربطُ يعني أنّ الهويةَ الشخصيةَ للمريد، لم تعدْ مستقلةً بذاتها، بل متصلةٌ بذاتٍ خارجةٍ عنها أعظمُ منها، صارتْ متصلةً بالروحِ الأعظمِ سيدنا محمدٍ ﷺ.

حين يحصلُ هذا الارتباطُ، تتأهّلُ روحُ المريدِ (هويتهُ الشخصية) لهمةٍ ومددٍ وقدوةٍ روحيةٍ لم يكن ليحصلَ عليها من قبلٍ بسببِ عدمِ الصلةِ الروحيةِ بمصدرها أو منبعها الروحيِّ. وقد وصفَ حضرةُ السلطان (قدّس سره) هذا الأمرَ بالنعمةِ والبركةِ "نعطيك هذه النعمةَ ونعطيك هذه البركةَ".

وهي كذلك واللهِ وأكثر، فأَيُّ نعمةٍ أعظمُ من أنْ ترتبطَ روحُ

الإنسان المستقلة بروح الرسول الأعظم ﷺ وأيُّ بركة أكبر؟

الأكيد، أن هذا الربط الروحي، لا يتم إلا عن طريق سلسلة مشايخ الطريقة، بدأ من الشيخ الحاضر ومروراً بهم جميعاً وصولاً إلى باب مدينة العلم المحمديّ مولانا أمير المؤمنين حضرة الإمام عليّ بن أبي طالب (كرم الله وجهه) ليكتمل الربط ويتم بالنور المحمديّ.

عندما تتلو قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾⁽¹⁾، فإنَّ المقصود بيد الله فوق أيديهم، هو الإشارة إلى النور والقوة الروحية التي يتفصل بها الله تعالى على المبايع، قال تعالى: ﴿وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾⁽²⁾. فهذا الفضل العظيم مخصص لمن يمد يده ويبيع، والسؤال: كيف يبيع؟

آية البيعة الكريمة واضحة، فقد قرنت البيعة بحضرة الرسول الأعظم ﷺ، لاحظ العبارة ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ﴾ فالمبايعة حُصرت وربطت بحضرة الرسول ﷺ، ومنه إلى الله تعالى، وحضرته أورش بالإجازة الروحية بهذه الخاصية المؤثرة في تشكيل هويات الناس إلى باب مدينة علمه، مولانا الإمام عليّ (كرم الله وجهه)، ومنه امتدت عبر سلسلتي جناحي الطريقة إلى الشيخ الحاضر في كل زمان.

إنَّ السبب وراء هذا التوريث الروحي للبيعة، هو أن تتحقق العدالة الروحية في الناس، إذ كما كان للصحابية الكرام نصيبهم من مبايعة حضرة الرسول الأعظم ﷺ يداً بيد، لتتنزل يد الله تعالى على أيديهم بالقبول والهمة والبركة، فإنَّ هذه النعمة ليست بمقتصرة على زمنٍ دون زمن، بل باب مفتوح للأمة المحمدية كلها، إلى قيام

1 - [الفتح: 10].

2 - [الحديد: 29].

الساعة، وهذا الفتح لا يكون إلا بالتوريث الروحي. فلكل زمان إمام وأصحاب يبائعون الله تعالى على يده، كما كان حضرة الرسول الأعظم ﷺ إمام زمانه وصحابته بايعوا الله تعالى على يده المباركة، فالعدالة الدينية تقتضي أن يكون للآخرين ما كان للأولين من تمكين في التصوف والتقرب لرب العالمين.

إذاً، البيعة، الأصل الأول في إعادة تشكيل (هوية الفرد) ليكون ربانياً، قادراً على الاستقامة بحق، ومن هنا فإن سلطاننا (قدس سره) حدد بوضوح منزلتها في (علم الطريقة) فقال: "البيعة آخر منزلة من الدنيا، وأول منزلة من منازل الآخرة".

لذا كانت البيعة منطلق إصلاح هوية الفرد، والفرد منطلق إصلاح هوية المجتمع. يقول حضرة السلطان (قدس سره): "أنت جئت إلى الطريقة بالبيعة باللمسة الروحية مضحياً بنفسك وأهلك ومالك، حتى تحصل على العلم اللدني، علم الروح، ويتنور قلبك ويبث الإشعاعات حواليك."

هذا البث الإشعاعي (الروحي) هو الامتداد اللازم لنور البيعة الذي استقر في القلب وأثر في نفس وسلوك المريد الفرد، بحيث يؤثر في إصلاح المحيط.



الإصلاحُ الثاني: المشاركةُ الواعيةُ

إذا كانت البيعة، أو اللمسةُ الروحيةُ كما سماها حضرةُ السلطان قدّس سره، هي الأصلُ الذي تتشكلُ به هويةُ الفردِ الربّاني ربطاً بروحِ النبي ﷺ، فإنَّ الإصلاحَ الثاني يبدأ من حيثُ انتهى الأول، إذ ينقلُ ذلك الأثرَ الفردي من داخلِ القلبِ إلى فضاءِ المجتمع، ليتحولَ من مجردِ هويةٍ شخصيةٍ متصلةٍ بمصدرها الروحي، إلى هويةٍ اجتماعيةٍ تتشكلُ بفعلِ تلكِ الهويةِ الفرديةِ نفسها حينَ تلتقي بأخواتها. يقول حضرةُ السلطان (قدّس سره): ”الآن العراقُ بلدُ الديمقراطيةِ والذي لديه أصواتٌ كافيةٌ هو الذي يربح، حاولوا حتى تكونَ أصواتكم عاليةً حتى تكسبوا المجتمعَ وتخدموا الشعبَ العراقي“.

تأمل هنا عبارة، (الذي لديه أصواتٌ كافيةٌ هو الذي يربح)، فهذه العبارةُ تصفُ آليةَ تأثيرٍ مختلفةٍ تماماً عن آليةِ الإصلاحِ الأول. ففي البيعة، يمكنُ القولُ إنّ الاتصالَ اتصالاً عموديّاً، صعوداً من هويةِ الفردِ إلى روحِ النبي ﷺ عبرَ سلسلةِ المشايخِ الكرام.

أما في المشاركةِ السياسية، يصبحُ الاتصالُ اتصالاً أفقيّاً، أي يحدثُ امتزاجٌ بين صوتِ الفردِ الواحدِ وأصواتِ إخوانه من أبناءِ وطنه، حتى تتراكمَ هذه الأصواتُ فتتحولُ من همساتٍ فرديةٍ متفرقةٍ إلى قوةٍ اجتماعيةٍ قادرةٍ على تقريرِ مصيرِ البلاد.

إنَّ صوتَ المريدِ الواحدِ، منفرداً، لا يغيّرُ من الواقعِ شيئاً يذكر، لكنه حينَ يتصلُ بأصواتِ أمثاله، يكتسبُ وزناً يوازي وزنَ الروحِ الواحدةِ حينَ تتصلُ بروحِ النبي ﷺ في الإصلاحِ الأول، كلٌّ بحسبِ طبيعته.

هذا الانتقالُ من الشأنِ الفردي إلى الشأنِ الجمعي له أثرٌ مُتسلسلٌ يستحقُّ التوقّفَ عنده، فحينَ يخدمُ المريدونَ الصالحونَ

الشعب العراقي بأصواتهم وسعيهم، ينعكس ذلك أثراً في صلاحهم هم أنفسهم أولاً، ثم تنتشر بفعل صلاحهم الأخلاق الحميدة وقيم الرحمة في ربوع مجتمعهم ثانياً، ثم يهتدي الناس بهذا الانتشار إلى تحقيق مُراد الله تعالى من خلقهم ثالثاً، وعندئذ يغدو القائمون على هذا الإصلاح كله ممثلين لله تعالى، أو خلفاءه بين الناس في تبيان مراده سبحانه فيهم، وهذا امتداد لمعنى التمكين الذي فصلناه في الفصل الثالث عند تفسير قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ﴾⁽¹⁾، فالتمكين هناك كان تمكيناً عاماً لكل من ناله سلطان أو نفوذ، وهو هنا يتخصص في صورته المعاصرة، تمكين الصندوق الانتخابي.

إنَّ مبدأ الديمقراطية ذاته، حين يقرر أنَّ صاحب الأصوات الكافية هو الذي يربح، فإنه يعطي دلالة على عدل اجتماعي يوازي دلالة العدل الروحي الذي قام عليه الإصلاح الأول.

ففي الإصلاح الأول، كانت العدالة الروحية تقتضي ألا يُحرَمَ أهل هذا الزمان مما ناله أصحاب رسول الله ﷺ من بركة المبايعة يداً بيد، فجاء التوريث عبر سلسلة المشايخ ليفتح هذا الباب لكل زمان.

وفي الإصلاح الثاني، اقتضت طبيعة النظام الديمقراطي نفسها ألا يبقى التأثير في مصير الوطن حكراً على أهل السلطة والنفوذ التقليديين، إذ يمنح كلُّ صوتٍ واحدٍ وزناً متساوياً مع صوت غيره، فيتحوّل المريد العادي، بمجرد إدلائه بصوته، إلى شريك فعلي في تقرير مَنْ يحكمُ بلاده بل وحتى تقرير سياساته. وهذا انفتاح لم يكن متاحاً بالقدر نفسه في أنظمة الحكم التي سبقت عصر الانتخابات.

من هنا كانت المسؤولية الصوفية الإصلاحية الملقاة على عاتق كل مريد ومريدة في الطريقة الكسنزانية والتي بينها حضرة السلطان (قدس سره) بجلاء في قوله: "أنا أريدكم هكذا ﴿كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته﴾⁽¹⁾، فكل واحد منكم مسئول عن العراق والعراقيين، أنتم أبطال العراق أنتم أبناء العراق، الطريقة طريقتكم".

نلاحظ هنا أن حضرة السلطان (قدس سره) قد اختار في هذا الاستدعاء الروائي، أن يستشهد بأحد أشمل الأحاديث النبوية المطهرة في تحديد المسؤولية، فقد جاء في الحديث الشريف بتمامه: ﴿كلكم راع ومسؤول عن رعيته؛ فالإمام راع ومسؤول عن رعيته، والرجل في أهله راع وهو مسؤول عن رعيته، والمرأة في بيت زوجها راعية وهي مسؤولة عن رعيته، والخادم في مال سيده راع وهو مسؤول عن رعيته﴾⁽²⁾. وعند التدبر في بنية هذا النص - كما روي - نجد أنها بنية طبقية محكمة -إذا جاز التعبير- إذ لكل طبقة فيها رعية بمقدار موقعها، الإمام راع على الأمة كلها، والرجل راع على أهل بيته وحدهم، والمرأة راعية على بيت زوجها، والخادم راع على مال سيده.

وهذا يعني أن دائرة رعاية الفرد العادي، في الأصل الروائي، لا تتجاوز في الغالب حدود بيته وأهله، إذ لم يوسع النص للرجل العادي رعاية تتجاوز أسرته إلى الأمة كلها، فتلك منزلة خُصت بها الإمامة وحدها. في حين أن رؤية حضرة السلطان (قدس سره) وقراءته الصوفية ذهبت في تطبيقه إلى عمق أبعد مما يظهر، إذ لم يكتف (قدس سره) بتوجيه المريد على تطبيقه بحدوده التقليدية، أي: رجلاً راعياً لأهله، أو امرأة راعية لبيتها، إنما نقل حضرة السلطان

1 - صحيح البخاري، ط التأصيل، حديث رقم [2573]، ج3، ص444.

2 - مصدر سابق.

(قدّس سره) المريد من طبقة الرعاية العادية الخاصة إلى طبقة الرعاية العامة نفسها التي كانت مقصورةً على الإمام وحده، فقال: "كلّ واحدٍ منكم مسؤول عن العراق والعراقيين".

هذا التوسيع ليس خروجاً -استغفر الله- عن الرواية الشريفة، بل هو استثمارٌ لمنطقه الداخلي في سياقٍ جديد، أو إظهاراً لبعْدٍ مُضمّرٍ فيه، وكيف لا، وسُنّة العارفين أنهم أهلُ الزيادة بالحقِّ للحقِّ.

الذي نذهبُ إليه مع سلطاننا أنّ المشاركة الديمقراطية هي فرصةٌ واقعيةٌ، تمنحُ كلّ مريدٍ نصيباً فعلياً من تقريرِ مصيرِ بلاده وسياساته، فيصيرُ بحكمِ هذا النصيبِ راعياً حقيقياً لا مجازياً، إذ قد تعلقت برأيه وصوته مسؤوليةٌ تتجاوزُ بيته الخاص إلى الشأن العام كله.

هذا القدرُ من النصيب، هو ما نفهمه في هذا السياق من ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾⁽¹⁾، إذ الواضح في الآية الكريمة أنها تقرُّ ذلك النصيبَ بعدمِ ابتغاءِ الفسادِ في الأرض، يعني: تُضمِرُ الدلالة على الإصلاح في الأرض وسبيلُ الإصلاح السياسي في الزمنِ المعاصرِ لا يكونُ إلا عن طريقِ (صناديق الاقتراع).

لكلِّ ما تقدّم نقول: إذا كانت البيعةُ في مستوى الإصلاح الأول قد نقلت هوية المريد الفردية من الاستقلال إلى الاتصال بروح النبي الأعظم ﷺ، فإنَّ هذا الاستدعاء الروائي في مستوى الإصلاح الثاني ينقلُ هوية المريد الاجتماعية من رعاية بيته الخاص إلى رعاية وطنه العام.

الربط بين الطريقة والعراق

يختتم حضرة السلطان (قدس سره) هذا التكليف الصوفي بكلمة جامعة تربط بين الانتماءين معاً: "أنتم أبطال العراق أنتم أبناء العراق، الطريقة طريقكم".

نقول: حين يقرن حضرته (قدس سره) الانتساب إلى العراق بالانتساب إلى الطريقة في الجملة الواحدة، ويضيف كلا الانتسابين إلى المريدين أنفسهم بصيغة الملكية المباشرة (طريقكم)، فإن هذا إقرار بأن المسؤولية التي حملها لخلفاء ومرشدي ومريدي الطريقة وكذلك خليفاتها ومرشداتها ومريداتها، ليست عبئاً مفروضاً من خارج ذواتهم، إنما هي استحقاق طبيعي لما يملكونه أصلاً، ويعتزون به دوماً، فمن يملك وطناً ويملك طريقة، لزمه أن يرعى كليهما رعاية من يرعى ملكيته الخاصة، لا رعاية من يكلف بحراسة ما ليس له.

الربط بين الطريقة والعالم

في الحقيقة، مقولة حضرة السلطان (قدس سره) تتضمن الإشارة إلى مفهوم (العالمية) من حيث مقصدها التعددي الذي تبناه، فالنص المتمم للمقولة هو: "أنتم أبطال العراق أنتم أبناء العراق، الطريقة طريقكم، طريقكم ليست في العراق فقط، طريقكم في كل أنحاء العالم، طريقكم تساندكم في كل مكان".

إن توسيع دائرة تساند أبنائها وبناتها في كل مكان لبعضهم البعض، هو كشف صوفي عن حقيقة إيمانية مضمرة قائمة على معادلة عالمية دقيقة، تتآزر فيها المسؤولية والمساندة معاً على نحو تكاملي رغم اختلاف موقع كل مريد من الحدث نفسه.

تقتضي هذه الدعوة التساندية أن يكون مريدو البلد الذي تجري

عندهم العملية الانتخابية مطالبين بمرتبتين من العمل معاً: الحركة المادية أولاً، بالنزول بين أبناء مجتمعهم توعية وتحشيداً ومشاركة فعلية في صناديق الاقتراع، والحضور القلبي ثانياً، بأن تبقى قلوبهم متصلة بالله عز وجل في أثناء هذه الحركة نفسها، فلا تنفصل الخطوة المادية عن مصدرها الروحي. فمريد البلد إذاً يعمل بيده ولسانه وقدمه في أرضه، ويعمل بقلبه في الوقت نفسه، فيجتمع له الأصلان (الإيمان والعمل الصالح) معاً.

أما يريدو البلدان الأخرى، غير الملزمين بالمشاركة الواقعية بسبب اختلاف الجنسية الوطنية، فتقتصر مسؤوليتهم على المرتبة القلبية وحدها، وذلك بمساندة إخوانهم بالحضور مع الله والدعاء، وكذلك التشجيع والدعم لاختيار الصالحين في الأرض.

بذلك: كل مريدي الطريقة يشاركون في انتخابات كل الأوطان بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، كما بينا.

ونحن إذ نقول بهذا الأصل في طريقتنا الكسنزانية فإننا ننطلق من أسس قرآنية عديدة فتحت هذا الطريق أمامنا للسير فيه، ومنها قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَانَهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ﴾⁽¹⁾، فالبنیان المرصوص هو البناء الذي أحكم تلاصق لبناته حتى صار كتلة واحدة لا تتخللها فرجة، فلاحظ أن الآية لم تشترط لهذا الوصف أن يكون المتراصون في موضع واحد يتلامسون فيه بأجسادهم، هي وصفت اصطفاً فهم على غاية واحدة يقاتلون من أجلها، ولو تباعدت مواقعهم في ساحة الوغى. وهذا هو المعنى بعينه الذي يصف حال مريدي الطريقة حول العالم، فهم صف واحد متراص وإن تباعدت بهم القارات، لأن

رصهم ليس رُصُّ الأجسادِ المتلاصقة، بل رُصُّ القلوبِ المتحدةِ الغاية، وتوجيهٌ لاستحضارِ القوةِ الروحيةِ المؤثرةِ باطناً في إصلاحِ الظاهرِ.

إنَّ لهذا التراصُّ شاهدٌ نبويٌّ مباركٌ يفسرُ آليتهُ العملية، فقد قال حضرةُ النبي ﷺ: ﴿مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِهِمْ وَتَرَاحِمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ، مَثَلُ الْجَسَدِ. إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ، تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهْرِ وَالْحُمَى﴾⁽¹⁾.

فحينَ يخوضُ مريدو بلدٍ ما استحقاقاً انتخائبياً حاسماً، فإنهم بمنزلةِ العضوِ الذي اشتكى، وحينَ يستشعرُ مريدو سائرِ البلدانِ هذا الاستحقاقَ فيسهرُونَ له بالدعاءِ ويتفاعلونَ معه قلبياً، فإنهم يمثلونَ سائرَ الجسدِ المتداعي، لا لأنَّ الأَلَمَ أصابهم مباشرةً، بل لأنَّ رابطةَ الجسدِ الواحدِ تنقلُ إليهم أثره، فيتحركونَ له وإن كانوا في أقصى الأرضِ.

ولمساندةِ القلبِ من بعيدٍ ضمانةٌ نبويةٌ صريحةٌ بالقبولِ والأثرِ، فقد قالَ النبيُّ ﷺ: ﴿دَعْوَةُ الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ لِأَخِيهِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ مُسْتَجَابَةٌ، عِنْدَ رَأْسِهِ مَلَكٌ مُوَكَّلٌ، كُلَّمَا دَعَا لِأَخِيهِ بِخَيْرٍ قَالَ الْمَلَكُ الْمُوَكَّلُ بِهِ: آمِينَ، وَلَكَ بِمِثْلِ﴾⁽²⁾. فدعاءُ مريدٍ في أقصى الأرضِ لإخوانه الذينَ يخوضونَ استحقاقاً انتخائبياً في بلدِهِم هو مشاركةٌ جماعيةٌ إصلاحيةٌ عابرةٌ للحدودِ في اتجاهين؛ فهي تستدعي قلبياً الحضورَ الإلهيَّ في توفيقِ المريدينَ لإصلاحِ أوطانِهِم، وفي الوقتِ نفسِه فإنَّ هذه المشاركةَ تعودُ بالنفعِ على الداعينَ أو العاملينَ في قلوبِهِم، ليحدثَ معهم أثرُ المشابهةِ. بعبارةٍ أخرى: الداعي لغيرهِ داعٍ لنفسِه، أي يعودُ أثرُ هذا

1 - صحيح مسلم، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة،

1955م، حديث رقم [2586]، ج 4 ص 1999.

2 - المصدر السابق، حديث رقم [2733]، ج 8 ص 86.

التراض القلبي على المريد الداعي نفسه، لا على المدعو له وحده. وبهذا الترتيب المنهجي يتضح أنَّ العالمية التي أشار إليها حضرة السلطان (قدس سره) هي عالمية وظيفية، تُحوّل كلّ بلدٍ يخوض فيه المريدون استحقاقاً إصلاحياً إلى قضية الجسد كلّها، فيتحرّك أهلُه بالمادة والقلب معاً، ويتحرّك سائر أعضاء الجسد في العالم كلّها بالقلب وحده، فترصّ القلوب صفّاً واحداً كأنها بنيانٌ مرصوص، كلّ في بلده يعمل بما يخصه، والجميع يدعون بما يخص إخوانهم، حتى يتحقّق بهذا التراض المتعدد المواقع معنى إصلاح الأرض كلّها، لا بلداً واحداً بمعزلٍ عن سائر البلدان؛ فجميع البلدان أرض الله الواحدة.

الوعد الحقُّ بالبشرى

جاء في آخر مقولة حضرة السلطان (قدس سره): ”هي فترة مؤقتة إن شاء الله وسوف تحكمون العراق“.

هذه البشرى، على يقينية منطوقها، ليست وعداً منفصلاً عن شروطه، بل هي في واقع الحال نتيجة معلقة بمقدمتها، فمتى تحققت المقدمة، لزمّت النتيجة لزوماً غير منفك عنها، ومتى تخلّفت المقدمة، تخلّفت النتيجة معها بالضرورة نفسها.

هذا هو الفارق الواقعي بين الأمنية والوعد الحق، فالتمني ينتظر شيئاً بلا عملٍ مستحق، أو بلا أخذٍ بالأسباب الواقعية الحقّة، أما الوعد الحق فيربط ثمرته بأسبابها ربطاً يجعل تحقيقها مسألة وقت، لا مسألة احتمال.

الشرط الأول الذي تتوقّف عليه هذه النتيجة الحتمية: أن يُصدّق أهل الطريق كلّهم، ذكوراً وإناثاً، وبصرف النظر عن أعمارهم، وأن يعتقدوا حقاً بمهمتهم الإصلاحية الوطنية، لا أن يرددوها - أكثرهم - قولاً مجرداً من يقين القلب.

إِنَّ لهذا الشرط أصلاً قرآنياً مُحكماً يربط الاستخلاف بالإيمان الصادق ابتداءً، قال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾⁽¹⁾. تأمل تركيب هذه الآية الكريمة، فقد قدمت الإيمان أولاً، ثم العمل الصالح ثانياً، فجعلتهما معاً المقدمة التي بُني عليها جواب القسم المؤكد: (ليستخلفنهم)، بلام التوكيد ونون التوكيد الثقيلة معاً، فهذا التوكيد المضاعف في صيغة الجواب لا يكون نتيجةً قطعيةً الوقوع إلا إذا تحققت مقدمته، بشرطها وشروطها.

بكلماتٍ أخرى: إِنَّ وعدَ حضرة السلطان (قدس سره) وبشارته، حين يقول: ” سوف تحكمون العراق “. ليس إلا تنويراً لقلوب المريدين كي يروا سنة قرآنيةً مطردةً، فيسعدوا إلى العمل بها، والفوز بنعمتها.

الشرط الثاني: أن يكون هذا العمل خالصاً لوجه الله تعالى، لا طلباً لمنصبٍ أو مصلحةٍ شخصيةٍ، وقد سبق في الفصل الأول تفصيلُ هذا الشرط عند الحديث عن الفارق بين من ابتغى بخدمة الوطن وجه الله، فكان أجره باقياً، ومن ابتغى بها الدنيا وحدها، فكان أجره منقطعاً. هذا الشرط بالذات هو الذي حذرت الآية الكريمة نفسها من الإخلال به بعد تحقق الوعد، فختمت بقوله تعالى: ﴿يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾⁽²⁾، فالإخلاص ليس شرطاً لبدء التمكين فحسب، إنما هو شرط لاستمراره، فإن زال الإخلاص بعد حصول النتيجة، زال معه ضمان بقائها.

الشرط الثالث: أن تتوحد قلوب أهل الطريق على هذه الغاية، وهذا الشرط تحديداً هو أدق الشروط الثلاثة وأصعبها منالاً بالجهد

1 - [النور: 55].

2 - [النور: 55].

البشريّ وحده، إذ وصف القرآن الكريم توحّد القلوب بأنه فعلٌ إلهيٌّ خالصٌ لا تبلغه الحيلة ولا المال، قال تعالى في وصف تأليف الله بين قلوب المؤمنين يوم بدر: ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ﴾⁽¹⁾، فتوحّد القلوب نعمةٌ موهوبةٌ من الله لمن صدق وأخلص، لا نتاج تخطيط بشريّ بحتٍ، وهذا يفسر لماذا كان التراصّ القلبيّ الذي فصلناه في الفقرة السابقة أمراً يُستدعى بالدعاء، لا بالتنظيم وحده.

وفي المقابل، حدّر القرآن الكريم – في السياق نفسه – من نقيض هذا التوحّد، فقال تعالى: ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾⁽²⁾، فجعل التنازع سبباً مباشراً للفشل وذهاب القوة.

ما هو التنازع؟

الأصل اللغويّ: «قَلْعُ شَيْءٍ»⁽³⁾، وهو ليس قلْعاً عادياً أو برفق، بل هو «اقتلاعٌ بجذبٍ قويٍّ للشيء»، كما ينازع الفرس فارسه العنان⁽⁴⁾. وفي هذا السياق، فالمقصود به: أن كلَّ المسؤولين من الخلفاء أو المرشدين أو القائمين على مهامّ التوجيه والإدارة، كلٌّ منهم يريد أن يقتلع أمراً من يد صاحبه أو إخوانه، وكأنه صاحب الحقيقة المطلقة. يعني: كلٌّ واحدٍ يحاول نزع الأمر أو جذبَه بقوةٍ لنفسه على حساب الآخرين، وربما يسيّر فيهم بسيرة التسقيط، فهذا التنازع يؤوّل في النهاية إلى فشل الجميع، وهو المعبر عنه بذهاب الريح. إذا كان المتصدّون للعمل في تطبيق توجيهات شيخ الطريقة

1 - [الأنفال: 63].

2 - [الأنفال: 46].

3 - ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، مصدر سابق، ج 5 ص 415.

4 - د. محمد حسن، المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم (مؤصل ببيان العلاقات بين ألفاظ القرآن الكريم بأصواتها وبين معانيها)، مكتبة الآداب - القاهرة، ط1، 2010م، ج 4 ص 2177.

متكاتفين كالشراع أو الأشرعة المترامية، فإنَّ الريح تدفع السفينة في الاتجاه المطلوب بسرعة وأمان، والعكس صحيح.

إذا، العلاقة السببية ثنائية النتيجة: توحيد القلوب سبب النصر والظفر، وتنازعها سبب التشتت والفشل، فتكون النتيجة في الحالين مقرونة بمقدمتها اقتراناً لا تخلف فيه.

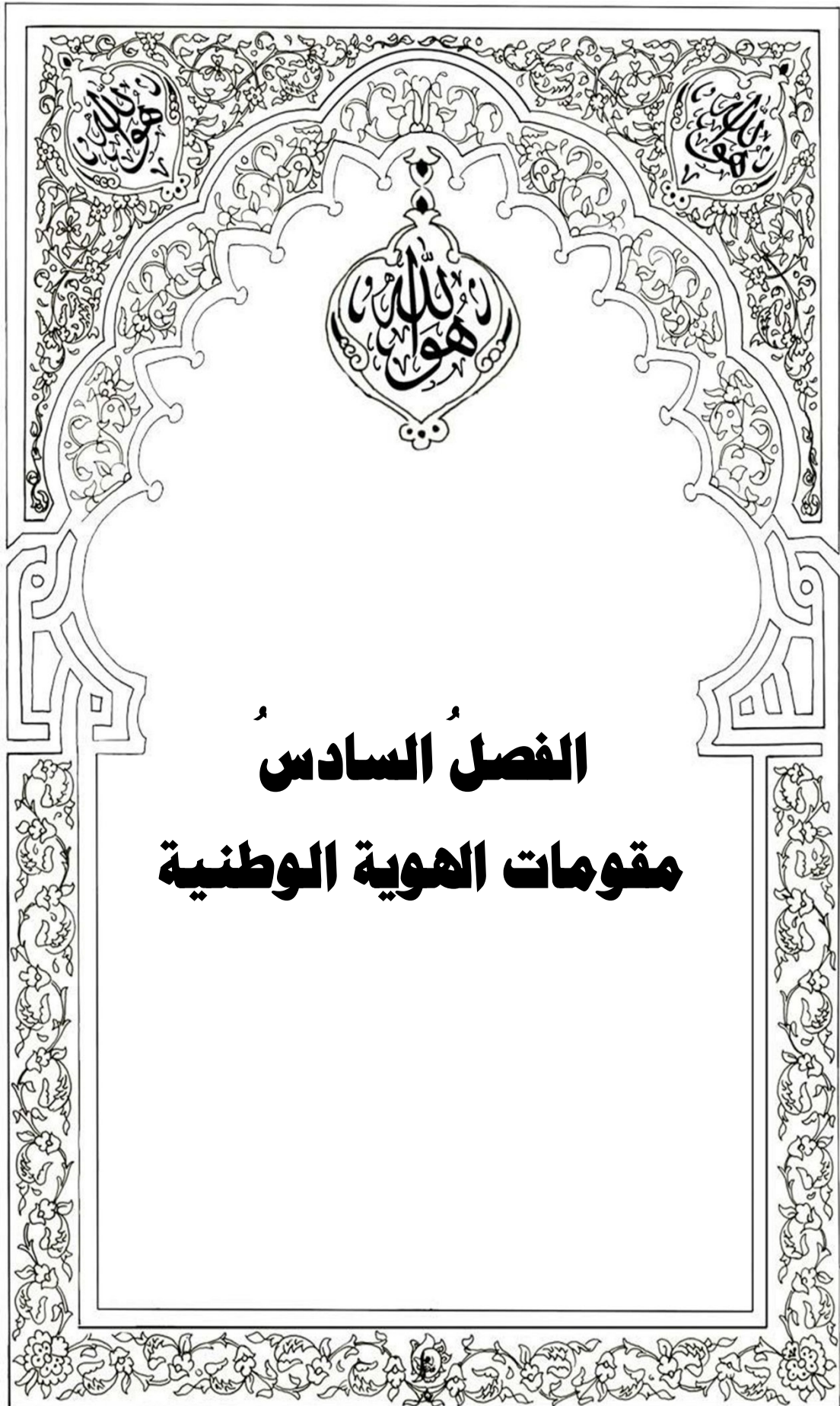
لكل ما تقدم نقول: إذا اجتمعت الأسباب الثلاثة معاً: صدق الاعتقاد، وإخلاص العمل، وتوحد القلوب، فإنَّ تحقق النتيجة المتمثلة بوعد وبشرى حضرة السلطان (قدس سره) لا يبقى أمراً مرجوفاً فحسب، إنما يكون أمراً مقطوعاً به قطع اليقين بصدق الوعد الإلهي القائل: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾⁽¹⁾.

وحين يقول حضرة السلطان (قدس سره): "هي فترة مؤقتة". فالجميع شركاء في التعجيل بحدوث هذا الأمر أو الإبطاء عنه، فضوء الفجر لا يتخلف عن طلوع الشمس أبداً.

ذكرنا فيما تقدم: أنَّ "كلمات المشايخ تفلح ولو بعد حين" وهذا يعني: إنَّ تأخر الفلاح لا يعني امتناع وقوعه، بل يعني تأجيله إلى حين استيفاء شروطه أو توفر أسبابه الثلاثة، فذلك وعد الله، و﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾⁽²⁾.

1 - [آل عمران: 9].

2 - [آل عمران: 9].



الفصل السادس

مقومات الهوية الوطنية

مقومات الهوية الوطنية

انتهى الفصل الخامس بوعْدٍ سلطانيٍّ مشروطٍ: أخْلِصِ العملَ، ووَحِّدْ قَلْبَكَ بقلوبِ إخوانِكَ، وشاركْ في صندوقِ الاقتراعِ، وستكونُ شريكاً في حكمِ العراقِ (أو البلدِ الذي أنتَ فيه).

هذا الوعدُ، على قطعيتِهِ، يفتحُ البابَ أمامَ سؤالٍ واقعيٍّ: حينَ يبلغُ المريدُ صندوقَ الاقتراعِ مخلصاً موَحِّدَ القلبِ، فأَيُّ مواطنٍ يُرادُ منه أن يكونَ؟ وأيُّ وطنٍ يُرادُ منه أن يبنيه ويحميه؟

الجوابُ المبدئيُّ: أنَّ للهويةَ الوطنيةَ الكاملةَ خمسةَ مقوماتٍ متعاضدةٍ، إذا غابَ أحدها اختلَّ البناءُ كُلُّه، وسنأخذُ كلَّ مقومٍ بما يتيسرُ من الشرحِ والاستدلالِ.

المقومُ الأولُ: الانتماءُ والولاءُ

الانتماءُ والولاءُ هو الشعورُ الوجدانيُّ والارتباطُ المعنويُّ والثقافيُّ بالوطنِ، وهو انتماءٌ يتجاوزُ الولاءاتِ الضيقةَ، القبليةَ أو الطائفيةَ أو الحزبيةَ، ليكونَ الولاءُ الأسمى لمصلحةِ الدولةِ بوصفِها المظلةَ الجامعةَ التي تحمي الجميعَ وتضمنُ مصالحَهم المشتركةَ.

هذا المقومُ بالذاتِ هو الذي فصلناه بشواهدِهِ في الفصلِ الرابعِ عندَ الحديثِ عن: ”وطنُكم العراقُ وطنُ الكلِّ“. واستشهدنا هناكُ بوثيقةِ المدينةِ التي جعلتِ المهاجرينَ والأنصارَ، بل ويهودَ المدينةِ أنفسهم، أمةً واحدةً من دونِ الناسِ، متجاوزةً بذلكَ عصبيةَ القبيلةِ إلى جامعةِ الوطنِ. فمن أرادَ التوسعَ في هذا المقومِ، فليراجعْ ذلكَ الموضعَ، ففيهِ الأصلُ النبويُّ الذي يقومُ عليه.

المقوّمُ الثاني: الحُضُّ على تكافؤ الفرص

المقصودُ بالحُضِّ على تكافؤ الفرص هو قيامُ المريدِ المواطنِ بالأمرِ بالمعروفِ، وهو هنا الحديثُ أو المطالبةُ الدائمةُ في المجالِ الاجتماعيِّ الذي يتواجدُ فيه، بتبني قضية أنْ فرصَ التعليمِ والعملِ، والترقي في الدولة يجبُ أن تكونَ قائمةً على أساسِ الكفاءة والنزاهة وحدهما.

وفي الوقتِ نفسِه، على المريدِ المواطنِ أن (ينهى عن المنكرِ) بهذا الخصوصِ، وهو يرفضُ عملياً، من موقعه، وبالطريقِ السلميةِ القانونيةِ، كلّ تقديمٍ لأناسٍ لا تتوفرُ فيهم الكفاءة والنزاهة، بل لمجردِ المحسوبيةِ على القرابةِ أو الواسطةِ أو النفوذِ، وأن يسعى إلى إشاعةِ هذه المطالبةِ في محيطه، لا الاكتفاء بها موقفاً شخصياً صامتاً.

إنَّ اختيارَ لفظةِ «الحُضُّ» هنا مقصودٌ، فالمريدُ صاحبُ الهويةِ الوطنيةِ (المواطنُ) لا يكفي بأن يعتقدَ بعدالةِ تكافؤِ الفرصِ في قرارةِ نفسِه، إنما عليه المطالبةُ بتحقيقه في الواقعِ، على غرارِ ما وردَ في القرآنِ الكريمِ من ذمٍّ من يقصرُ في هذا الجهرِ، قال تعالى، في وصفِ المكذبِ بالدينِ: ﴿فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ . وَلَا يَحْضُ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ﴾⁽¹⁾.

تدبرُ الآيةُ الكريمةُ لم تذمَّ من امتنعَ عن إطعامِ المسكينِ بنفسِه فحسب، وإنما ذمَّتْ من لم يحضَّ غيره على إطعامه أيضاً، فجعلتِ التقصيرَ في الحُضِّ والدعوةِ إلى الخيرِ جرماً مستقلاً عن التقصيرِ في فعلِ الخيرِ ذاته. يعني:

لا يكفي أن تعتقدَ بتكافؤِ الفرصِ، بل عليك أن تأمرَ بهذا المعروفِ بشروطه القانونيةِ والوطنيةِ.

ولا يكفي أن تعتقد ببطلان المحسوبة أو المحاصصة، بل عليك أن تنهى عن المنكر، بشروطه.

هذا هو المعيار الذي يقوم عليه هذا المقوم، فالمريد صاحب الهوية الوطنية لا يكفي أن يكون هو نفسه معتقداً أو منصفاً في تعامله مع الناس، بل عليه أن يحض من حوله على الإنصاف، وأن يرفع صوته كلما رأى فرصة للأمر بالمعروف أو النهي عن المنكر.

لهذا المقوم شاهد نبوي بالغ الخطورة في وصف عاقبة إهماله، فقد روي أن أعرابياً سأل حضرة النبي ﷺ: متى الساعة؟ فأجابته: ﴿إِذَا ضُيِّعَتِ الْأَمَانَةُ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ﴾، قال: كيف إضاعتها يا رسول الله؟ قال: ﴿إِذَا أُسْنِدَ الْأَمْرُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ، فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ﴾⁽¹⁾.

لاحظ أن النبي ﷺ فسّر سؤالاً عن نهاية الزمان بجوابٍ عن توزيع الفرص والمناصب، فجعل تسليم الأمر لغير الكفء علامة انهيار حضاري، لا مجرد خطأ إداري عابر. وقد وسع شراح الحديث المعنى ليشمل كل موضع يُسند فيه شأن إلى إنسان، من الخلافة والإمارة إلى القضاء والافتاء والتدريس وسائر المناصب، فأى فرصة مُنحت لغير مستحقها محاباة لقراءة أو مالٍ أو جاهٍ دخلت في هذا الوعيد.

وبالنسبة لنا، فإن لفظة «الساعة» ترمز إلى أمرين: القيامة الكبرى، والقيامة الصغرى. فأما القيامة الكبرى فهي هلاك الدنيا، وأما القيامة الصغرى فالمقصود بها هلاك الأمة أو المؤسسة التي وُسِّدَ أمرها إلى غير أهلها، لا القيامة العامة التي لا يعلم وقتها إلا الله.

يعني: إن الساعة هنا مفهوم كلي له مصاديق متعددة، لا لفظ يشير إلى حادثة واحدة فقط لا تتكرر.

1 - صحيح البخاري - ط التأصيل، حديث رقم [6505]، ج 8 ص 290.

الساعة الكبرى، مصداقها الأعظم والنهائي الذي لا يعلم وقتها إلا الله، أما مصاديقها الصغرى فهي متكررة عبر التاريخ، كلما تحقق سببها بعينه، وهو تضييع الأمانة بتوسيد الأمر لغير أهله، وقعت ساعة خاصة بذلك الموضع، كانهيار وزارة، أو سقوط دولة، أو تفكك مؤسسة، بصرف النظر عن قيام الساعة الكبرى من عدمها.

لهذا التعدد في مصاديق الساعة أصل قرآني صريح، لا يقتصر على هذه الرواية وحدها، قال تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾⁽¹⁾، فتدبر أن الآية لم تجعل لكل الأمم أجلاً واحداً مشتركاً هو قيام الساعة الكبرى فحسب، إنما جعلت لكل أمة أجلاً الخاص بها، منفصلاً عن أجل غيرها. وهذا هو عين المعنى الذي يتسق مع الحديث النبوي، فالنبي ﷺ حين قال: «فانتظر الساعة»، كان يصف قانوناً اجتماعياً مطرداً، متى تحقق سببه في أي موضع، تحقق أثره في ذلك الموضع بعينه، ولو بقيت الساعة الكبرى بعيدة.

وبهذا الفهم، حين تُسند وزارة أو مؤسسة أو دولة أمرها إلى غير أهله، وذلك من باب المحاصصة أو المحاباة لا الكفاءة، فإن انهيارها اللاحق ليس مجرد فشل إداري عارض يُنسب إلى سوء تخطيط أو ظروف خارجية، إنما هو مصداق متحقق من مصاديق هذا الحديث النبوي المطهر أي: إن ساعة خاصة بتلك المؤسسة قد وقعت؛ لأن سببها الذي حذر منه النبي ﷺ قد استوفي فيها بعينه.

من هنا، فإن المواطن صاحب هذا المقوم يسأل نفسه سؤالاً مختلفاً عن سؤال المساواة العادي؛ أي: لا يسأل: هل يوزع بلدي الفرص بعدل؟ إنما يسأل:

هل حضضتُ اليومَ على تقديم الأُكفأ حين رأيتُ غيره يُقدِّم عليه؟
وهل رفضتُ أن أطلبَ لنفسي أو لقريبي فرصةً لا يستحقُّها أحدنا
بجهدِهِ وكفاءتِهِ وحدَهُما؟

لهذا نقولُ: الوطنيةُ فرعُ الطريقةِ، بمعنى أنَّ الطريقةَ هي المنهجُ
الإيمانيُّ الذي يحملُك بالهمةِ والمددِ على تطبيقِ قواعدٍ أو مقوماتِ
الهويةِ الوطنيةِ، بحَقِّها وحقوقها.

المَقْوَمُ الثَّالِثُ: دَعْمُ سِيَادَةِ الْقَانُونِ

دَعْمُ سِيَادَةِ الْقَانُونِ هو أن يرفضَ الفردُ لنفسِهِ ولَمَن حَوْلَهُ أيَّ
استثناءٍ من حكمِ القانونِ، مهما كانتْ درجةُ قربه منه أو نفوذِهِ، وأن
يُمْتَنَعَ عن استخدامِ صِلَتِهِ أو مكاتِبَتِهِ وسيطاً لتعطيلِ تطبيقِهِ على
أحدٍ، وأن يضغَطَ عملياً حين يرى القانونَ يُعْطَلُ لصالحِ ذي جاهٍ أو
نفوذٍ، فلا يكتفي بالإيمانِ النظريِّ بأنَّ القانونَ فوقَ الجميعِ.

لهذا المَقْوَمُ شاهدٌ نبويٌّ بالغُ الدقةِ، وفيهِ موضعانِ يستحقانِ
النظرَ معاً، فحين أرادتْ قريشُ أن تشفعَ لامرأةٍ من أشرافِها
سُرقتْ، لتُعْفَى من العقوبةِ التي تُوقَّعُ على غيرها من الضعفاءِ،
لم يذهبوا إلى النبيِّ ﷺ مباشرةً، بل بحثوا عمن له عنده مكانةٌ
عند رسولِ الله ﷺ يستطيعُ أن يتوسطَ لهم، فوقَّعَ اختيارُهم
على أسامةَ بنِ زيدٍ، حبَّ رسولِ الله ﷺ، فكَلَّمَهُ أسامةُ في
شأنِها، فتلونَ وجهُ النبيِّ ﷺ غضباً، وقامَ وخطبَ في الناسِ
فقال: ﴿إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ، أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ
الشَّرِيفُ تَرَكَوهُ، وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ﴾⁽¹⁾.

المَوْضِعُ الأوَّلُ في هذا الحديثِ هو موقفُ النبيِّ ﷺ بوصفه
صاحبَ الأمرِ، وهو شاهدٌ على التزامِ صاحبِ السلطةِ بعدمِ تعطيلِ
القانونِ لأحدٍ، وهذا شاهدٌ يَخُصُّ الحاكمَ بالدرجةِ الأولى.

1 - صحيح البخاري، مصدر سابق، حديث رقم [3476]، ج 3 ص 309.

أما الموضعُ الثاني، وهو الأدقُّ دلالةً على دورِ الفردِ العاديِّ في هذا المقومِ، فهو موقعُ أسامةَ بنِ زيدٍ نفسه، ذلك الصحابيُّ الجليلُ الذي لم يكن حاكماً ولا قاضياً، إنما كان رجلاً عادياً يملكُ أمراً واحداً فقط، محبةَ النبيِّ ﷺ له ومكانتهِ عنده.

هذا الموقعُ بعينه هو الذي يمكنُ أن يعيشه أيُّ مواطنٍ اليومَ، فكلُّ فردٍ يملكُ قدراً من الصلةِ أو المعرفةِ أو النفوذِ الصغيرِ، صديقاً في دائرةٍ حكوميةٍ، أو قريباً في موقعٍ مسؤوليةٍ، أو معرفةً بمن يستطيعُ أن يسهلَ أمراً، وهذا الرصيدُ بالذاتِ هو ما استدعته قريشُ من أسامةَ، لا سلطته هو، بل صلته بصاحبِ السلطةِ.

وحين جدَّ الجدُّ، رفضَ حضرةُ النبيِّ ﷺ وساطةَ أسامةَ، ليؤسسَ بذلك لقاعدةً من قواعدِ (النهي عن المنكرِ)، وهي تتمثلُ في نهْيِ كلِّ من يملكُ مثلَ هذه الصلةِ في أيِّ زمانٍ، من استخدامِ القربِ من صاحبِ النفوذِ لتعطيلِ حكمِ القانونِ على أحدٍ، ولو كان بنيةٍ حسنةٍ أو محبةٍ صادقةٍ كمحبةِ أسامةَ للمرأةِ أو لأهلها، فهذا مسلكٌ مرفوضٌ من أساسه.

المواطنُ الذي يحملُ هذا المقومَ حقاً هو من يرفضُ أن يكونَ (أسامةَ) هذا العصرِ، حين يُطلبُ منه، ممن له دالةٌ عليه، أن يشفعَ لقريبٍ أو صديقٍ خلافَ القانونِ، أو حين يجربُ هو نفسه استخدامَ معرفتهِ بصاحبِ نفوذٍ ليُعفى من عقوبةٍ أو يحصلَ على استثناءٍ لا يستحقُّه.

إنَّ سيادةَ القانونِ لا تكتملُ إلا بـ (الأمر بالمعروفِ والنهي عن المنكرِ)، فأما النهيُ عن المنكرِ هنا فيتحققُ بالامتناعِ الفرديِّ عن طلبِ الاستثناءِ. وأما الأمرُ بالمعروفِ فيقعُ بالعملِ المجتمعيِّ على الضغطِ في سبيلِ تحقيقِ مبدأ (القانونِ فوق الجميعِ)، ضمنَ

السياقات النظامية، كلما رُئي القانون يُعطل لصالح ذي جاهٍ أو نفوذٍ الإشارة المتضمنة في الرواية الكريمة أنه كما وقف النبي ﷺ خطيباً أمام الناس معلناً موقفه من محاباة الأشراف علناً، لا سراً، كذلك المواطن صاحب هذه الهوية الوطنية عليه ألا يكتفي بالصمت حين يرى غيره يمارس دور أسامة، إنما يتوجه للإنكار بالوسائل النظامية المتاحة له، إعلاماً أو شكوى أو مساءلة، حتى يبقى القانون فوق الجميع فعلاً لا شعاراً.

هذا السلوك الإيماني الوطني هو ما يضمن حماية حقوق الأفراد من الضياع، ويوفر بيئة آمنة ومستقرة وموثوقة لممارسة الحريات، إذ لا قيمة لقانون عادل في نصه إن كان كل صاحب صلة يستطيع أن يعطله متى شاء.

المقوم الرابع: أمانة المشاركة

المواطنة هي تعبير عن حالة من الحركة والمشاركة الفاعلة والتذكير المستمر، لا حالة ساكنة. إنها ممارسة ديناميكية، تتجلى في تفاعل الفرد في إدارة الشؤون العامة، سواء عبر الترشح وممارسة الانتخابات، أو إبداء الرأي في القضايا الوطنية، أو الانخراط في منظمات المجتمع المدني والمبادرات التطوعية التي تخدم الصالح العام.

بحسب قراءتنا للتنزيل الحكيم، فإن هذه المشاركة الواعية ليست إلا تطبيقاً عملياً لقوله تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾⁽¹⁾. بالتالي فإن المواطنة جزء أصيل لا يتجزأ من ثنائية: الإيمان والعمل الصالح.

المسألة المحورية في هذا المقوم تتمثل في وعي المواطن (المريد) بأنَّ صوته، ورأيه، أمانةً أودعها الله عنده في شأن وطنه العام. يعني في العقيدة الكسنزانية أداء هذه الأمانة واجب أو تكليف شرعي، لا مجرد حق شخصي يمارسه إن شاء ويهمله إن شاء، كما هو الشأن عند غير أهل الطريقة.

الأمر ليس كذلك في عقيدتنا الصوفية، حاضر الأمة ومستقبلها معلقان في أصوات كل فرد مؤهل من أفرادها، وعلى كل منهم أن يؤدي ما عليه بشأن هذا الشأن التشاركي.

لذا، فالامتناع عن المشاركة بلا مبرر واقعي هو تفريط في أداء أمانة دينية ودنيوية، بل هو مدخل لإيقاع النفس في دائرة (الظلم والجهل) المشار إليهما في الآيات الكريمة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا . يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا . إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾⁽¹⁾.

فالآية الأولى: تأمر بلزوم إبداء الرأي والقول السديد المتمثل في عصرنا الحاضر بـ(التصويت في الانتخابات).

والآية الثانية: تنص على أن الذي يصوت قربة لله تعالى، أي يضع الله نصب عينيه ليختار من يراه الأكفأ والأمثل لتحقيق مصلحة العباد والبلاد، فإنَّ جزاءه على هذا العمل هو إصلاح الأعمال والمغفرة والفوز العظيم.

في حين أنَّ الآية الثالثة: تبين أنَّ خيانة هذه الأمانة أو التفريط في أدائها، يوقع المؤمن في الظلم والجهالة.

وفي آيةٍ أخرى، وصفَ القرآنُ الكريمُ المؤمنينَ في معرضِ الثناءِ عليهم بأنَّ الشورىَ صفةٌ لازمةٌ لهم، لا خياراً عارضاً، فقال سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾⁽¹⁾.

لاحظْ أنَّ الشورىَ هنا قرنتُ بإقامةِ الصلاةِ والإنفاقِ، وهما من أركانِ العبادةِ الكبرى، فلم تُعاملِ الشورىَ معاملةَ الإجراءِ الإداريِّ الجانبيِّ، إنما عوملتْ معاملةَ الصفةِ الإيمانيةِ الأصليةِ التي لا يستقيمُ إيمانُ المرءِ بدونها.

والأكرمُ من ذلك أنَّ اللهَ تعالى أمرَ حضرةَ النبيِّ ﷺ نفسه بمشاورةِ أصحابه، مع أنه المؤيدُ بالوحي، فقال عزٌّ من قائلٍ: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾⁽²⁾.

فإذا كان صاحبُ الوحيِّ مأموراً بمشاورةٍ من حوله، فأولىً بمن دونه من الحكامِ والولاةِ أن يكونَ رأيُ الناسِ فيهم مؤسساً لا مهملاً، وأولىً بالمواطنِ المؤمنِ، وبخاصةِ صاحبِ البيعةِ والطريقةِ، أن يبذلَ هذا الرأيَ حينَ يُطلبُ منه، لا أن يتكاسلَ عنه، أو يتعاملَ معه وكأنه إجراءٌ شكليٌّ بلا قيمةٍ روحيةٍ، فإن فعلَ، فجزاؤه على شاكلتهِ عمله، أي لا يحصلُ على البركةِ الروحيةِ العظيمةِ المترتبةِ على هذا التطبيقِ الإيمانيِّ.

لذا نوجهُ أنظارَ وقلوبَ الجميعِ على مسألةِ (أمانةِ المشاركةِ)، وذلك بأن يضعوا نصبَ أعينهم قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا﴾⁽³⁾. وفي هذا السياقِ، فاختيارُ من يتولى الشأنَ العامَّ أمانةً يجبُ أدائها، وفاءً للطريقةِ والوطنِ.

1 - [الشورى: 38].

2 - [آل عمران: 159].

3 - [النساء: 58].

المقوم الخامس: الاستعداد للتضحية والدفاع

استشعار المواطن أنَّ حماية وطنه من الاعتداء أو الفساد أو الانهيار مسؤولية شخصية تلزمه ببذل ما يقدر عليه من جهد ووقت ومال، وعند الاقتضاء نفسه وأمنه، لا انتظاراً لأن يتولى غيره وحده هذا العبء. لهذا المقوم نموذج يُعدُّ أشهر من نارٍ على علم، كما يقال، وهو نموذج الإمام الحسين عليه السلام، الذي بلغ أعلى مراتب البذل والعطاء حين قدم نفسه وأهل بيته ثمناً لموقفه.

غير أنَّ هذا المقوم غير منحصر بصورة المواجهة المسلحة. فأغلب المواطنين لن يوضعوا يومياً أمام اختبارٍ كاختبار الحسين عليه السلام، بينما يوضعون يومياً أمام اختباراتٍ من نوع آخر، تستدعي الاستعداد نفسه بصورة متناسبة معه.

هذا الاختبار بينه حضرة النبي صلى الله عليه وآله حين سُئل: أيُّ الجهاد أفضل؟ قال: ﴿أفضل الجهاد كلمة عدلٍ عند سلطان جائرٍ﴾⁽¹⁾.

هذه الرواية تنقل معيار التضحية من ساحة القتال إلى ساحة القول، فأفضل الجهاد لا يشترط المواجهة المسلحة، بل كلمة حق تُقال في وجه سلطان جائرٍ، مع ما يحتمله قائلها من كلفة اجتماعية أو وظيفية أو أمنية.

يروى أنَّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه صعد المنبر يوماً فقال: "أيها الناس، ما إكثاركم في صدقات النساء؟ وقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله وأصحابه، وإنما الصدقات فيما بينهم أربعمئة درهمٍ فما دون ذلك، ولو كان الإكثار في ذلك تقوى عند الله أو كرامة لم تسبقوهم إليها، فلا أعرفن ما زاد رجلٌ في صدقات امرأةٍ على أربعمئة درهمٍ".

1 - سنن ابن ماجه، السعودية، ط2، 2014 م، حديث رقم [4003]، ص843.

فلَمَّا نزل، اعترضته امرأة من قريش فقالت: يا أَمِيرَ المؤمنين، نهيتَ الناسَ أن يزيّدوا في مهرِ النساءِ؟ قال: نعم، قالت: أما سمعتَ ما أنزلَ اللهُ في القرآن؟ قال: وأيُّ ذلك؟ قالت: أما سمعتَ اللهَ يقولُ ﴿وَأَتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا﴾⁽¹⁾؟ فقال عمر: اللهم غفرًا، كلُّ الناسِ أفتقه من عمر، أصابت امرأة وأخطأ عمر⁽²⁾.

على أن لفظة (سلطان) في هذا الراوية لا تنحصر في رأسِ الدولة أو الحاكم الأعلى كما نفهمها، فهذا الفهم يُضيقُ دلالةَ الكلمة عن أصلها اللغوي، إذ السلطان في اللغة كلُّ من ملك القوة والقهر أو نفوذاً على غيره، صَغَرَ ذلك النفوذ أو كَبُرَ⁽³⁾.

لهذا الفهم الموسع أصلٌ صريحٌ في رواية: ﴿كلكم راع، ومسؤول عن رعيته، الإمام راع، وهو مسؤول عن رعيته، والرجل في أهله راع، وهو مسؤول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها، وهي مسؤولة عن رعيته، والخادم في مال سيده راع، وهو مسؤول عن رعيته﴾⁽⁴⁾.

هذا الحديث نفسه يقرّر بنية سلطاتٍ متعددةٍ متداخلةٍ، لكلِّ واحدةٍ منها رعيةٌ تخصّها، فالإمام سلطانُه الأمةُ كلّها، والمديرُ سلطانهُ موظفوه، والمعلمُ سلطانهُ تلاميذه، والطبيبُ سلطانهُ مرضاه، والمهندسُ سلطانهُ فريقُ عمله، وكلُّ موقعٍ من هذه المواقع يحملُ احتمالَ الجورِ بقدره، مديرٌ يظلمُ موظفًا، أو معلمٌ يجحفُ بتلميذٍ، أو مسؤولٌ صغيرٌ يماطلُ مواطنًا في حقٍّ مشروع.

وحين نقاطعُ هذا الفهمَ مع رواية: ﴿أفضلُ الجهادِ كلمةٌ حقٌّ عند سلطانٍ جائرٍ﴾⁽⁵⁾، يتضحُ أنَّ هذا الجهادَ لا ينتظرُ لحظةً استثنائيةً

1 - [النساء: 20].

2 - الهيثمى، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، حديث رقم [7496]، ج 4 ص 283.

3 - انظر: ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، مصدر سابق، ج 3 ص 95.

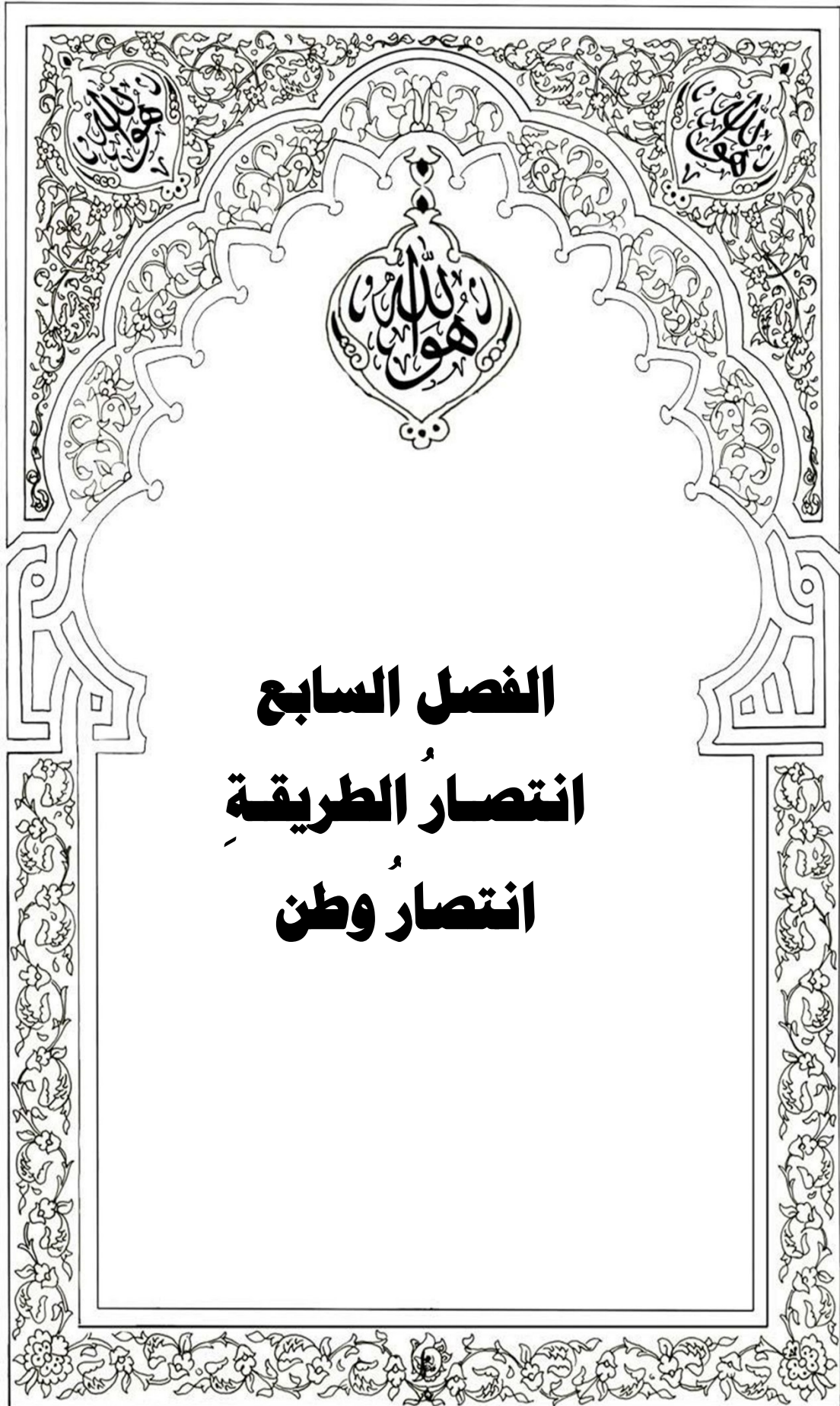
4 - مسند أحمد، القاهرة، ط 1، 1995 م، حديث رقم [6027]، ج 5 ص 349.

5 - ابن ماجه، جامع السنن، مصدر سابق، حديث رقم [4003]، ص 834.

يقف فيها المرءُ أمامَ رئيسِ دولةٍ أو خليفةٍ، إنما هو يعرضُ نفسه على كلِّ مواطنٍ في سياقِ عمله اليوميِّ، حين يرى مديره يظلمُ زميلاً فيصمتُ أو ينطقُ، وحين يرى معلماً يجحفُ بطالبٍ فيتغاضى أو يعترضُ، وحين يواجهُ موظفاً صغيراً يستغلُّ موقعه. فيستسلمُ أو يطالبُ بحقه. فكلُّ مواطنٍ يحملُ في محيطِ عمله وحياته اليومية سلطاناً صغيراً يمكنُ أن يجورَ، وموقفه من ذلك الجورِ هو ميدانُ اختبارِ الحقيقيِّ في هذا المقومِ، لا انتظارَ مواجهةٍ كبرى قد لا تقعُ في حياته أصلاً.



يمكنُ ملاحظةُ أنَّ كلَّ واحدةٍ من هذه المقومات الخمسة قد جمعتُ بين ميزانين معاً: ميزانِ الوحيِّ وميزانِ العقلِ المشتركِ بين الناسِ، فوجدَ كلُّ مقومٍ جذره في نصِّ قرآنيٍّ أو نبويٍّ أو أثرٍ عن الصحابة والعلماء، ووجدَ في الوقتِ نفسه معنى يعرفه كلُّ مواطنٍ، ولو لم يقرأ في هذه النصوصِ حرفاً واحداً. فما بدا في الفصولِ الأولى عقيدةً قلبيةً خاصةً بأهلِ الطريقِ، ثبتَ هنا أنه أيضاً معيارٌ مدنيٌّ عامٌّ، لا تناقضَ بين الوجهين، ولا حاجةً لأحدهما أن يتنازلَ عن الآخر ليصحَّ. بهذا يكتملُ جوابُ السؤالِ الذي فُتحَ به هذا الفصلُ، فحين يبلغُ المريدُ صندوقَ الاقتراعِ مخلصاً موحدَ القلبِ، كما وعدَ الفصلُ الخامسُ، فإنَّ الوطنَ الذي يبنيه بهذا الحكمِ ليس فكرةً مجردةً، إنما هو هذه المقوماتُ الخمسةُ بعينها، متجسدةً في مواطنٍ يحملُ قلباً صوفياً، ويداً نظيفةً من المحاباةِ، وصوتاً لا يسكتُ أمامَ القانونِ المُهدرِ، وحضوراً فاعلاً في الشأنِ العامِّ، وميزاناً بين ما يأخذُ وما يعطي، واستعداداً لا يتزعزعُ حين يشتدُّ الأمرُ.



الفصل السابع
انتصارُ الطريقةِ
انتصارُ وطن

حقائق عن (نصرة) الله تعالى

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾⁽¹⁾.

هذه الآية الكريمة تعلنُ معادلةً إلهيةً دقيقةً، نصرَةُ العبدِ لله تعالى سببٌ لنصرةِ الله للعبدِ، وهذا التبادلُ له أصلٌ في بنية الفعلِ (نصر) نفسه، فهو فعلٌ يستدعي طرفين، ناصراً ومنصوراً، ولا يكتملُ معناها إلا بوقوعه بينهما.

تتكررُ هذه المعادلةُ نفسها في موضع آخر من القرآن الكريم، بصيغة توكيدٍ أشدَّ، قال تعالى: ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾⁽²⁾، فاللامُ ونونُ التوكيدِ الثقيلةُ هنا تجعلانِ من هذا الوعدِ قسماً إلهياً مؤكداً، لا وعداً محتملاً، ثم تختُم الآيةُ بصفتي القوة والعزة، وكأنها تقولُ: إِنَّ الذي وعدَ بالنصرِ ليس عاجزاً عن الوفاءِ ولا مغلوباً على أمره، فهو القويُّ العزيزُ الذي لا يُخلفُ الميعادَ.

هنا قد يقفُ البعضُ مستغرباً متسائلاً: كيف يطلبُ سبحانه وتعالى، وهو الغنيُّ عن العالمين: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ. إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾⁽³⁾، نصراً من عبدٍ لا حولَ له ولا قوةَ إلا به؟

وكيف يُنظرُ إلى المقابلةِ: (إِنْ تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ)، وكأنَّ بينَهُ تعالى وبينَ عبده تبادلٌ يقومُ على حاجةٍ متبادلةٍ، وهو المنزهُ عن كلِّ حاجةٍ، الغنيُّ الذي لا يفتقرُ إلى أحدٍ من خلقه؟

هذا الاستغرابُ يذوبُ حينَ ننظرُ إليه من جهتين متكاملتين:
جهة اللفظِ والقراءة التقليدية أولاً، وجهة المعادلةِ نفسها ثانياً.

1 - [محمد: 7].

2 - [الحج: 40].

3 - [فاطر: 15-16].

أما النظرُ إليه من الجهة الأولى: فإنَّ العربيةَ التي نزلَ بها القرآنُ الكريمُ تعرفُ أسلوباً أصيلاً فيها، هو إقامةُ المضافِ إليه مقامَ المضافِ. وقد ضربَ الإمامُ فخرُ الدينِ الرازيُّ في تفسيره الكبيرِ عدداً من الأمثلةِ التوضيحيةِ على ذلك في معرضِ مناقشةِ قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ﴾⁽¹⁾، فقال: «التأويلُ: أن يكونَ المرادُ ﴿هل ينظرونَ إلا أن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ﴾، أي أمرُ الله، ومدارُ الكلامِ في هذا البابِ أنه تعالى إذا ذكرَ فعلاً وأضافَه إلى شيءٍ، فإن كان ذلك محالاً فالواجبُ صرفُه إلى التأويلِ، كما قاله العلماءُ في قوله: ﴿الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ﴾⁽²⁾، والمرادُ: يحاربونَ أوليائه، وقال: ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ﴾⁽³⁾، والمرادُ: واسألِ أهلَ القريةِ، فكذا قوله: (يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ)، المرادُ به: يَأْتِيَهُمُ أمرُ الله، وقوله: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾⁽⁴⁾، المرادُ: جاءَ أمرُ ربِّك، وليس فيه إلا حذفُ المضافِ، وإقامةُ المضافِ إليه مقامه، وهو مجازٌ مشهورٌ، يُقالُ: ضربَ الأميرُ فلاناً، وصلبه، وأعطاه، والمرادُ أنه أمرٌ بذلك، لا أنه تولى ذلكَ العملَ بنفسه»⁽⁵⁾.

ووفقاً لهذه القراءةِ فإنَّ قوله تعالى: ﴿إِنْ تَنْصَرُوا لِلَّهِ﴾، ليس على ظاهره من نصرةِ الذاتِ الإلهيةِ، إنما هو اختصارٌ بليغٌ لقوله: انصروا دينَ الله، أو انصروا رُسُلَ الله وأوليائه، فحذفَ اللفظَ الأولَ، الدينُ أو الرسلُ أو الأولياءَ، وأُقيمَ اسمُ الجلالةِ مقامه تشریفاً لا نيابةً عن حاجةٍ. بالإمكانِ تعزيزُ هذه القراءةِ أو الفهمِ وتبيانُه أكثرَ بالنظرِ في روايةٍ عن رسولِ الله ﷺ جاءَ فيها: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: يَا

1 - [البقرة: 210].

2 - [المائدة: 33].

3 - [يوسف: 82].

4 - [الفجر: 22].

5 - الإمام فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط 3 -

1420 هـ، ج 5 ص 356.

ابن آدم مرضت فلم تعذني.

قال: يا رب كيف أعودك؟ وأنت رب العالمين!

قال: أما علمت أن عبي فلاناً مرض فلم تعده، أما علمت أنك لو عذته لوجدتني عنده.

يا ابن آدم استطعمتك فلم تطعمني.

قال: يا رب وكيف أطعمك؟ وأنت رب العالمين!

قال: أما علمت أنه استطعمك عبي فلان فلم تطعمه، أما علمت أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندي.

يا ابن آدم استسقيتك فلم تسقني.

قال: يا رب كيف أسقيك؟ وأنت رب العالمين!

قال: استسقاك عبي فلان فلم تسقه، أما إنك لو سقيته وجدت ذلك عندي⁽¹⁾.

هنا يستغرب العبد النسبة كما استغربها السائل عن موضوع (النصرة)، فتأتي الإجابة من الله نفسه مفسراً مراده، أن المرض أو الجوع أو العطش المنسوب إليه، إنما هي أوصاف عبده المؤمن، رفعها الله إلى مقام نفسه تكريماً لذلك العبد، لا اعترافاً بحاجة تمس جلاله. هذا هو بعينه الأصل الذي يفسر (نصر الله) في آية النصر، من حيث هذا الوجه. فليس في اللفظ نفسه أي نسبة حاجة من الله - استغفر الله - إنما هي نسبة تشریف، رفعت بها قضية الدين والرسول والأولياء إلى مقام صاحب العزة والجلال، حتى يشعر الناصر أنه يقف في صف قضية لا تقل رفعة عن ربها.

وأما الإجابة من جهة المعادلة نفسها، فالأمر مقترب بمبدأ (الجزاء من جنس العمل) المتضمن في التنزيل الحكيم، فمن

1 - صحيح مسلم، مصدر سابق، حديث رقم [2569]، ج 8 ص 13.

يذكر الله، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَضَعُ نَفْسَهُ فِي مَوْقِعِ الْجَزَاءِ بِالمِثْلِ،
أَيَّ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَذْكُرُهُ: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾⁽¹⁾، ومن يشكر الله
فإنه يدخل نفسه في مقام المشكورين من الله: ﴿فَأُولَئِكَ كَانَ
سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا﴾⁽²⁾، ومن ينس الله فهو يُعرض للجزاء بالمثل:
﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾⁽³⁾.

وهذا يعني: أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى فَتَحَ لِلْعَبْدِ مَعَادِلَةً بِحَيْثُ يَجْلِبُ
لنفسه من الله تَعَالَى الْجَزَاءُ أَوْ المَعَامَلَةَ الَّتِي يَخْتَارُهَا هُوَ، فَإِذَا تَقَدَّمَ
لنصرة الله أَوْ دِينِهِ أَوْ رَسَلِهِ أَوْ أَوْلِيَائِهِ أَوْ كُلِّ مَا لَهُ صَلََّةٌ بِهِ سُبْحَانَهُ،
فذلك العبد هو المحتاج إلى النصر من الله، أي أنه قد وضع نفسه
في موضع استحقاق ذلك المدد، فإن تحققت على يده النصر في
الأرض، كان له الأجر والنور بالحق.

اللَّهُ تَعَالَى مَتَفَضِّلٌ غَنِيٌّ الْعَالَمِينَ، وَحِينَ يَطْرُقُ الْعَبْدُ بَابًا لِيَنْتَفَعَ
مِنْهُ لِنَفْسِهِ، تَأْتِيهِ مِنْ رَبِّهِ الْقُوَّةُ وَالْهَمَةُ وَالْإِعَانَةُ، ثُمَّ يُجَازَى عَلَى
الْفِعْلِ وَكَأَنَّهُ قَدْ أَدَاهُ بِنَفْسِهِ تَكْرِيمًا لَهُ عَلَى مَبَادِرَتِهِ، وَإِقْدَامِهِ،
وَسَعْيِهِ، وَجَدِّهِ وَاجْتِهَادِهِ، بِصَدَقٍ وَإِخْلَاصٍ وَمَحَبَةٍ.

إِذَا، قَدْ نَقُولُ إِنَّهَا مَعَادِلَةٌ، لَكِنَّا مَعَادِلَةٌ مِنْ نَوْعٍ خَاصٍّ، هِيَ مِثْلُ
مَعَادِلَةِ الْوُجُودِ وَالْعَدَمِ، وَهِيَ الْغِنَى الْمَطْلُوقُ فِي قِبَالِ الْاِفْتِقَارِ الْمَطْلُوقِ.

يَتَضَحُّ هَذَا مِنْ أَنَّ الْجَزَاءَ أَضْعَافُ الْعَطَاءِ دَائِمًا. جَاءَ فِي الْآيَةِ
الْكَرِيمَةِ: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيَضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا
كَثِيرَةً﴾⁽⁴⁾. فَالْآيَةُ الْكَرِيمَةُ هُنَا تَصَوُّغُ عَطَاءِ الْعَبْدِ لِرَبِّهِ بِصُورَةِ الْقَرْضِ،
وَهُوَ لَفْظٌ يَحْمِلُ فِي أَصْلِهِ مَعْنَى الْحَاجَةِ، لَكِنَّا هُنَا مَقْلُوبُ الْمَعْنَى
قَصْدًا، إِذْ لَا يَطْلُبُ اللَّهُ تَعَالَى الْقَرْضَ لِحَاجَتِهِ إِلَيْهِ، بَلْ هُوَ يَمْنَحُ عَبْدَهُ

1 - [البقرة: 152].

2 - [الإسراء: 19].

3 - [التوبة: 67].

4 - [البقرة: 245].

فرصة أن يستدين هو من فضله سلفاً بعملٍ صغيرٍ، ليردَّ الله عليه
أضعافاً لا يملك مثلها البتة.

والرواية المشهورة التي يذكر فيها حضرة النبي ﷺ عن ربه
تعالى قوله: ﴿إِنْ اقْتَرَبَ إِلَيَّ شِبْرًا اقْتَرَبْتُ مِنْهُ ذِرَاعًا، وَإِنْ اقْتَرَبَ
إِلَيَّ ذِرَاعًا اقْتَرَبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً﴾⁽¹⁾.

وهذا يكشف بجلاء تام أن هذه المعادلة من نمطٍ فريدٍ خاص،
فهي تقوم على مقابلة بين الغنى التام والفقر التام، وبذا فالعبدُ
الذي يخرجُ لنصرة الله هو المحتاجُ إلى تلك النصرة في مسعاه، لا
الربُّ الذي يهبُ أضعافَ ما قُدِّمَ له.

بهذا يلتقي الجوابان في نتيجة واحدة من طريقتين مختلفتين،
فالجواب الأول نزع الحاجة عن اللفظ نفسه، إذ أثبت أن نصر الله
معناه نصر دينه ورسوله وأوليائه تشریفاً لا نيابةً، والجواب الثاني نزع
الحاجة عن المعادلة كلها، إذ أثبت أن الجزاء وإن جاء من جنس
العمل، فقد جاء متفاوتاً معه تفاوت الخالق والمخلوق، فلا يبقى
في المسألة موضعٌ يتوهم فيه أن الغني القوي العزيز يقف يوماً
موقف المحتاج إلى نصر عبده، إنما هو المتفضل بجعل حاجة عبده
هي المقصودة وحدها بهذا الوعد، وهو الغني الذي جعل من نصرة
عبدٍ ضعيفٍ لدينه باباً يفتح له من فضله ما لا يحصيه ذلك العبدُ،
ولا يبلغه بسعيه مهما بلغ.

1 - الترمذي، الجامع الكبير (سنن الترمذي)، مصدر سابق، ج 5 ص 553.

نصرة الله بين الهدى والهوى

نصرة الله تعالى ليست باباً مفتوحاً لكل من رأى رأياً فحسبه حقاً، فما كان لله لا يكون إلا منه ابتداءً، أي هو مضبوط بأصل واحد جامع، (الهدى لا الهوى) أو (الاتباع لا الابتداء الشخصي)، فما كان خارجاً عن هذا الأصل لم يكن نصراً لله وإن حسبه صاحبه كذلك، وما وافقه كان نصراً وإن بدا صغيراً أو قليلاً في عين فاعله.

نجد هذا الأصل مقررًا بوضوح في التنزيل الحكيم، فقد قرر أن طريق محبة الله ونصرته مضبوطٌ باتباع محدد، غير خاضع لمقاييس ذاتي يضعه كل امرئ لنفسه، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾⁽¹⁾، فجعل الاتباع شرط صحة الدعوى، لا مجرد أحد خياراتها، فمن ادعى محبة الله أو نصرته بمقاييس يخرعه هو لنفسه، بمعزل عن هذا الاتباع، لم تصح دعواه مهما بدت له صادقة.

وقد ميز القرآن الكريم بدقة بين طريقين لا ثالث لهما في هذا الباب، طريق الهوى وطريق الهدى، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ﴾⁽²⁾، فكل نصرة لا تصدر عن هدى موروثة من مصدر الوحي، هي في حقيقتها اتباع لهوى النفس، مهما لبست أو ألبست لباس الغيرة على الدين أو حب الوطن.

ولقد عاصرنا فرقاً ضالةً عديدةً -ولا نزال نعاصر بعضها- اتبعت الهوى، ورفعت شعارات نصرة الله تعالى، لكنها لم تكن متصلة بمصدر الهدى، فَضَلَّتْ وَأَضَلَّتْ، بل أفسدت في الأرض بعد إصلاحها، فَسَلَبَتْ وَنَهَبَتْ وَاتَّهَكَّتْ وَاغْتَصَبَتْ وَقَتَلَتِ النَّاسَ ظُلْمًا وَعَدْوَانًا، فكانت للشيطان عوناً، وللرحمن خصماً، من حيث تدري أو لا تدري.

1 - [آل عمران: 31].

2 - [القصص: 50].

وماذا حدثَ لها؟ قُتِلَتْ شَرَّ قَتْلَةٍ، وشُرِّدَتْ شَرَّ تَشْرِيدٍ، لماذا؟ لأنها لم تنصرِ اللهَ باللهِ، بل بهواها وما زرعه الشيطانُ في أمانيها.

لو أنَّ تلكَ الجماعاتِ كانت من الله لنصرها الله كما ادعت، وكما يقولُ مشايخُ الصوفية: (لو كان لبان)، فالنتيجةُ كاشفةٌ لمقدمتها، ومبينةٌ لهوى أصحابها لا هداهم. يقولُ حضرةُ السلطانِ (قدس سره): "ما كان لله دَامَ واتصل، وما كان لغير الله انقطع وانفصل".

فانظروا إلى سلسلةِ مشايخِ الطريقةِ وقيامهم بنصرةِ الله ودينه في كلِّ زمانٍ يتواجدون فيه، ترونَ أنَّ بركتهم في تزايدٍ، وأثرهم في تنامٍ، وإصلاحهم في تعظيمٍ، وما ذاك إلا لأنهم حملةُ نورِ رسوله ﷺ وورثته الروحيون في أرضه. فمن أراد أن ينصر الله، فليلتزم أهل الله وأحباءه، ممثلين بالوارث الروحيِّ المحمديِّ الحاضر، وليتبع منهجهم، ففيه الهدى كلُّ الهدى، إن شاء الله.

النصرةُ الحقَّةُ .. نُصرةُ الطريقةِ

تقررَ فيما سبق أنَّ نصرةَ الله تعالى تكونُ بالهدى لا بالهوى⁽¹⁾، فمن أراد أن ينصر الله حقاً، لزمه أن يسلك طريقاً موصولاً متصلًا بمعينه الأول، لا سبيلاً اخترعه لنفسه بحسبانه هو.

السؤالُ الذي يتكررُ طرحه هنا: من يملكُ في هذا الزمانِ أن يوصلَ المريدَ بذلك المعينَ؟

الإجابةُ عن هذا السؤالِ، وبكلِّ وضوحٍ وشفافيةٍ: الذي يملكُ هذه الإمكانيةَ والإجازةَ الروحيةَ هو الشيخُ الحاضرُ المتصلُ بحضرةِ الرسولِ الأعظم ﷺ عن طريقِ سلسلةِ مشايخِ الطريقةِ. فالطريقةُ إذاً سندٌ روحيٌّ متصلٌ، جميعُ أوامرِها ونواهيها مسددةٌ

1 - المقصود بـ(الهدى): كل علم كان من الوحي خالصاً. أما بـ(الهوى) فكل علم كان من نفيس ويتم إسقاطه أو نسبته للوحي زوراً وبهتاناً.

بنور الوحي، وليست جماعة بشرية عادية تنافس غيرها على الولاءات الحزبية أو المذهبية.

مثل اتصال شيخ الطريقة الحاضر بحضرة الرسول الأعظم ﷺ كمثل اتصال حضرة الرسول الأعظم ﷺ بالله تعالى، فحين بايع الصحابة الكرام رضوان الله تعالى عليهم النبي ﷺ، لم تكن بيعتهم ليد بشرية منفصلة عن الله تعالى، إذ في الحقيقة إن يد حضرة النبي ﷺ هي نفسها مقاماً رُفِعَ إليه اسمُ الجلالة تشریفاً، ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾⁽¹⁾، وذلك وفقاً لقاعدة (إقامة المضاف إليه مقام المضاف) التي فصلناها آنفاً.

العقيدة الصوفية الكسنزانية في البيعة تتلخص في أن المريد حين يبايع الشيخ الحاضر اليوم، فإنه من الناحية الروحية قد ارتبط بتلك اليد المباركة نفسها، بالتالي فإن نصرته لهذه المبايعة أو الطريقة تجري على المبدأ نفسه بغير انقطاع، فهي نصرته لحققة من سلسلة ممتدة أصلها يد النبي ﷺ المرفوعة إلى الله تشریفاً، لا نصرته لغاية بشرية مستقلة بذاتها.

كيف تكون نصرته الطريقة؟

نصرة الطريقة تتحقق في إجراءات عملية متعاضدة، متصلة، يبني بعضها على بعض، لا بالاكتمال بالأمان أو التبريرات.

أول أبواب نصرته الطريقة تبدأ من حيث بدأ المريد نفسه، أي من البيعة، فاللمسة الروحية التي ربطت هويته بروح النبي ﷺ هي نفسها مهمته الأولى التي عليه حفظها وإيصالها لغيره. فالمريد الناصر لطريقته لا يكتفي بأن يكون هو نفسه مستقيماً على أوراده وأخلاقه، إنما يقع على عاتقه أن يدعو إلى هذا الخير من حوله، فيدلّ على

الطريق كما دُلَّ هو إليها، فيرشد المتردد بلسانٍ لينٍ وقذوةٍ.

وثاني أبوابِ النصرَةِ تكونُ بابتعادِ المريدِ نفسه عن كلِّ محرِّمٍ شرعيٍّ، وكلِّ ممنوعٍ قانونيٍّ، فلا يستقيمُ أن يدعيَ أحدُ نصرَةِ طريقةٍ تدعو إلى الاستقامة، وهو نفسه واقعٌ في محرِّمٍ يعلمه أو مخالفةٍ قانونيةٍ يتعمدها. فمن أرادَ أن يكونَ ناصراً، جعلَ بدنه وسلوكه أولَ ميدانٍ ينهى فيه عن المنكرِ، قبلَ أن يتطالعَ إلى ميدانٍ أوسعَ منه. أما ثالثُ أبوابِ النصرَةِ، وهو أدقُّها، وربما أخطرُها شأنًا، فهو حمايةُ الطريقةِ من كلِّ تشويهٍ أو تحريفٍ أو خيانةٍ تنالُ منها، سواءً بنسبةٍ قولٍ إليها لم تقله، أو عملٍ ترفضه وتنتهى عنه، أو تحريفٍ لمقصدٍ صريحٍ من مقاصدها.

جاءَ في الروايةِ الشريفةِ أَنَّهُ ﷺ قال: ﴿مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ﴾⁽¹⁾، وكذلك كلُّ مَنْ نسبَ إلى الطريقةِ قولاً لم يقله، أو فعلاً ترفضه وتبترأ منه، يشاركُ في جنايةٍ على السندِ نفسه الذي هو أصلُ هذا الكتابِ كُلِّه.

فناصرُ الطريقةِ الحقُّ لا يكتفي بالسكوتِ أمامَ هذا التحريفِ حينَ يراهُ أو يسمعه، بدلاً من ذلك يسارعُ بالمبادرةِ إلى تصحيحهِ وتوضيحِ براءةِ الطريقةِ منه، لأنَّ سكوتَهُ عن ذلك، وهو يعلمُ الحقَّ، ضربٌ من الحيادِ الذي فصلنا ذمُّه في الفصلِ الثاني، فكيفَ إذا كانَ الحيادُ هنا صمتاً عن تشويهٍ يمسُّ السندَ الذي يتصلُّ به قلبه ذاته.

بابٌ آخرُ من أبوابِ نصرَةِ الطريقةِ يتمثلُ في البذلِ والعطاءِ من الوقتِ والجهدِ والمالِ، لإعلاءِ كلمةِ الطريقةِ وعندَ الاقتضاءِ تقديمِ النفسِ، ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ﴾⁽²⁾ على القدرِ الذي فصلناه في معادلةِ الدفاعِ.

1 - الإمام أحمد بن حنبل، مسند أحمد، مصدر سابق، حديث رقم [584]، ج 2 ص 24.

2 - [التوبة: 111].

فمن بذل وقته في خدمة الطريقة، أو جهده في مجالس العلم والإرشاد، أو ماله في وجوه الخير التي تدعو إليها الطريقة، فقد ارتقى في درجات هذه النصر.

وهناك أبواب أخرى كثيرة لنصرة الطريقة، لكننا آثرنا الاكتفاء بما تقدم، ومنها جميعاً يتضح أن نصرة الطريقة سلوك متكامل، يبدأ بأمر بالمعروف ينبع من بوابة البيعة، ويتلوه نهْي عن المنكر يبدأ من ضبط النفس قبل غيرها، ويعلوه حراسة صارمة لسند الطريقة من كل تحريف أو خيانة، ويتوجه كله ببذل لا يكل، من الوقت إلى الجهد إلى المال، وعند الحاجة إلى النفس ذاتها، وليست مجرد دعوى تُقال باللسان، أو أمانى تتكى عليها الأنفس والأوهام.

كيف تتحقق نصرة الوطن بنصرة الطريقة؟

الطريقة تتبنى مبدأ الاستخلاف في الأرض، بمعنى أن كل مؤمن ينبغي أن يسعى في الأرض بقيم الإعمار ونبذ الفساد، قال تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾⁽¹⁾.

هذا الاستخلاف ورد في القرآن الكريم خطاباً للإنسان في الأرض عموماً، كلياً غير معين بموضع بذاته، غير أن هذا الكلي لا يُعاش إلا متعيناً، فالإنسان لا يعمر الأرض كلها دفعة واحدة، هو يعمر منها موضعاً بعينه، وهو الموضع الذي أسكنه الله فيه وجعله مقر حياته وأهله. ولهذا التعيين أصل قرآني صريح لا يقل وضوحاً عن أصل الاستخلاف العام، فحين امتن الله تعالى على قوم بتوريثهم الأرض، لم يمتن عليهم بأرض مجردة، إنما عينها لهم مواضع بذاتها، قال تعالى: ﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضَعُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ

وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا⁽¹⁾، وَقَالَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ: ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ⁽²⁾﴾، فالتبوءة هنا تعيينٌ وتخصيصٌ، لا استخلافٌ مطلقٌ بلا موضع.

ولما كانت أَرْضُ اللَّهِ تَعَالَى قَدْ قُسِمَتْ عَلَى هَذَا النَحْوِ إِلَى أَوْطَانٍ، فَإِنَّ كُلَّ وَطَنٍ هُوَ بِالنِّسْبَةِ لِأَهْلِهِ أَرْضُ اللَّهِ عِنْدَ أَهْلِهِ، أَيِ مُصَدِّقُ ذَلِكَ الِاسْتِخْلَافِ الْكَلِيِّ مُتَعِينًا لَهُمْ بَعِيْنُهُمْ، لَا اسْتِخْلَافًا آخَرَ مُنْفَصِلًا عَنْهُ.

إِنَّ هَذَا التَّقْسِيمَ نَفْسَهُ لَيْسَ تَدْبِيرًا بَشَرِيًّا مُحْضًا يَخْلُو مِنْ إِرَادَةِ إِلَهِيَّةٍ، فَاللَّهُ سُبْحَانَهُ هُوَ الَّذِي قَسَمَ بَيْنَ النَّاسِ مَعَاشَهُمْ وَمَوَاضِعَهُمْ بِحُكْمَتِهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا⁽³⁾﴾، فَقِسْمَةُ الْأَوْطَانِ صُورَةٌ مِنْ صُورِ هَذِهِ الْقِسْمَةِ الْإِلَهِيَّةِ الْأَشْمَلِ.

عَلَى هَذَا الْأَسَاسِ، تُلْزَمُ الْعَقِيدَةُ الصُّوفِيَّةُ الْكُسْنُزَانِيَّةُ مَرِيدُهَا أَنْ يَكُونُوا سَبَاقِينَ فِي الْإِصْلَاحِ الْاجْتِمَاعِيِّ، عَلَى التَّوَازِي مَعَ إِصْلَاحِ نَفُوسِهِمْ، لَا بَعْدَهُ أَوْ مُنْفَصِلًا عَنْهُ، فَالِاسْتِخْلَافُ الَّذِي بَدَأَ فِي الْآيَةِ الْكَلِيَّةِ بِالنَّهْيِ عَنِ الْإِفْسَادِ بَعْدَ الْإِصْلَاحِ، وَبِالدَّعَاءِ خَوْفًا وَطَمَعًا، لَا يَكْتَمِلُ مَعْنَاهُ إِلَّا حِينَ يَتَعَيَّنُ فِي وَطَنٍ بَعِيْنُهُ يَعْمُرُهُ صَاحِبُهُ بِيَدَيْهِ، وَيَدْعُو اللَّهَ فِيهِ خَوْفًا مِنْ تَقْصِيرِهِ وَطَمَعًا فِي قَرْبِهِ.

مِنْ هَذَا كُلِّهِ يَتَضَحُّ لِمَاذَا يَكُونُ انْتِصَارُ الطَّرِيقَةِ انْتِصَارَ وَطَنٍ، ذَلِكَ أَنَّهَا تَغْمِسُ مَشَاعِرَ الْإِيمَانِ فِي الْعَمَلِ الْوَطَنِيِّ، أَوْ تَنْسُجُ بَيْنَهُمَا نَسْجًا لَا انْفِصَالَ فِيهِ، وَلِهَذَا الِاسْتِعَارَةُ نَفْسِهَا أَصْلٌ قَرَأْنِيٌّ يَسْنُدُهَا وَيَزِيدُهَا عُمَقًا، فَلَفْظَةُ الْغَمِيسِ تَذَكُرُ بِصُورَةِ الصَّبْغَةِ الَّتِي وَصَفَ بِهَا الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ الدِّينَ نَفْسَهُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ

1 - [الأعراف: 137].

2 - [الأعراف: 74].

3 - [الزخرف: 32].

اللَّهُ صِبْغَةً⁽¹⁾، فالصبغة غمسُ الثوبِ في اللونِ حتى يتشربَه كُلُّه، فلا يبقى فيه خيطٌ أبيضٌ يخالفُ اللونَ، لا مجردَ تلوينٍ سطحيٍّ يزولُ بأولِ غسلةٍ. وهذا هو عينُ ما تفعله الطريقةُ بمريديها، هي لا تضيفُ الإيمانَ إلى حياته إضافةً خارجيةً تقفُ بجانبِ عمله الوطنيِّ، إنما تغمسُ هذا العملَ كُلَّهُ بصبغةِ الإيمانِ، حتى يخرجَ العملُ الوطنيُّ نفسه صادراً عن اللونِ نفسه الذي صُبِغَ به القلبُ، لا لوناً مغايراً يعملُ بجواره.

من هنا يتبينُ أنه طالما ينصرُ المريدُ طريقته بصدقِ قلبه وإخلاصِ عمله، فهو ينصرُ وطنه في اللحظةِ نفسها، لأنَّ القلبَ الذي صُبِغَ بصبغةِ الإيمانِ لا يستطيعُ أن يخرجَ منه عملٌ وطنيٌّ بلونٍ آخرٍ يخالفها، وطالما يسيرُ المريدُ في نصرةِ وطنه، فهو سائرٌ في نصرةِ طريقته.

هذا التكاملُ عند مشايخ الطريقةِ يتجاوزُ بصورةٍ يقينيةٍ مسألةَ الشعاراتِ أو النصوصِ البلاغيةِ التي يُرادُ بها إذكاءُ روحِ الحماسةِ، إلى نتيجةٍ حتميةٍ مفادها: أنَّ الوطنَ مصداقٌ متعينٌ للاستخلافِ الكليِّ في الأرضِ، الذي التزمَتْ به الطريقةُ التزامَ عقيدةٍ.

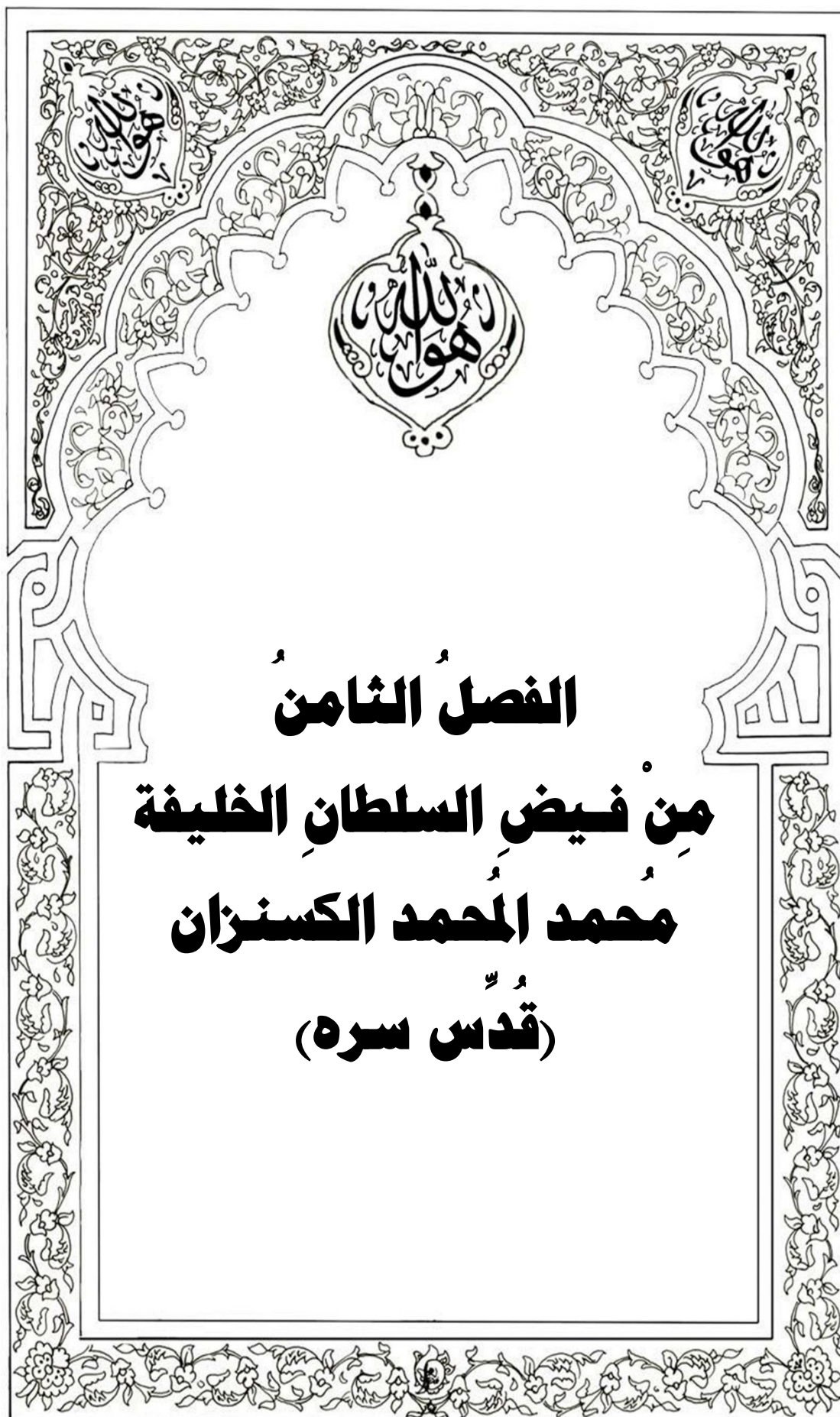
فمن قَصَرَ في نصرةِ وطنه وهو يظنُّ نفسه ناصراً لطريقته، فقد ظنَّ ما ليس بواقعٍ، إذ كيف يتمُّ الاستخلافُ الكليُّ في قلبه، وفي الوقتِ نفسه يكونُ معطلاً في الموضعِ الذي عُيِّنَ له ليمارسَ فيه هذا الاستخلافَ بعينه (وطنه)؟

وفي المقابلِ، من قَصَرَ في نصرةِ طريقته وهو يحسبُ نفسه مكتفياً بخدمةِ وطنه وحدها، فلا يلبثُ عمله الوطنيُّ أن يفقدَ صبغته الأولى، ويصيرَ عملاً كأيِّ عملٍ دنيويٍّ آخرٍ، لا عملاً مغموساً في يقينٍ واستحضارٍ لله في كلِّ خطوةٍ منه.

لهذا كان انتصارُ الطريقةِ انتصارَ وطنٍ حقاً لا مجازاً، فما من انتصارٍ

يتحقق لأحدهما إلا وهو بعينه انتصارٌ للآخر، وما من هزيمةٍ تلحق أحدهما إلا وهي ثلّةٌ في الآخر لا محالة، لأنهما ليسا قضيتين تتفقان أحياناً وتفترقان أحياناً أخرى، هما قضية واحدة، بدأت في القلب استخفافاً، وتعينت في الأرض وطناً، ولا تكتمل حلقاتها إلا حين تُوصلُ النهايةُ بالبداية، فيرى المريدُ في خدمته لعراقه أو أيّ بلدٍ هو فيه، الخطوة الأخيرة من الطريق الذي بدأه يومَ أخذَ بيعته الأولى.





مقدمة

سارت فصولُ هذا الكتابِ كُلِّها على ميزانٍ واحدٍ لم تحدّ عنه، وازنّت فيه كلّ فكرةٍ بميزانين معاً، ميزانِ الوحي من قرآنٍ وحديثٍ وأثرٍ، وميزانِ كلامِ حضرةِ السلطانِ (قدس سره)، لكي يتكشفَ أنّ ما تقرره العقيدةُ الصوفيةُ الكسنزانيةُ هو في الوقتِ نفسه امتدادٌ أصيلٌ لما نطقَ به الوحي، لا رأيٌ منفصلٌ عنه أو زائدٌ عليه.

غيرَ أنّ فيوضاتِ حضرةِ السلطانِ (قدس سره) في هذا البابِ أوسعُ من أن تستوعبها الاستشهاداتُ التي وُزعتُ على الفصولِ السابقة، فكلُّ فصلٍ من هذا الكتابِ استدعى من كلامه ما يخدمُ موضوعه المحدّد، وتركَ خلفه فيضاً من أقواله الأخرى، التي وإن لم تكن أساساً بُنيَ عليه فصلٌ بعينه، إلا أنها تصبُّ في المجرى نفسه، وتؤكدُ المعنى نفسه من زاويةٍ جديدةٍ.

هذا الفصلُ إذاً مخصّصٌ لجمع هذا الفيضِ المتبقي، لا ليؤسّس فكرةً مستحدثةً، بل ليثبتَ أمراً مهماً: أنّ ما بُنيَ عليه هذا الكتابُ ليس استنباطاً من أقوالٍ معدودةٍ اتّقيتُ انتقاءً، إنما هو خطٌّ ثابتٌ متكرّرٌ في كلامِ حضرةِ (قدس سره)، إذ كلما تحدّثَ عن الوطنِ والطريقةِ جمعَ بينهما وكافاً في التوصيةِ بهما، وهذا يدلُّ بيقينٍ على أنّ ما ذُكرَ ليس إلا صدًى متكرراً لعقيدةٍ راسخةٍ تفيضُ بها كلّ كلمةٍ نطقَ بها حضرةُ السلطانِ في هذا الشأنِ.



عُمِدَ في هذا الفصلِ إلى ضبط مقولاتِ حضرةِ السلطانِ (قدس سره) وفق ترقيمٍ تسلسليٍّ يُيسّرُ إحكام التوثيق وسلاسة الإحالة والاقتباس، مع مراعاة ما ورد منها في ثانياً متن الكتاب، والتي بلغت [سبع عشرة مقولةً] بعد حذف المكرر.

الطريقةُ خلافةُ الدنيا والآخرة

[1]: " قال تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾⁽¹⁾، الخليفةُ الإنسانُ

الصالح، الذي يأمرُ بالمعروفِ وينهى عن المنكرِ.

[2]: " الذي يرشدُ بين الناسِ، ويأمرُ بالمعروفِ، حضرةُ الرسولِ ﷺ

يسميه خليفةُ الله في الأرضِ، لأنَّ أمره ونهيَه حسبَ القرآنِ

وشريعةِ الرسولِ ﷺ.

[3]: " الخليفةُ مرتبةٌ كبيرةٌ جداً، انتبهوا، الله أعطاكم أكبرَ درجةٍ، لأنكم

تأمرونَ بالمعروفِ وتنهونَ عن المنكرِ.

[4]: " أنتم خلفاءُ في الأرضِ، انتبهوا على كرامتكم وعلى أخلاقكم.

مكاثتكم كبيرةٌ في المجتمعِ، إذا لم يعرفِ الإنسانُ مكاثته لا

يعرفُ قدرَ نفسه.

[5]: " الله تعالى أرسلَ المرسلينَ في سبيلِ إصلاحِ المجتمعِ،

فالمجتمعُ يُرادُ له توجيهُ، يُرادُ له الإرشادُ، لا صلاحٌ بلا إرشادٍ.

[6]: " في سورة (يس) قال تعالى: ﴿قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ

قَوْمِي يَعْلَمُونَ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ﴾⁽²⁾، يا

ليتَ خلفائي يعرفونَ بمكانةِ الجيدِ منهم عندَ الله.

[7]: " الخليفةُ عليه أن يأخذَ صفاتِ أخلاقِ خليفته إلى خليفته، ومن

شيخٍ إلى شيخٍ إلى حضرةِ الرسولِ ﷺ، فأنتم تتخلقونَ

بأخلاقِ الرسولِ ﷺ.

[8]: " طريقَتنا فيها الدنيا والآخرة، لا يجوزُ أن تتركَ الدنيا: (اعملْ

لدنياك كأنك تعيشُ أبداً، واعملْ لآخرتك كأنك تموتُ غداً)⁽³⁾.

1 - [البقرة: 30].

2 - [يس: 26-27].

3 - أثر ينسب إلى الإمام الحسن المجتبي (عليه السلام)، كما نقله الخزاز القمي (من أعلام القرن الرابع الهجري) حيث رواه بسنده عن (جنادة بن أبي أمية) في (كفاية الأثر في النص على الأئمة الأئني

[9]: ”تحركوا للإرشاد، ومن خلال الإرشاد تستطيعون أن تفعلوا كل شيء، لكنكم إذا توقفتُم عن حركة الإرشاد فإنَّ المدد سيتوقف عنكم، ابدؤوا بأورادكم وجددوها، والتزموا بأوامر الطريقة حتى تنجحوا، إن شاء الله، في مساعدة أخيكُم نهرو في الانتخابات“.

[10]: ”يبنوا أنفسكم يا كسنزانية، اعملوا لطريقتكم، ولدنياكم، ولاخرتكم، إن شاء الله، مرفوعي الرؤوس في الدنيا وفي الآخرة“.

[11]: ”يجب أن تكونوا جيدين في طريقتكم، تأمرون الناس بالبر، وتهون عن المنكر، يجب على كل واحد منكم أن يرشد ويأتي بالناس إلى الطريقة، لو كل واحد منكم يأتي بعشرة، بعد سنة فسيكون عندنا هنا ألف، ألفان، نتيجة جهودكم“.

[12]: ”أي خليفة لا يتحرك للطريقة، لا يتحرك للإرشاد، ولا يتحرك لمساعدة نهرو، ليس منا، انظروا للناس ماذا يعملون للشيطان؟ أنتم اعملوا لطريقتكم، ورشحوا من أبناءكم، نحن نريد منكم أن تصعدوا للحكم كحال بقية الكيانات السياسية، نحن دينيون روحانيون، لكن يجب أن يصبح عندنا موقع في الدولة، لنصح للناس، ونقف مع المحتاجين“.

[13]: ”الطريقة تعلمك الدين والدنيا“.

[14]: ”اليوم يوم الإعلام، يوم الكلام، يوم الإرشاد، الذين يأمرون

عشر)، ومما جاء: «دخلت على الحسن بن علي بن أبي طالب عليهما السلام في مرضه الذي توفي فيه... فقلت: عطني يا بن رسول الله، قال: نعم، استعد لسفرك، وحصل زادك قبل حلول أجلك... واعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً، واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً...». أنظر: محمد هادي اليوسفي الغروي، موسوعة التاريخ الإسلامي، الناشر: مجمع الفكر الإسلامي، قم: ج 5 ص 568.

بالمعروف وينهون عن المنكر ويمشون في الأرض
بالنصيحة هم خلفاء الله في الأرض، لأنَّ الأمر بالمعروف
والنهي عن المنكر كله في سبيل الله.

[15]: ” يجب أن تبتعدوا عن الحرام، وتحاولوا مع الناس في
الابتعاد عن الحرام.“

[16]: ” الله تعالى وصف حضرة الرسول ﷺ، فقال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى
خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾⁽¹⁾، فالذي لا أخلاق له لا إيمان له. الخلق العظيم
في الدين يعني أن تكون أحسن الناس في المجتمع، حتى
إذا تكلم الناس عليكم بالسوء، لا تتكلموا عليهم بسوء.“

[17]: ” الدرويش يجب أن يكون نزيهاً، متقياً، ورعاً، نظيفاً من
الخيانة، والقتل، والربا، والتجسس، والزنا.

يجب أن يكون أظھر إنسان في المجتمع من كلّ النواحي،
فمه، ويده، ولسانه، وقلبه، ورجله، وعينه، وأذنه، كلّها يجب
أن تكون طاهرة.

يعني ماذا؟ يعني ألا يحرك لسانه بالفساد، ولا يستمع
إلى الفساد والمنكر، ولا يمشي إلى الفساد، ولا يمدّ يده
إلى الفساد والمنكر، ويوجه كلّ أعضائه حسب شريعة
الرسول ﷺ، هذه هي طريقتنا.“



حب الوطن وخدمته والدفاع عنه

- [18]: "أهل التصوف لهم نصيب في بناء الوطن".
- [19]: "أنا أريدكم هكذا: ﴿كلكم راع، وكل راع مسؤول عن رعيته﴾، فكل واحد منكم مسؤول عن العراق والعراقيين".
- [20]: "يجب أن تبدؤوا بخدمة المجتمع، بخدمة العراق، بخدمة العراقيين، عرباً وأكراداً، وهكذا القوميات الأخرى".
- [21]: "يجب على الكل أن يحاول لبناء العراق الجديد، البلد بلدنا، والوطن وطننا".
- [22]: "الآن العراق بلد الديمقراطية، حاولوا حتى تكون أصواتكم عالية، حتى تكسبوا المجتمع وتخدموا الشعب العراقي".
- [23]: "هي فترة مؤقتة، إن شاء الله سوف تقودون العراق إلى بر الأمان والإيمان".
- [24]: "دراويش الكسنزانية، أهل الغيرة، أهل الشرف، أهل الكرامة، أهل التضحية، أتم ضحيتهم، وإن شاء الله مستمرون على التضحية في سبيل الله: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾⁽¹⁾، فالجهد في سبيل الله، والعمل في سبيل الله، والإرشاد في سبيل الله، وفتح التكايا في سبيل الله، ومساعدة الفقراء والمساكين واليتامى والأرامل، كله جزء من طريقتكم، فشدوا عزمكم مع شيخ نهر، إن شاء الله، تأخذوا حقكم".
- [25]: "نحن عراقيون، "حب الوطن من الإيمان"، دافعوا عن العراق، دافعوا عن طريقتكم، دافعوا لرفع راية الطريقة".
- [26]: "أنا أنبه نهر، وهو ينبهكم، وطنكم العراق وطن الكل، يجب

على الكلّ أن يخدمَ العراقَ، "حبُّ الوطنِ من الإيمان"، هذا جزءٌ من إيماننا، من عقيدتنا.

[27]: "اقتدوا بسيدنا عليّ (كرم الله وجهه)، وبسيدنا الحسين، اقتدوا بشاهِ الكسنزان، اقتدوا بسيد عبد الكريم الذي هاجر من الكفر والظلم، وسلطان حسين وسلطان قادر، هاجروا من العراق بسبب الاحتلال. نحن لا نهاجر، لكن ندافع".

[28]: "أنتم نبذة من العراقيين، أولادُ شاهِ الكسنزان، أولادُ الجيلاني، أولادُ سيدنا الحسين، أولادُ سيدنا الكرار".

[29]: "أنتم أبناء العراق، أبناء الطريقة في كلِّ أنحاء العالم، من الشرق إلى الغرب، ومن الشمال إلى الجنوب".

[30]: "الدرويش هو الذي يحاول مع الناس ليرجعهم إلى الله، ويرجعهم إلى الأمن والاستقرار، ويرجعهم إلى الأخوة في العراق. يحاول معهم من خلال الإرشاد وإعطاء البيعة".

[31]: "الدروشة عبادة الله، هي الصدق، هي الطهارة في المجتمع".

[32]: "الدروشة تعني خدمة الوطن والمجتمع".

[33]: "العراق وطن الكلّ، لتتوحد ونخدم الوطن، ونخدم القرى والأرياف، ونساعد عوائل الشهداء".

[34]: "الإحسان في الطريقة هو العمل الصالح، ومساعدة الفقراء والمساكين. فالعبادة، أي الطريقة، تدفع إلى العمل الصالح، ومساعدة الفقراء، وحب الوطن".

[35]: "المريد هو الذي يخدم المجتمع، ويخدم الناس: ﴿خير الناس من ينفع الناس﴾⁽¹⁾. لو قعدت بيتك فقط، فأنت لا تنفع إلا

1 - أحمد بن الحسين البيهقي، شعب الإيمان، تحقيق أبي هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1421هـ- 2000م، حديث رقم [7658]، ج 6 ص 117.

نفسك، يجب أن تجاهد، وتفتح تكايا، وترشد الناس، وتوجه الناس إلى الله تعالى، وتمنعهم من الأعمال المخالفة لشريعة الرسول ﷺ.“



[36]: ”طريقتنا تأمر وتحث على العلم، نركز على العلم دائماً.

عندنا أغلب الدراويش طلاب، نحن لا نعطيهم الطريقة لكي يتركوا المدرسة، لا، هذا نهائياً غير وارد في الطريقة. نحن بالعكس نشجع على الدراسة.

جاءنا شاب من النجف، قال: لا أستطيع أن أكمل دراستي؛ لأنني ضعيف ماديّاً، فقلنا له: لا، ابني، أكمل، ونحن ندفع لك مبالغ الدراسة، وأكمل دراسته، ما شاء الله. نحن نشجع على الدراسة، لأن من يترك الدراسة يصير عالّة على المجتمع.

وكذلك الجندي، هل نقول له: اترك واجبك وتعال اقعد واسمع؟ لا، لأنّ حماية الوطن واجب على الكل، ”حبّ الوطن من الإيمان“، أنت تحمي وطنك، تحميني، تحمي أرضك وشعبك، تحمي عرضك.

الدرويش، ليكون طالباً ومتصوفاً، وليكن عاملاً ومتصوفاً، وليكن مزارعاً ومتصوفاً.

[37]: ”نحن في الطريقة لا نمنع العمل في الوظيفة والصناعة والزراعة، وهكذا باقي الأعمال.

التصوف لا يقطع طريق العمل في الدنيا أبداً.“



[38]: ”العراقُ عراقُ الكلِّ، وليس عراقُ المنافقين والخونةِ والمجرمينَ الذين يأكلونَ بدمِ العراقيينَ باسمِ الحكيمِ وباسمِ الدولةِ. هؤلاءِ منافقونَ يدمرونَ البلدَ، ويدمرونَ العراقَ، ويأخذونَ خيراتِ العراقِ.

انظروا إلى هؤلاءِ الذين يسرقونَ العراقَ، ويدمرونَ البلدَ. انظروا كم أكلوا من ملياراتِ العراقِ، والشعبُ العراقيُّ متعبٌ وجائعٌ بمدنِهِ وقراه وأراضيه، وماؤه كله غيرُ صالحٍ. كلُّ ذلك بسببِ أنهم لا يحكمونَ بحكمِ الإسلامِ، ولا بحكمِ القانونِ، فقط يحاولونَ ملءَ جيوبِهِم، والذي ينفَعُ مصلحتَهُم يقربونَهُ، والذي لا ينفَعُ مصلحتَهُم يبعدونَهُ. انظروا للشعبِ العراقيِّ، من الجنوبِ إلى الشمالِ، ومن الشرقِ إلى الغربِ، وكلُّ العراقِ يمرُّ الآنَ في محنةٍ. وأنتم، يا دراويشُ الكسنزانيةِ، عليكم أن تحاولوا تصحيحَ الأوضاعِ، وتصحيحَ البلادِ، بمساعدةِ الواحدِ للآخرِ. التصحيحُ يكونُ بالحركةِ في سبيلِ الله، مثلاً: إذا رأيتَ شخصاً يريدُ أن يخربَ في الأملاكِ العامةِ أو الخاصةِ، يجبُ أن تُخبرَ عنه، هذا ليس تجسساً، هذا هو الحفاظُ على الوطنِ وحمايةُ الفقراءِ والمساكينِ.

أو ترى رجلاً يريدُ أن يتجاوزَ على آخرَ، يجبُ أن تحاول معه ليمتنع عن ذلك إن استطعتَ، لأنَّ الرسولَ ﷺ يقولُ: ﴿من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعفُ الإيمانِ﴾⁽¹⁾، المنكرُ يعني الفاسدَ المسيءَ.

1 - أحمد بن حنبل، مسند أحمد، مصدر سابق، حديث رقم [11460]، ج 18 ص 42.

فإذن يجبُ على الدرويش ألا يقبلَ بكلِّ هذا، فإذا استطاعَ أن يوقف ذلك بالوسائل الصحيحة فليفعل، أو بالكلام الطيب، أما إذا لم يستطعْ فليبتعدْ عنه وعن عمله“.

[39]: ”طريقَتنا الإيمانُ والأخوةُ والمحبةُ والأمرُ بالمعروفِ والنهيُ عن المنكرِ وعدمُ الكراهيةِ بين الناسِ، حتى إذا ترى هذا الشخصَ أفعاله غيرُ جيدةٍ، أنتَ بعقلِكَ وحكمتِكَ والكلامِ الطيبِ، بالهدوءِ وقوتِكَ ومحبتِكَ وإنسانيتِكَ وأخلاقِكَ الطيبةِ والنورِ الموجودِ في قلبِكَ وذكرِكَ وطاعتِكَ وصدقِكَ، تسحبُهُ إلى اللهِ، لا تكرهُه من بعيدٍ، كنْ عاقلًا فاهمًا، اقتربْ منه، وجههُ التوجيهُ الصحيحُ: ﴿مَنْ دَلَّ عَلَى خَيْرٍ فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ فَاعِلِهِ﴾⁽¹⁾، حتى يرجعَ مثلكَ إلى اللهِ، وليس بالعكسِ“.

[40]: ”لا تؤيدِ الفسادَ والمنكرَ، ولو بالصمتِ، البلدُ بلدُك“.

[41]: ”التخريبُ في العراقِ تخريبٌ على الكلِّ، أيُّ ضررٍ على أيِّ شخصٍ في أيِّ مدينةٍ، في أيِّ بيتٍ، ضررٌ على الكلِّ“.

[42]: ”يجبُ أن تحبَّ وطنَكَ، لا تدعِ الدخلاءَ والمنافقينَ يعتدونَ على شعبِنَا ووطنِنَا، نحنُ عراقيونَ، عندنا دولتُنَا ورسالتُنَا، لا سامحَ اللهُ، إن جاءَ أحدٌ من خارجِ البلدِ يريدُ أن يعتديَ على وطنِنَا وبلدِنَا وأمتِنَا، يجبُ ألا نقبلَ، ”حبُّ الوطنِ من الإيمانِ“، حبُّ الوطنِ جزءٌ من إيمانِكَ“.

[43]: ”شمالُ العراقِ مليءٌ كُلُّه بقبورِ الصحابةِ، فتحوا البلدانَ، وكسروا الإمبراطوريتينِ الفارسيةَ والروميةَ في سبيلِ الإسلامِ، في سبيلِ الشعبِ“.

1 - أحمد بن حنبل، مسند أحمد، مصدر سابق، حديث رقم [22339]، ج 37 ص 30.

اكسروا هذه الدكتاتوريات التي تأتي لتتعدى علينا.

يريدون تشكيل دكتاتورية مثل دكتاتورية الطالبان، يقصون الأصابع، ويعتدون ويغتصبون النساء، ويقتلون الرجال يأخذون أموالهم، هؤلاء منافقون، ظلمة، باسم الدين، يستغلون الدين.“

[44]: ”الذي يتعدى على الكسنزانية، يتعدى على الإسلام، يتعدى على حضرة الرسول ﷺ؛ لأن قلوبنا وعقيدتنا مرتبطة بحضرة الرسول ﷺ.“

[45]: ”الشيخ يوجهكم إلى تخليص العراق من القتل، من الذنوب، من السلب، من التعدي، من الظلم، من تدمير العراق. الشيخ يحاول، ويبلغ المريدين بأن يحاولوا منع المنافقين والظلمة من تدمير العراق.“

[46]: ”حاولوا تنظيف بلدكم، وابدلوا مجهودكم معهم لكي تصلحوا بقية أفراد المجتمع، وتجعلوهم في المجتمع الصوفي النظيف، لا يبغى أحدكم على الآخر.“



[47]: ”طريقتنا تأمر كل درويش أن يكون وطنياً في وطنه، لا يخون بلده.“

[48]: ”حافظ على شرفك وكرامتك، لا تبغ نفسك للأجنبي، ”حب الوطن من الإيمان“، حب الوطن جزء من إيمانك.“

[49]: ”بلدنا بلد الأنبياء والأولياء، بلد الصالحين، خيانة الوطن خيانة لهم: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ﴾⁽¹⁾.“

[50]: ”العنف والإرهاب خارجان عن دين الإسلام.“

[51]: ” نحن نقاتلُ، ولكن لا نقاتلُ بالسلاحِ، السلاحُ شيءٌ غيرُ جيدٍ، نحن نقاتلُ بالعملِ الصالحِ، بالإيمانِ والعقيدةِ، بالمسبحةِ، بالتوجيهِ، بالكلامِ، بالإعلامِ، فالإيمانُ والعقيدةُ التي لديكم، تقاتلونَ بها، يعني لا تتركوهم، حاولوا وجاهدوا، لئلا يقاتلوكم بعقيدتكم وبتوجيهاتكم.“



[52]: ” نحن مستمرونَ، ولا تتخلى في يومٍ من الأيام عن أهدافنا، وعن عقيدتنا، وعن أمورِ الطريقةِ، الطريقةُ تمشي، ولا أحدٌ يستطيعُ أن يسدَّ الطريقَ عن الطريقةِ؛ لأنها الطريقُ إلى الله، ولأنَّ الطريقةَ لها مشايخٌ، ولها قوةٌ روحيةٌ خارقةٌ لهذا الكونِ.“

[53]: ” أريدُ منكم شدَّ الحزامِ والعملَ والمجاهدةَ في سبيلِ النصرِ، إن شاءَ الله، بجاهِ الرسولِ ﷺ، النصرُ لنا.“

[54]: ” اثبتوا يا دراويشَ الكسنزانيةِ بالجهادِ ودمِ الشهداءِ وبدفاعِكم عن مبادئِ العقيدةِ الموجودةِ في الطريقةِ.“

[55]: ” نحن، إن شاءَ الله، لا ندعُ دمَ شهدائنا يذهبُ سدىً، نحن أعطينا دماً للعراقِ، نحن سوفُ لا نتخلى عن العراقِ، إذا لم يكنِ اليومَ فغداً أو بعدَ غدٍ، قووا عزيمةَكم؛ لأنه عيبٌ ثم عيبٌ ثم عيبٌ أن تتخلوا عن العراقِ، العراقُ عراقُكم، أقاربُكم وعشيرتُكم وأصدقاؤُكم وإخوانُكم ودراويشُكم.“

[56]: ” ذهبَ الزمنُ الذي يسمحُ لأحدٍ أن يحكمَكم بالقوةِ.

لا تقبلوا نهائياً، مرةً ثانيةً، لا تقبلوا الدكتاتورَ.

أيُّ جهةٍ، أيُّ حزبٍ، ليس له الحقُّ أن يأتي ويحكمَ بالقوةِ.
القوةُ أنتم، الشعبُ.“

[57]: ” نحن لا نتركُ جهادنا، النصرُ لنا.

اقرؤوا سيرة الرسول ﷺ، وكيف بنى الدين وجدد الدين.
نحن نفس الحالة نجدد الدين، إن شاء الله.
نفس الحالة، كل درويش عليه أن يقتدي بالرسول ﷺ.
كل واحد يعتبر نفسه من أحفاد الرسول ﷺ، يقتدي بجده،
هو جد المؤمنين ﷺ، هو صاحبنا، فنصرنا بهمة ﷺ.“

[58]: ”اجعلوا في قلوبكم، وفي عقول أولادكم وأقاربكم: أن العراق
عراقنا، عراق الطريقة، لا تتركه“.

[59]: ”لا يقدرّ علينا أبداً، هذا كلام سيدنا عبد الكريم (قدس
سره)، يقول: ”نحن مثل الماء، تغلقه من هنا يخرج من
الجهة الأخرى“.

لا أحد يقدر علينا؛ لأنّ قوة ظهرنا الله: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا
وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾⁽¹⁾، هذه
الآية الكريمة تعني أنّ النصر لنا: ﴿نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ
قَرِيبٌ﴾⁽²⁾، إن شاء الله“.

[60]: ”حاولوا واجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله،
وحافظوا على أمن العراق، حتى نُشكل ونعمل مجتمعاً
صوفياً نظيفاً مؤمناً معتقداً بالله“.

[61]: ”كونوا أقوياء القلب، وكونوا صامدين وحذرين من المنافقين
حتى لا يؤثرّوا على قلوبكم، وإن شاء الله منتصرون بجاه
الرسول ﷺ، بجاه الكسنزائيّ والجيلانيّ، نحن سائرون على
منهج جدنا الكرار، ومنهج سيدنا الحسين، سلام الله
عليهم. فكلّ الذي عندنا بهمتهم، حياتنا وعيشنا بهمتهم“.

1 - [غافر: 51].

2 - [الصف: 13].

العراقُ منبعُ أهلِ التصوفِ والأخوةِ

- [62]: "العراقُ منبعُ أهلِ التصوفِ، ومنبعُ العلمِ، منبعُ الإيمانِ".
- [63]: "العراقُ أنظفُ بقعةٍ في الأرضِ بعدَ المدينةِ ومكةَ؛ لأنه بلدُ الأنبياءِ والأولياءِ، لأنَّ رؤساءنا موجودونَ في هذه الأماكنِ، بعدَ الرسولِ ﷺ سيدنا عليٌّ، وسيدنا الحسينُ، سلامُ الله عليهم، وهكذا إلى سيدنا الجيلانيِّ، وسيدنا جنيدِ البغداديِّ، ومعروفِ الكرخيِّ، وموسى الكاظمِ، وإلى سيدنا شاهِ الكسنزانِ، وسيدنا إسماعيلَ الوليانيِّ، وسيدنا عبدِ الكريمِ، وسيدنا عيسى البرزنجيِّ، كلُّهم موجودونَ في العراقِ.
- العراقُ أنظفُ بقعةٍ؛ لأنه بلدُ كربلاءَ والنَجفِ وبغدادَ وكربجنة.
- انظروا كم نبيٍّ موجودٌ في العراقِ، لا يوجدُ في باقي الدولِ أنبياءٌ كما هو موجودٌ في العراقِ.
- بلدنا بلدُ الأولياءِ والأنبياءِ.
- كلُّ الخلفاءِ نورُهم ورحمتُهم وتوجُّههم في العراقِ".
- [64]: "العراقُ مَحُّ الإسلامِ، العراقُ مَحُّ الدولِ الإسلامية".
- [65]: "كانَ تحريراً للعراقِ بدمِ الصحابةِ، والآنَ بدمِ الدراويشِ، وإن شاء اللهُ نتصرُ".



- [66]: "العراقُ عراقُ الأخوةِ والمحبةِ والإسلامِ، كلُّنا، إن شاء اللهُ، بالمسيرةِ الروحيةِ الإسلاميةِ النظيفةِ، المسيرةِ العراقيةِ، إلى أن يصلَ العراقُ إلى نتيجة".
- [67]: "واللهِ العظيمِ، لسنا ضدَّ الأحزابِ السياسيةِ، كلُّ واحدٍ عليه أن يعملَ لخدمةِ الشعبِ العراقيِّ، نحنُ كلُّنا هدفنا واحدٌ: خدمةُ الشعبِ العراقيِّ، خدمةُ العراقِ".

[68]: ” نحن نريدُ أن نقاتلَ بالمحبةِ والأخوةِ والسلامِ، لا نقاتلُ بالسلحِ“.

[69]: ” الذين يسيئونَ إلينا نحن نسلّم عليهم، يرموننا، نرفعُ لهم أيدينا ونسلّم عليهم، نقولُ: لا تقاتلونا، نحن لسنا ظلمةً، نحن لا نحبُّ أن نقتلَ بعضنا بعضاً، الأخُ لا يقتلُ أخاه، نحن مسلمون، ﴿الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ﴾⁽¹⁾“.

[70]: ” العراقُ، عراقُ الكلِّ، عراقُ العربِ، وعراقُ التركمانِ، وعراقُ الأكرادِ، وعراقُ كلِّ القومياتِ والكياناتِ السياسيةّةِ“.



التجمع .. الواجهة السياسية

[71]: ” نحن طبعاً لسنا سياسيين، نحن دراويش، نساعد الناس الطيبين، نساعد تجمع الشيخ نهر“.

[72]: ” التجمع هو واجهتنا السياسية⁽¹⁾، نحن من الناحية الدينية عندنا طريقتنا وعقيدتنا، وإيمانكم موجود، والقرآن موجود، هو دستورنا، أما من الناحية السياسية فعندنا التجمع، التجمع تجمعكم من كل القوميات في العراق. يجب على كل واحد منكم أن يجعل في قلبه أنه لا يقبل الدكتاتورية في الوطن“.

[73]: ” من الناحية الدنيوية اجعلوا تجمعكم قوياً: (ليس الرجل رجل الدنيا، وليس الرجل رجل الآخرة، الرجل رجل الدنيا والآخرة)، فأنتم يجب أن تكونوا رجال الدنيا والآخرة“.

[74]: ” نهر شيخكم، وشيخ المستقبل، إن شاء الله، وهو مسؤول التجمع“.

[75]: ” كيأنكم السياسي التجمع، وهو ملككم، هو ملك الدراويش، فهم أعطوا شهداء من الدراويش والخلفاء، وأنتم لكم نصيب في العراق“.

[76]: ” التجمع في خدمتكم، التجمع خدام لكم، خيلفتي ووكيلي من بعدي نهر، فنهر رئيس التجمع، يعني خادم الفقراء“.

[77]: ” التجمع يجمعكم، شجعوا أقاربكم والناس على التقرب منكم ومن التجمع؛ لأن التجمع في خدمتكم من الناحية

1 - تجمع الوحدة الوطنية العراقي: هو تنظيم وطني سياسي واجتماعي، تأسس عام 1991، يضم الخيرين رجالاً ونساء من أبناء هذا العراق، جاء لتحقيق مجتمع الأمن والسلام والعدالة والتآخي والتعايش السلمي والرفاهية في ربوع الوطن. ترأسه الدكتور نهر محمد عبد الكريم الكسنزان.

الدينيّة، عندما يكونونَ في القيادة يجبُ أن يكونوا في خدمتكم. إنّ أموركم الدينيّة في التّجمع، أما من الناحية الدينيّة الروحية فعندنا الطريقتُ.



[78]: ”عندكم واجهةٌ سياسيّةٌ متمثلةٌ بشيخِ نهرو، الذي مهما بالغتم في تأييده فقليلٌ؛ لأنّه منكم وإليكم، وهو يحاولُ ويسعى للعراقيينَ ولكم“.

[79]: ”أظهروا أنفسكم، وحاولوا بكلِّ طاقاتكم، الذي لا يحاولُ، والذي لا يساعدُ نهرو، ولا يساعدُ في أمورِ التّجمع في نصرّة الطريقتِ، ليس كسنزانياً“.

[80]: ”الذي لا يساعدُ نهرو، ولا يساعدُ مرشحيه، والذي لا يتعبُ نفسه، كيف يسمي نفسه درويشاً!“.

[81]: ”نهرو إذا نجحَ، معناه أنتم نجحتم“.



[81]: ”لا تسمعوا كلامَ المنافقينَ الذين يتكلمونَ على تجمّعكم بكلامٍ غيرِ جيّدٍ، الذي يتكلّمُ عن تجمّعكم معناه يتكلمونَ على طريقتكم، في التّجمع إخوانكم في خدمتكم، يحاولونَ المشاركةَ في العمل السياسي لتكونوا أقوياء“.



المشاركة في الانتخابات

[82]: ” شيخُ نهرو يحاولُ في سبيلكم، يسعى ويصرفُ جهودَه ويضحى بنفسِه ومن معه في سبيلِ الله، وفي سبيلِ الطريقة، الهدفِ البعيدِ للطريقة. كلكم جاهدوا معه، حتى تأخذوا حقكم. الحقُّ لا يُعطى وإنما يُؤخذُ .

إذا نهرو ربّح، إن شاء الله، أنتم تربحون .“
[83]: ” نحن هدفنا العبادة، هدفنا خدمة الوطن، هدفنا وحدة العراق، هدفنا الإيمان والاعتقاد وخدمة الإنسانية جمعاء، هدفنا الإسلام، هدفنا مساعدة الناس الطيبين، شدوا عزمكم للانتخابات، أعطوا أصواتكم لأخيكم نهرو، وإخوانكم الدراويش، ليعينونا على تحقيق هدفنا.“

[84]: ” نحن لا نترك في يومٍ من الأيام أهدافنا حتى النصر. هدفنا، إن شاء الله، إن شاء الله أن نتصر. كلُّ واحدٍ منكم مسؤولٌ، إن شاء الله، ندافعُ بروحنا، نحن سائرونَ على سيرة الرسول ﷺ، على أهدافِ أهل البيت (عليهم السلام) وأهدافِ صحابةِ الرسول ﷺ.

الدرويش من أهلِ العقيدة والإيمان. الدرويش لا يخاف؛ لأنَّ الشهادةَ أمامه، أما النصرُ وأما الشهادةُ في سبيلِ الله، في سبيلِ الطريقة، الطريقِ إلى الله، فلماذا الخوف؟ إن متنا ففي الجنة، وإن لم نمُتْ نجاهد: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾⁽¹⁾.

أحد إخوانكم قال: رأيتُ الرسول ﷺ قال لي: "يجبُ أن
تجاهدوا وتضحوا، بعد ذلك يأتي النصر".

صدقَ رسولُ الله ﷺ. بدونِ المجاهدةِ، بدونِ التضحية، لا
يوجدُ نصرٌ.

إذا قعدتَ بيتك، يأتي الطعامُ إلى فيك؟ أبداً لا.
نحن كسنزانية، أهدأنا معلومة، طريقتنا معلومة، ونحن
سائرونَ على منهجِ الجيلانيِّ والكسنزانيِّ، منهجِ سيدنا
الحسين عليه السلام وكيف ضحى بنفسه في سبيلِ الإسلامِ،
سيدنا الكرار عليه السلام وكيف ضحى بنفسه في سبيلِ الإسلامِ.
لم يخافوا من الموتِ، كيف يخافُ المريدُ من الموتِ إذا!
فأرجو منكم شدَّ العزمِ والتماسكَ والتحابَّ بينكم.

[85]: "إن شاء الله النصرُ لنا: ﴿إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ
أَقْدَامَكُمْ﴾⁽¹⁾.

بدونِ الجهادِ، بدونِ العملِ، لا شيءٌ يتحقق.
نحن هدأنا الإسلامَ، الدينَ، القرآنَ، الشريعةَ المحمديةَ، هدأنا
النصرَ للطريقةِ، النصرَ لكم؛ لأنكم أهلُ الطريقةِ، أنتم أبطالُ
الطريقةِ، أنتم جنودُ الطريقةِ، النصرَ لكم، نصرنا نصرٌ للكلِّ، لا
سامحَ الله، إذا حدثَ أيُّ مردودٍ سيئٍ فمردوده على الكلِّ.
[86]: "هدفُ الطريقةِ أن تربيَ جيلاً نظيفاً، جيلاً مربّياً تربيةً سالحةً،
لتكونوا صالحينَ في المجتمعِ، تأمرونَ بالمعروفِ وتنهونَ
عن المنكرِ".

[87]: "هدأنا تنظيفُ المجتمعِ من الأمراضِ الاجتماعيةِ".



[88]: ” حِينَ تَعْطِي صَوْتَكَ لَابْنِ شَيْخِكَ، شَيْخِ نَهْرٍ، مَعْنَاهُ أَنَّكَ تَعْطِيهِ لِلطَّرِيقَةِ “.

[89]: ” تَحْتَاجُونَ إِلَى حَاكِمٍ مُصْلِحٍ فِي الْعِرَاقِ، يَأْتِي إِلَى الْحَكَمِ وَيَحْكُمُ بِالْعَدْلِ: ﴿وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾⁽¹⁾، فَالْحَكْمُ بِالْعَدْلِ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ، مِنْ بَيْنِكُمْ “.

[90]: ” شَارِكُوا بِالانتِخَابَاتِ، لَا تَكْتَرِثُوا لِلنَّاسِ غَيْرِ الْجَيِّدِينَ، فَهَمُّ فِي كُلِّ شَرَايِحِ الْمَجْتَمَعِ، لَكِنَّ الطَّرِيقَةَ طَرِيقَتُكُمْ، وَنَهْرٌ شَيْخُكُمْ فِي الْمُسْتَقْبَلِ “.

إِنِّي دَائِمًا أَنْبَهُهُ إِلَى أَنْ يَصْرِفَ جَهْدَهُ فِي سَبِيلِ الدَّرَاوِيشِ، وَفِي سَبِيلِ الْعِرَاقِ “.

[91]: ” عَلَيْكَ أَنْ تَعْطِيَ رَأْيَكَ، صَوْتَكَ، أَعْطِ لَطَرِيقَتِكَ أَحْسَنَ مِنْ أَنْ تَعْطِيَهُ لِلْمُنَافِقِ، لِلْكَذَّابِ “.

أَعْطِ رَأْيَكَ [صَوْتَكَ] لَدِينِكَ، أَعْطِ لَطَرِيقَتِكَ.

حَاوِلْ مَعَ عَائِلَتِكَ، وَمَعَ أَهْلِكَ، وَأَقَارِبِكَ، وَأَصْدِقَائِكَ.

هَذَا وَاجِبٌ عَلَيْكُمْ، لِمَاذَا وَاجِبٌ عَلَيْكُمْ؟ لِأَنَّهُ مِنْ أُمُورِ الطَّرِيقَةِ، هَذَا أَحَدُ أَوَامِرِ الطَّرِيقَةِ، لَكِي يَصْبَحَ عِنْدَكُمْ مَوْضِعٌ قَدِيمٌ، يَصْبَحُ عِنْدَكُمْ مِمَثَلُونَ مِنَ الدَّرَاوِيشِ، حَتَّى يَدَافَعُوا عَنْكُمْ، وَعَنْ تَكَايَاكُمْ.

عِنْدَكُمْ شُهَدَاءٌ، عِنْدَكُمْ سَجَنَاءٌ، لَا أَحَدٌ يَدَافِعُ عَنْهُمْ.

أَيْنَ دِمَاءُ شُهَدَائِنَا؟

أَيْنَ الَّذِي يَدَافِعُ عَنِ الدَّرَاوِيشِ؟

اخْتَارُوا مِمَثْلِيكُمْ حَتَّى يَدَافَعُوا عَنْ طَرِيقَتِكُمْ.

لا أحد يساعِدنا، ولا يساعِد المريدِينَ بصورةٍ صحيحةٍ، إلا جماعتُكم، إلا الدراويشُ المرشِحونَ أنفُسَهُم، الدراويشُ والخلفاءُ.

أنت أعطِ صوتَكَ لأخيكِ الدراويشِ حتى يدافعَ عنكَ. إذا لم يدافعَ عنكَ، تقدّرُ أن تلزِمَهُ من رقبَتِهِ وتقولَ له: أنتَ صعدتَ بنا، لماذا لا تدافعُ عن الدراويشِ؟ إذا صارَ عند الدراويشِ موضعُ قدمٍ، يستطيعُ أن يساعِدَ الناسَ.

حاولوا بكلِّ طاقاتِكُم في سبيلِ مساعدةِ شيخِ نهرو، إن شاء اللهُ.

[92]: ”تيجُّننا استرجاعُ الحقِّ، استرجاعُ العراقِ إلى العراقيينَ، اختاروا ممثليكم، هذا هدفُنا، هذا هدفُ الإسلامِ، هذا هدفُ سيدنا محمدٍ ﷺ، ليخرجَ أُمَّتُهُ إلى القيادة، كيف؟ في زمنِ الكفارِ كان المسيطرونَ على الشعبِ مجموعةً من التجارِ الشعبُ كان مستعبداً، يعاملُ كما تعاملُ الحيواناتُ، أخرجَهُم إلى الإنسانية، وبدأوا بالإسلامِ، كلُّ عَرَفَ نفسَهُ، عَرَفَ قدرَهُ.

بواسطةِ الرسالةِ المحمديةِ، كلُّ واحدٍ له الحقُّ، إن شاء اللهُ، أن يتخلَّصَ من العبوديةِ. ونحن الآنَ نبدأُ بتجديدِ العراقِ بواسطةِ الطريقةِ، بواسطةِ سيدنا محمدٍ ﷺ، باللهِ تعالى.“

[93]: ”ساعدوا شيخَ نهرو في الانتخاباتِ؛ لأنه أخوكم، ومنكم، فهو درويشٌ وأخوكم الصغيرُ، كلُّكم إخوةٌ، من نهرو إلى أصغرِ درويشٍ، فأريدُ منكم أن تشدوا من عزميتكم.“

[94]: ” أنتم كسنزانية، لا تخافوا، فقد أعطيتكم شهداء، وأعطيتكم دماً، وشاركتكم بالجهاد في سبيل الطريقة، فأريدُ من الجميع أن يشاركوا ويساعدوا نهرو، ويشدوا عزيמתهم للإرشاد، بالإرشاد تستطيعون أن تقضوا على كل الفساد، من العيب عليكم أن تخافوا من الموت، كان جهاد صحابة الرسول ﷺ، الواحد بعشرة، والواحد بعشرين، والواحد بألف، أي إنهم كانوا أهل الحال، وأهل الإيمان، فأنتم الآن بنفس الحال، إن شاء الله.“

[95]: ” أريدُ منكم أن تشدوا أحزمتكم للإرشاد، وإن شاء الله، بالانتخابات القادمة، لكي تتصرفوا بسواعدكم، ويصبح لديكم ممثلون بالحكم، نريدُ الديمقراطية، نريدُ التعددية من جميع الأطياف، كل واحد يأخذ حقه، فكلنا علينا أن نتعاون.“

[96]: ” أريدُ كل واحدٍ منكم أن يبدأ بالإرشاد، وينسى الماضي، ويبدأ من جديد، ويفتح صفحةً جديدةً مع الأقارب، مع الأصدقاء، مع كل الناس الطيبين، وغير الطيبين، أرشدوهم واجعلوهم أناساً طيبين، فنحن لسنا مثل بقية الناس الذين يتكلمون بشعاراتٍ رنانة.“

[97]: ” أنتم إخوة مع الشيخ نهرو؛ لأنكم أبناء الطريقة، كل واحدٍ منكم جزء من الطريقة، المرشحون منكم، ومن الناس الموالين لكم، من رؤساء العشائر، ومن الشباب المثقفين، وهكذا.“

[98]: ” ساعدوا شيخ نهرو فيما يريد منكم؛ لأنه خليفتي والشيخ من بعدي، هو الوكيل العام للشيخ، فتوجيهاته توجيهات الشيخ، تعاونوا معه، وإن شاء الله، كل الذي يريده لمصلحتكم، هو مخلص لكم، مخلص لطريقتكم؛ لأن

المشايخ لا يختارون شخصية غير مؤهلة للطريقة تحل مكان الشيخ؛ لأن الشيخ ليس بيده، بل اختيار من حضرة الرسول ﷺ إلى سيد عبد الكريم، يوافقون عليه، يجعلونه الوكيل العام للشيخ، فهو لا يأمركم بالسيئ، بل يأمركم بالحسن، يأمركم بالمعروف وينهاكم عن المنكر، فطاعة شيخ نهر من طاعة الشيخ، وإطاعة الشيخ من إطاعة الرسول ﷺ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾⁽¹⁾“.

[99]: ”ساعدوا نهر، نهر منكم وابن شيخكم، وهذه بركة ونعمة من الله أعطاه لكم، نهر هو واحد من إخوانكم الدراويش، وهو درويش صغير في طريقكم، ساعده حتى يتمكن أن يؤسس كياناً سياسياً يخدم طريقكم، صحيح إنه جامع الناس من كل العراق، لكن هو شخصياً خادمكم، هو أخوكم الصغير، منكم ولكم، ملككم، أي مساعدة تساعدونه فهي لكم، لمستقبل طريقكم“.

[100]: ”خذوا حذرکم من الناس المنافقين، يقولون: شيخ نهر يخالف الشيخ، لا، شيخ نهر قلبي، هو كبدي، هو عيني، هو خادمكم وخادم لطريقكم“.

[101]: ”يجب أن تبيضوا الوجه في سبيل النصر، والاستقرار، ونصرة الطريقة، ونصرة الخلفاء والدراويش الذين رشحوا أنفسهم“.

[102]: ”لا تترددوا بحجة هذا الشخص مرشح غير جيد، وهذا كذا، فأنتم جيدون، وأنتم الذين تحاولون أن تصححوا أخطاءهم من خلالكم، غير الجيد لن يبقى له محل بيننا إذا حاولنا“.

[103]: ” البعض يصوتون لأبناء عشائرتهم، نحن عشيرتنا مشايخُ الطريقة، وكلُّ من يأخذُ الطريقةَ يخرجُ من عشيرته، ويصبحُ مشايخُ الطريقةِ هم أهلُه وعشيرته. في نظامِ طريقتنا، إذا سئلَ المريدُ: أنت ابنُ مَنْ؟ فيجبُ أن يقولَ: أنا ابنُ الرسولِ ﷺ.“



[104]: ” نصرُ شيخِ نهرو نصرُكم.“

[105]: ” نصرُ نهرو نصرُكم، اليومَ وغداً وبعدَ غدٍ، لكم أنتم.“

[106]: ” اجعلوا بدمائكم، وبعقيدتكم، وبعقولِ أطفالكم، ونسائكم، وأقاربكم، وعشائركم، نحن كسنزانية، لا تنفكُ مستمرينَ إلى أن نتصَرَ بهمةِ الرسولِ ﷺ: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾⁽¹⁾.“

﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ. فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ رَبِّهِمْ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾⁽²⁾، فإن شاءَ الله، الفضلُ العظيمُ أمامكم، شدوا عزمكم، أنتم أحفادُ الذين حرروا العراق، والذين حرروا أرضَ الإسلام، يجبُ أن نحررَ العراق.

الالتزامُ بنهرو هو الالتزامُ بالمشايخ، هو من الطفولة اختاروه. أحدُ الصالحينَ قال لي: والله العظيم، رأيتُ هذه الليلةَ سيدنا سلطانَ حسينٍ جاعلاً لسانَه في فمِ نهرو، وفمُ نهرو بلسانَه.

1 - [الطلاق: 3].

2 - [آل عمران: 173-174].

وقبلَ كم يومٍ رأيتُ كم حاولوا أن يقطعوا نهرو من
السلسلة، والله ما استطاعوا، وبقيَ في سلسلة الطريقة.
الشيخُ له الوكيلُ العامُّ، هو الشيخُ نهرو، فالتوجيهُ من
شيخ نهرو يعني التوجيهَ من الشيخ، فهو الابنُ الأكبرُ،
ووكيلُ الشيخ، لا أحدَ يمثلُ الطريقةَ بعدَ شيخ محمدٍ،
الشيخُ نهرو هو من يمثلُ الطريقةَ بعدَ الشيخ محمدٍ،
انتبهوا“.



الطريقة والأخوة العالمية

[107]: "طريقتكم ليست في العراق فقط، طريقتكم في كلِّ أنحاء العالم".

[108]: "في الطريقة، في الدروشة، لا يوجد فرق بين الكرد والعرب والترک والفريس، نحن كلُّنا دراويش أمة الرسول ﷺ، ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾⁽¹⁾.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾⁽²⁾، الله تبارك وتعالى بهذه الآية المباركة جعل الترك والعرب والفريس وكلَّ الشعوب إخواناً لنا، كلُّنا إخوة، قتل البعض للبعض ظلم لا يجوز، كلُّ يُعطى حقه، الكرد لهم حقوقهم، العرب لهم حقوقهم، التركمان لهم حقوقهم، الفرس لهم حقوقهم.

[109]: "الطريقة حبُّ الوطن، "حبُّ الوطن من الإيمان"، العراقيُّ يجب أن يحبَّ وطنه، الأردنيُّ يجب أن يحبَّ وطنه، السوريُّ يجب أن يحبَّ وطنه، وهكذا كلُّ العالم، لكن في سبيل الشريعة المحمدية، أي: (خير الناس من نفع الناس)".

[110]: "نحن نتآخى مع كلِّ الشعوب والأديان وأفراد الناس، التعامل معهم التعامل الصحيح، تعاملٌ إسلاميٌّ، تعاملٌ الإنسان المؤمن، حتى ترى الأمم ويرى الناس بأحوال الطريقة وأنظمتها وقوانينها".

[111]: "نحن نحبُّ الإخوة، نحن نحبُّ المساواة، نحبُّ البركة والرحمة لكلِّ شعوب العالم".

1 - [الحجرات: 10].

2 - [الحجرات: 13].

[112]: ” نحن السلمُ العالميُّ: ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَاجْنَحْ لَهَا﴾⁽¹⁾،
السلمُ جميلٌ، أحدُ أسماءِ اللهِ الحسنَى السلامُ المؤمنُ“.

[113]: ” يا دراويشَ الكسنزانية: بلغوا كلَّ الناسِ، كلَّ أفرادِ
المجتمعِ، رجالاً ونساءً، شباباً وشيوخاً، الرسالةَ المحمديةَ؛
لأنَّ الطريقةَ طريقةُ الكلِّ“.

[114]: ” الطريقةُ طريقةُ الكلِّ؛ لأنها تأمرُ بالمعروفِ وتنهى عن
المنكرِ“.

[115]: ” نحن نقولُ: خالطوا الناسَ بخلقٍ حسنٍ، ادخلوا بين الناسِ،
ادخلوا بين الأديانِ الأخرى، حتى ترجعَهم إلى الله، حتى
تبلغَهم بالرسالةِ المحمديةِ، رسالةِ السلمِ بين القومياتِ،
بين الأديانِ“.

[116]: ” نحن نتسبُّ إلى جميعِ القومياتِ.
في كلِّ أنحاءِ العالمِ عندنا دراويشُ.
نحن أحرارٌ في كلِّ بلدانِ العالمِ.
نحن ندعو إلى سبيلِ الله“.



يوم الوعد آت.. وكل آت قريب

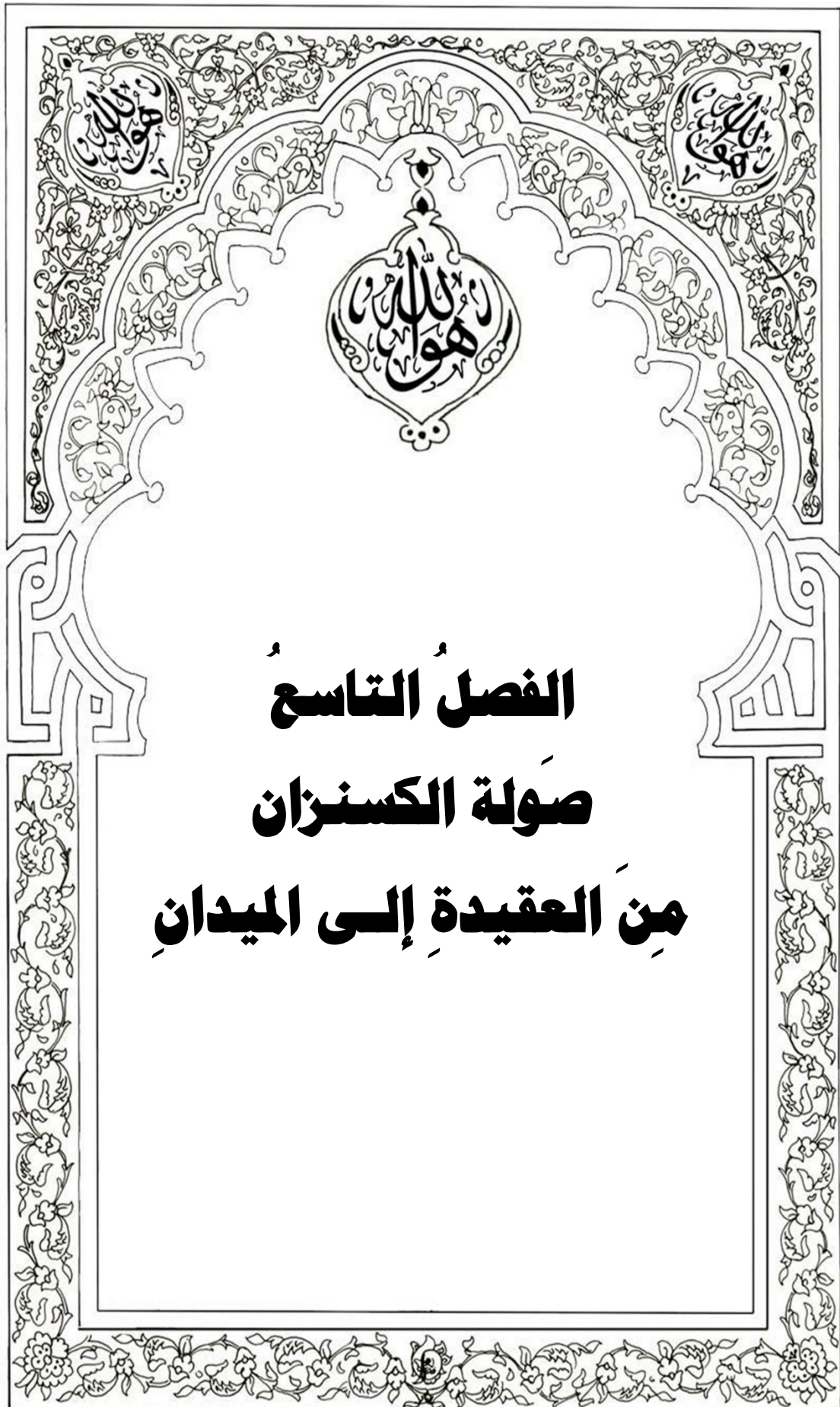
[117]: ” بلغوا الشعوب، حتى الخارجية منها، قولوا لهم: نحن دراويش الكسنزانية نحاول توحيد الصفوف داخل العراق، لكي نكون نموذجاً لبقية الدول في الأرض.“

[118]: ” يأتي يوم نرى الكسنزانية تنشر الأمن والاستقرار وكل ما موجود في الشريعة المحمدية في أرض العراق.“

[119]: ” يأتي يوم، بهمة الرسول ﷺ، أتم تحكمون به العراق، إن شاء الله، فيجب أن تهيئوا أنفسكم وتحاولوا، ليس لتصرفوا في الدنيا، ولكن ليكون لكم موضع قدم في الإرشاد، في كل العالم.“

[120]: ” لا تتوقعوا أن نحصل على هذا بيوم أو يومين، بل علينا أن نحاول ونسعى، أحاول وحاولوا معي إلى أن أموت وأنا أحاول معكم، أنا أخوكم الصغير، تعالوا معي، لبنى العراق الجديد.“





الفصل التاسعُ
صَولة الكسنزان
مِنَ العقيدةِ إلى الميدانِ

وقفَةُ أبناءِ الكسنزانِ في الأنبار أنموذجاً للمشاركةِ الوطنيةِ السلميةِ

العقيدةُ المتصلةُ بالوطنِ تكتملُ دلالتها حينَ تصيرُ موقفاً،
والموقفُ الوطنيُّ يكتسبُ قيمتهُ حينَ يجمعُ صدقَ الغايةِ وسلامةَ
الوسيلةِ.

في هذا المعنى قدّمتْ وقفَةُ أبنائنا وبناتنا في الأنبارِ صورةً
تطبيقيةً للمشاركةِ الواقعيةِ في إصلاحِ الوطنِ، ضمنَ سياقِ المحبةِ
والإرشادِ والاحتجاجِ السلميِّ.

ففي يومِ الأربعاءِ الخامسِ مِنْ تموزَ سنةَ 2023م، شهدتْ مدينةُ
الرمادي في محافظةِ الأنبارِ تجمُّعاً ووقفَةً احتجاجيةً سلميةً لأبناءِ
الطريقةِ العلّيةِ القادريةِ الكسنزانيةِ، رجالاً ونساءً، عبّروا فيها عن
رفضِ الفسادِ والمفسدين، وعن حرصهم على مقدراتِ العراقِ
وكرامةِ شعبه.

رسالتنا إلى أبنائنا وبناتنا

في إثرِ ذلكَ الموقفِ وجَّهنا إلى أبنائنا وبناتنا المشاركينَ رسالةً
عبّرنا فيها عن شكرنا لهم، وقرأنا وقفَتهم في ميزانِ الإباءِ والتضحيةِ
والإصلاحِ، وخطبنا من خلالهم فيها جميعَ أبناءِ الوطنِ وبناته، على
اختلافِ طوائفهم أو قومياتهم أو توجهاتهم -وكذلكَ جميعَ أحرارِ
العالم- من الذين يحملهم حُبُّ الوطنِ على الوقفِ في وجهِ الفسادِ
والمفسدين، وقلنا فيها:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
{وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا}

صدق الله العظيم

اللهم صل على سيدنا محمد الوصف والوحي والرسالة والحكمة ، وعلى
آله وصحبه ، وسلم تسليمًا

أيها الغياري.. يا أبناء الطريقة العلية القادرية الكسنزانية

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

بقلب يملؤه الحب والشوق إليكم ، وبروح تواقه لطبع قبله على جبين كل
واحد منكم ، لأعبر لكم عن خالص شكري وعظيم امتناني ، أيها الأبطال ،
يا من سطرتم بصولتكم ضد الفساد والمفسدين فصلاً في الإباء والتضحية
من أجل الوطن الذي عبث بمقدراته العابثون الفاسدون .

لقد كان لتجمعكم وتظاهركم السلمي في الأنبار له الأثر الكبير في زعزعة
عروش المفسدين الذين أهلكوا الحرث والنسل ، وعاثوا في البلد فساداً وطغياناً .
إن رسالتكم ، بوقفتم الاحتجاجية في الأنبار ، ما هي إلا صفحة من كتاب سيري
أولئك الفاسدون صفحاته تباعاً ، {وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون} .
مرة أخرى أشكركم ، يا أبناء الكرار ، يا أبناء الكسنزان ، رجالاً ونساءً .

يا أبناء شاه الكسنزان ، وسيدي عبد القادر الجيلاني ، والإمام المفدى السلطان الخليفة
محمد المحمد الكسنزان ، قدست أسرارهم أجمعين .

والشكر موصول من خلالكم إلى كل أبناء الأنبار الذين تعاطفوا مع جموع
الكسنزان في زحفهم ضد الفساد والمفسدين .

سائلاً المولى عز وجل أن يحفظ الجميع ، وأن يحفظ بلدنا العراق الأبي
بكل مكوناته وأطيافه ، ولنسح جميعاً من أجل كرامة البلد وعزته .
{وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون} .

وصلّى الله على سيدنا محمد الوصف والوحي والرسالة والحكمة ، وعلى
آله وصحبه ، وسلم تسليمًا .

والسلام عليكم ورحمة الله

الكلمة والموقف

(التسجيل الكامل)



https://www.youtube.com/watch?v=uRu3K_hm89w

المحبةُ التي صنعتُ دائرةَ الفعلِ

استهللنا رسالتنا بالمحبةِ والشوقِ؛ لأنَّ الفعلَ الإصلاحيَّ في العقيدةِ الكسنزانيةِ ينبتُ في أرضِ المحبةِ، ويستمدُّ منها قدرتهُ على الجمعِ والثباتِ. فالمحبةُ في علاقتنا بأبنائنا عهدُ تربيةٍ ومسؤوليةٍ، تحرّكُ القلبَ نحوَ اللهِ تعالى، وتفتحُهُ في الوقتِ نفسه على همومِ الناسِ والوطنِ.

وقد عبّرَ حضرةُ السلطانِ (قَدَّسَ سرَّه) عن منهجِ هذا الفعلِ بقوله: ”نحنُ نريدُ أنْ نقاتلَ بالمحبةِ والأخوةِ والسلامِ، لا نقاتلُ بالسلاحِ“.

وقد ظهرَ أثرُ هذا الأصلِ في مواقف ووقفات كثيرة مشهودة، ومنها وقفةُ الأنبار؛ إذ اجتمعتُ حرارةُ الغيرةِ على العراقِ معَ الأخوةِ بينَ المشاركين، وجرتِ المطالبةُ بالإصلاحِ في طريقِ السلامِ.

من هنا كانَ الشكرُ المستحقُ في مطلعِ رسالتنا تثبيتاً للفعلِ الصالحِ، وتقويةً للعزمِ الذي يحمله، ودعوةً إلى أنْ يظلَّ حضورُ أبنائنا في قضايا وطنهم متصلاً بأخلاقِ الطريقِ.



الصولة التي ضبطتها السلمية

وصفنا فعلَ المشاركين بأنَّه "صولةٌ ضدَّ الفسادِ والمفسدين"،
ووصفنا تظاهَرهم في العبارة نفسها بأنَّه "سلميٌّ". وقد اجتمعَ في
هذين الوصفين ميزانُ الموقفِ كُلِّه؛ فالصولةُ تشيرُ إلى قوةِ الإرادةِ
ووضوحِ الانحيازِ إلى مصلحةِ الوطنِ، والسلميةُ تضبطُ هذه القوةَ
بأخلاقِ الطريقةِ وأحكامِ القانونِ وحرمةِ الدماءِ والممتلكاتِ.
السلميةُ في هذا السياقِ قوةٌ أخلاقيةٌ واعيةٌ، تكشفُ قدرةَ
الإنسانِ على رفعِ صوتهِ بالحقِّ معَ حفظِ حقوقِ غيره، وتمنحُ
الاحتجاجَ مشروعيتَهُ الوطنيةَ ومعناهُ الإصلاحيَّ.
بذلك صارَ لفظُ «الصولة» دالًّا على شجاعةِ الموقفِ، وصارَ
وصفُ «السلمية» دالًّا على حكمةِ الوسيلةِ. ومن اجتماعِ الشجاعةِ
والحكمةِ يتكوَّنُ الفعلُ القادرُ على تنبيهِ المجتمعِ ومساءلةِ
المسؤولِ والمحافظةِ على وحدةِ الوطنِ.



الاحتجاجُ السلميُّ صورةٌ من صور الإرشادِ

قَدَرْنَا فِي الْفَصْلِ الثَّالِثِ أَنَّ الْإِرْشَادَ حَرَكَةٌ مَزْدُوجَةٌ التَّوَجُّهِ، تَصْلُحُ الْقَلْبَ وَتَصِلُ أَثَرُهُ بِإِصْلَاحِ الْوَاقِعِ. وَالْإِرْشَادُ بِهَذَا الْمَعْنَى يَشْمَلُ الْكَلِمَةَ الَّتِي تَهْدِي، وَالْمَوْقِفَ الَّذِي يَنْبَغِي، وَالْمَبَادِرَةَ الَّتِي تَجْمَعُ النَّاسَ عَلَى الْخَيْرِ، وَالْحُضُورَ الْعَامَّ الَّذِي يَكْشِفُ الْخِلَلَ وَيَدْعُو إِلَى مَعَالِجَتِهِ بِالْحِكْمَةِ وَالْوَسَائِلِ النَّظَامِيَّةِ.

وَفَقْ هَذَا الْفَهْمِ، تَظْهَرُ وَقْفَةُ الْأَنْبَارِ، صُورَةٌ مِنْ صُورِ الْإِرْشَادِ الْجَمَاعِيِّ؛ فَقَدْ حَمَلَ أَبْنَاؤُنَا رِسَالَةً إِلَى الْمَجْتَمَعِ وَأَصْحَابِ الْمَسْئُولِيَّةِ مَفَادُهَا أَنَّ الْفَسَادَ يَمْسُ حَيَاةَ الْجَمِيعِ، وَأَنَّ إِصْلَاحَهُ أَمَانَةٌ عَامَّةٌ. وَكَانَتِ الْوَقْفَةُ نَفْسُهَا مَوْعِظَةً مَدْنِيَّةً ظَاهِرَةً؛ لِأَنَّهَا نَقَلَتْ الْإِعْتِرَاضَ مِنْ شُعُورٍ فِي النَفُوسِ إِلَى كَلِمَةٍ يَسْمَعُهَا النَّاسُ، وَقَدَّمَتْ هَذِهِ الْكَلِمَةَ فِي صُورَةٍ تَحْفَظُ السَّلَامَ الْعَامَّ وَتَخْدُمُ الْمَصْلَحَةَ الْوَطَنِيَّةَ.

هَنَا يَتَبَيَّنُ اتِّسَاعُ وَظِيفَةِ الْإِرْشَادِ فِي زَمَانِنَا؛ فَكَمَا يَتَحَرَّكُ الْمُرْشِدُ أَوْ الْمُرْشِدَةُ بَيْنَ النَّاسِ دَاعِيًا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَحَسَنِ الْخُلُقِ، فَهُوَ يَتَحَرَّكُ فِي الْمَجَالِ أَوْ الشَّأْنِ الْعَامِّ دَاعِيًا إِلَى الْأَمَانَةِ وَالْعَدْلِ وَصِيَانَةِ الْمَالِ الْعَامِّ. وَالْأَصْلُ الرُّوحِيُّ وَاحِدٌ فِي الْحَالِيْنَ، يَتِمَثَّلُ فِي قَلْبٍ يَسْتَشْعُرُ رِقَابَةَ اللَّهِ تَعَالَى، وَيَحْمِلُ هَمَّ عِبَادِهِ وَبَلَادِهِ.



مِن أمانة الصوت إلى أمانة الموقف

أعطيت الفصول السابقة عنايةً واسعةً للمشاركة الانتخابية؛ لأنَّ صندوق الاقتراع يمنح المواطن نصيباً مباشراً في اختيار مَنْ يتولَّى شؤون الناس.

لكن هذه المشاركة لا تكتمل إلا بمنظومة مدنية متصلة: فالمواطن يختار عبر صندوق الاقتراع، والرقابة الشعبية تتابع، والكلمة العامة تُذكر بالأمانة، والشكوى والمساءلة تكشفان موضع الخلل، والاحتجاج السلمي يدعو إلى تصحيح المسار. وتجري المتابعة والمساءلة والاحتجاج السلمي في إطار احترام نتائج الاقتراع وسيادة القانون.

على هذا الأساس، تُبين وقفة الأنبار أنَّ أمانة المشاركة تمتدُّ إلى ما بعد الإدلاء بالصوت. فالمواطن الذي يختار مَنْ يراه صالحاً لخدمة الوطن، يظلُّ معنياً بمتابعة أثر اختياره، وإبداء رأيه في القضايا العامة، والدعوة إلى الوفاء بالعهد الذي قامَ عليه التكليف العام. وبذلك تتحوَّل المشاركة إلى سلوكٍ متجددٍ يرافق المواطن في علاقته بالدولة والمجتمع، ويمنح قولنا: «الصوت أمانة» امتداداًه الطبيعي؛ ف «الموقف أمانة».



الفساد الذي يهلك الحرث والنسل

جاء وصف المفسدين في رسالتنا بأنهم «أهلكوا الحرث والنسل» متصلاً بالتصوير القرآني لعاقبة الفساد، قال تعالى: ﴿وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَاسَادَ﴾⁽¹⁾. فالحرث يشير إلى موارد الوطن وقدرته على الإنتاج والعمران، والنسل يشير إلى الإنسان وإلى مستقبل الأجيال التي تترث نتائج القرارات والأعمال.

وحين يستولي الفساد على المال العام أو يفسد الإدارة ويعطل القانون، يصيب حاضر البلاد في معاشها وخدماتها، ويمتد أثره إلى مستقبلها في تعليم أبنائها وصحتهم وفرصهم وكرامتهم.

من هنا تكتسب مقاومة الفساد معناها الإيماني والوطني معاً. فهي حماية للنعمة التي ائتمن الله الإنسان عليها، وصيانة لحقوق الناس، ورعاية للأجيال المقبلة. وقد عبّرت وقفة أبنائنا عن هذه الدائرة الجامعة حين ربطت بين رفض المفسدين والدفاع عن مقدرات الوطن، فجعلت الغيرة على المال العام وجهاً من وجوه حب العراق.



شمولية الأمانة

نادينا في رسالتنا أبناء الكسنزان وبناتهم «رجالاً ونساءً»، فجاء النداء موافقاً لعموم التكليف وشموله الذي قرّره القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضُهُمْ﴾⁽¹⁾. فالمسؤولية الإصلاحية تتوزع على الرجال والنساء، كلٌّ بحسب قدرته وموقعه ومجال تأثيره، وتجتمع صورها في الرأي والكلمة والانتخاب والمبادرة والعمل المدني وخدمة الناس.

وقد سبق أن بيّنا في حديثنا عن «أمانة المشاركة» أنّ حاضِر الوطن ومستقبله متعلقان بوعي كلِّ فردٍ مؤهِّلٍ مِنْ أبنائه. فجاء حضور الرجال والنساء في وقفة الأنبار تطبيقاً لهذه القاعدة، وإعلاناً عملياً أنّ الإصلاح شأن المجتمع كلّ، وأنّ كرامة الوطن عهدٌ تحمله الأسرة والمجتمع والطريقة بأجيالها كافة.



الأُنْبَارُ بَابٌ إِلَى الْعِرَاقِ كُلِّهِ

وَجَّهْنَا شُكْرَنَا فِي الرِّسَالَةِ إِلَى أُنْبَاءِ الْأُنْبَارِ الَّذِينَ تَعَاطَفُوا مَعَ
جَمْعِ الْكُسْنِزَانِ، ثُمَّ سَأَلْنَا اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يَحْفَظَ الْعِرَاقَ «بِكُلِّ
مَكُونَاتِهِ وَأَطْيَافِهِ».

إِنَّ تَعَاطُفَ الْمُتَضَامِنِينَ مِنْ أُنْبَاءِ الْأُنْبَارِ مَعَ الْوَقْفَةِ مِنْهَا مَعْنَى
التَّضَامُنِ الْمَدْنِيِّ، وَأُظْهِرَ أَنَّ مُحَارَبَةَ الْفَسَادِ قَضِيَّةٌ مُشْتَرَكَةٌ تَتَجَاوَزُ
دَوَائِرَ الْإِتْسَابِ الْخَاصِّ. فَالِدَائِرَةُ الْوَطْنِيَّةُ أَوْسَعُ مِنَ الْإِتْسَابِ الطَّرْقِيِّ،
وَالطَّرِيقَةُ حِينَ تَخْدُمُ الْوَطْنَ تَخْدُمُ أَهْلَهُ جَمِيعاً، وَتُؤَدِّي رِسَالَتَهَا فِي
إِطَارِ «وَطَنِ الْكُلِّ» الَّذِي أَكَّدَهُ حُضْرَةُ السُّلْطَانِ (قَدَّسَ سِرَّهُ).

بِهَذَا صَارَ الْمَكَانُ الْمَحَلِّيُّ بَاباً إِلَى الْمَعْنَى الْوَطْنِيَّةِ الْعَامَّةِ؛ فَالْأُنْبَارُ
جَزْءٌ عَزِيزٌ مِنَ الْعِرَاقِ، وَكَرَامَةُ أَهْلِهَا مِنْ كِرَامَتِهِ، وَصَلَاحُ شَأْنِهَا دَاخِلٌ
فِي صَلَاحِ شَأْنِهِ. وَكُلُّ مَوْقِفٍ إِصْلَاحِيٍّ صَادِقٍ فِي مُحَافَظَةٍ مِنْ
مُحَافَظَاتِ الْوَطَنِ يُضِيفُ قُوَّةً إِلَى الْعِرَاقِ كُلِّهِ، حِينَ يَحْفَظُ وَحْدَتَهُ
وَيَقْصِدُ خَيْرَ مَكُونَاتِهِ وَأَطْيَافِهِ.



صفحةٌ من كتاب الإصلاح

قلنا في رسالتنا إنَّ «الوقفَ الاحتجاجيةَ صفحةٌ من كتاب سيري
المفسدون صفحاته تبعاً».

هذه الصورةُ تمنحُ الفعلَ الوطنيَّ بُعدَه التراكميَّ؛ فالإصلاحُ مسارٌ
تتساندُ فيه المواقفُ، وكلُّ كلمةٍ حقٌّ صفحةٌ، وكلُّ مشاركةٍ واعيةٍ
صفحةٌ، وكلُّ مبادرةٍ تحفظُ حقاً أو تصونُ مالأً عاماً أو تردُّ ظلماً
صفحةٌ أخرى.

وقد بيَّنا في فصلٍ «لا حيادَ في الوطنية» كيفَ تصيرُ النافذةُ
المكسورةُ التي تُتركُ من غيرِ إصلاحٍ إشارةً تسمحُ للفوضى أنْ
تتسعَ. وفي وقفةِ الأنبارِ ظهرتِ الصورةُ المقابلةُ: يدُ جماعيةٌ تتقدَّمُ
لإصلاحِ النافذةِ، وصوتٌ عامٌّ يعلنُ أنَّ في المجتمعِ مَنْ يحملُ
المسؤوليةَ ويهتمُّ ويطالبُ بالمعالجة.

فإذا كانَ الفسادُ يتراكمُ بالصمتِ والإهمالِ، فإنَّ الإصلاحَ يتراكمُ
بالوعي والموقفِ والعملِ.

جاء التحذيرُ القرآنيُّ: ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ
يَنْقَلِبُونَ﴾⁽¹⁾ في إطارِ وقفةٍ سلميةٍ ورسالةٍ إصلاحيةٍ، فدلَّ على
استمرارِ الوعي والمساءلةِ، وعلى ثقةِ المؤمنِ بعدلِ الله تعالى
وعاقبةِ الظلمِ.

هكذا تتابعُ صفحاتُ الكتابِ بعملٍ مدنيٍّ مسؤولٍ يحفظُ القانونَ،
ويرسِّخُ حضورَ المجتمعِ في حمايةِ مصالحه، ويُبقى بابَ الإصلاحِ
مفتوحاً أمامَ كلِّ قادرٍ على الإسهامِ فيه.



مِنَ الشُّكْرِ إِلَى التَّكْلِيفِ الْمَشْتَرَكِ

ابتدأتُ رسالتنا بالشكر، وانتهتُ بالدعوة إلى السعي والعمل: «ولنسَعِ جميعاً مِنْ أَجْلِ كَرَامَةِ الْبَلَدِ وَعِزَّتِهِ»، ثُمَّ خَتَمْنَاهَا بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾. وبينَ المَطْلَعِ والخاتمةِ انتقلَ الخطابُ مِنْ تَقْدِيرِ ما وَقَعَ إلى فَتْحِ الطريقِ لما يَنْبَغِي أَنْ يَتَوَاصَلَ بِهِ.

بقولنا «ولنسَعِ جميعاً» جمعنا أنفُسَنَا مَعَ أبنائنا وأبناءِ العراقِ داخلَ دائرةِ التَّكْلِيفِ الواحدةِ. فالأمانةُ التي نَحْمِلُهَا تَقْتَضِي متابعةَ التَّوْجِيهِ والإرشادِ، وأمانةُ المريدِ تَقْتَضِي ترجمةَ العهدِ إلى عملٍ، وأمانةُ المواطنِ تَقْتَضِي حَفْظَ وطنِهِ ومصالحِ أهْلِهِ. ومن اجتماعِ هذهِ الأماناتِ يَتَكَوَّنُ السَّعْيُ الجماعيُّ الذي يجعلُ كرامةَ البلدِ غايةً مشتركةً.

أما ختامُ الرسالةِ بآيةِ العملِ، فقد وَضَعَ الوقفةَ وما يتلوها في ميزانِ الرقابةِ والمسؤوليةِ؛ فالعملُ منظورٌ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى، وملتصِلٌ بالرسالةِ المحمديةِ، ومشهودٌ في جماعةِ المؤمنينَ.

هذا الميزانُ يدعو إلى إخلاصِ النيةِ، وحكمةِ الوسيلةِ، ومراجعةِ الأثرِ، ويجعلُ المشاركةَ الوطنيةَ عبادةً عمليةً حينَ تُؤدَّى ابْتِغَاءَ الْحَقِّ وخدمةِ الناسِ.



الدلالة النهائية للأنموذج

اجتمعت في وقفة الأنبار معاني فصول هذا الكتاب في صورة تطبيقية متكاملة، ويمكن تلخيصها في الفقرات:

- ظهر "حب الوطن من الإيمان" في الدفاع عن مقدرات العراق وحقوق أبنائه.
- وظهر «لا حياد في الوطنية» في اتخاذ موقفٍ معلنيٍّ من الفساد.
- وظهر «الإرشاد وسيلة الإصلاح» في الكلمة العامة التي بثّت إلى الخلل ودعت إلى المعالجة.
- وظهر «الوطن في العقيدة الكسنزانية» في امتداد الدعاء والشكر إلى العراق بكلِّ مكوناته وأطيافه.
- كما ظهر معنى «رجال الدنيا والآخرة» في مشاركة مدنية حملت الهمَّ العامَّ بأخلاق الطريق.
- وتجسّدت مقومات الهوية الوطنية في الانتماء والمشاركة واحترام السلم العام والاستعداد لبذل الوقت والجهد في مواجهة الفساد.
- وتأنّح معنى «انتصار الطريقة انتصار وطن» في كلِّ أثر تربويٍّ يصنع مواطنًا واعيًا أمينًا شجاعًا في قول الحق.
- ثم جاءت فيوض حضرة السلطان (قدّس سرّه)، التي جمعت في الفصل الثامن، لتجد في هذه الوقفة ميداناً من ميادين الترجمة العملية، ولا سيّما قوله:
«لا تؤيّد الفساد والمنكر؛ البلد بلدك».
- «نحن نريد أن نقاتل بالمحبة والأخوة والسلام، لا نقاتل بالسلاح».

لقد وضعَ حضرةُ السلطانِ الخليفةِ محمدِ المحمديِّ الكسنزانِ
(قدّس سرّه) الأصلَ العقائديَّ حينَ قرَّرَ أنَّ حبَّ الوطنِ جزءٌ منَ
الإيمانِ والعقيدةِ، وتلقَّينا مِنْهُ أمانةً مواصلةً هذا الطريقِ وتوجيهِ
أبنائنا إلى خدمةِ العراقِ. وجاءتْ وقفةُ الكسنزانيةِ السلميةُ في
الأنبارِ تجسيداً عملياً لمعاني هذا الطريقِ؛ فالتقتِ الكلمةُ الموروثةُ
بالعملِ الميدانيِّ.

نعم، تبقى هذه الواقعةُ صفحةً قابلةً لأنْ تتبَّعها صفحاتٌ منَ
العملِ الواعي في كلِّ مدينةٍ ومجالٍ؛ لأنَّ إصلاحَ الوطنِ أمانةٌ
متجددةٌ، ولكلِّ فردٍ فيها نصيبٌ يوافقُ قدرتهُ وموقعه.

بذلك تستقيمُ الصلةُ التي انطلقَ مِنْها هذا الكتابُ: يكونُ الوطنُ
في القلبِ محبةً وعقيدةً، وفي اللسانِ إرشاداً وكلمةً حقٍّ، وفي
الميدانِ عملاً سلمياً يحفظُ الكرامةَ ويصونُ المقدراتِ ويجمعُ
الناسَ على الخيرِ.

نسألُ اللهَ تعالى أنْ يحفظَ العراقَ وأهلهُ، وأنْ يوفِّقَ أبناءَهُ جميعاً
إلى ما فيه صلاحُ البلادِ وكرامةُ العبادِ، وأنْ يجعلَ أعمالنا خالصةً
لوجهه الكريمِ، نافعةً لوطينا ومجتمعنا، إنَّه سميعٌ مجيبٌ.



حضرة السيد الشيخ السلطان الخليفة
مُحمد المحمد الكسنزان
(قدست أسرارہ المباركة)

توثيقاً لهذا الحراك الوطني الميداني الشجاع، وتخليداً للمشاهد التي جسدت تلاحم أبناء وبنات الطريقة العلية القادرية الكسنزانية مع الغيارى من أهل الأنبار، وسلميتهم في قلب الساحات، نستعرض فيما الصفحات الموالية، مجموعة من الصور التوثيقية التي تنقل واقع تلك اللحظات التاريخية؛ لتبث في ذاكرة القارئ مشاهد حية تجسد الموقف الأخلاقي والبطولي الذي وقفه مريدو الطريقة الكسنزانية في مواجهة الفساد والدفاع عن حقوق المجتمع.



تحت لواء المحبة والإصلاح

استلهاماً من سيرة ومسيرة الرسول الأعظم سيدنا مُحَمَّد ﷺ، في مواجهة الظلم والفساد والمفسدين، خرج أبناء الكسنزان وبناته في المظاهرات السلمية بمحافضة الأنبار، حاملين لواءهم الروحي تعبيراً عن التلازم بين الوفاء للرسالة والوفاء للوطن. فحب الوطن وإيمان وجهان لعقيدة واحدة في الطريقة العلية القادرية الكسنزانية.



من العراق... وللعراق
 لأجل العراق ارتفع هذا العَلَم؛ تحمله يدُ أمنت بأن الوطن عهدٌ في الأعناق،
 وأن خدمته مسؤوليةٌ تتقدّم على المصالح الضيقة. موقفٌ عراقيّ المولد
 والغاية: يستمدّ قوّته من محبة الأرض، ويتّجه بإرادته نحو إصلاحها، ليبقى
 العراق فوق الانتماءات، وتبقى رايته عنواناً جامعاً لكلّ أبنائه.





الروح الوطنية... غرسٌ يتجدّد

في هذا المَشهد المهيّب، تتعانق صورة السلطان الخليفة محمد المحمد الكسنزان (قدست أسرارهِ المباركة) مع رايات الكسنزانيّة وأعلام العراق، شاهدةً على أن ما غرسه حضرة المؤسّس ما زال حيّاً، بل يتحوّل في أبنائه من إرشادات تقويمية إلى مواقف عملية فاعلة.









صرخة وطن.. صرخة الكسنزان في وجه الفساد

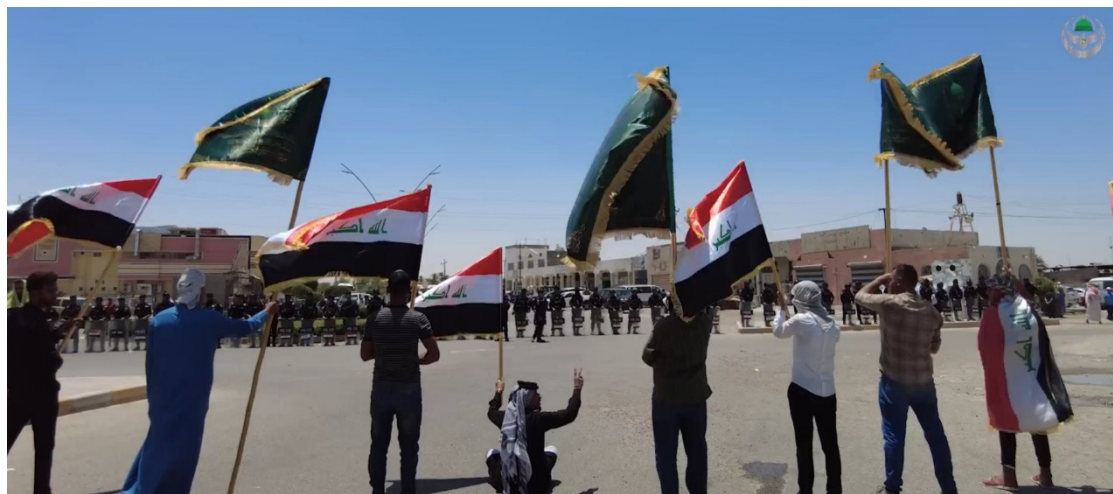
ارتفعت أصوات الحشود الكسنزائية في الأنبار بصرخة وطنية واحدة ضد الفساد والمفسدين؛ صرخة خرجت من ضمير آمن بأن السكوت عن ضياع حقوق الشعب تفريط بأمانة الوطن. وبالحناجر الموحدة، والخطوات السلمية، ورايات العراق والطريقة المتعانقة، عبّر أبناء الكسنزائية عن إرادة شعبٍ يطلب الإصلاح والعدالة وصون كرامة العراقيين، ويجعل من حضوره في الميدان شهادة حيّة على أن محبة الوطن موقفٌ ومسؤولية.





شجاعة الموقف وانضباط السلوك

وقف أبناء الطريقة الكسنزائية بشجاعةٍ أمام صفوف القوّات الأمنيّة، ثابتين في مطالبهم، متمسّكين بحقّهم في التعبير السلمي، من غير مواجهة أو اعتداء. فهم مدركون أن الشجاعة الوطنيّة قوّة تضبطها الحكمة، وأن سلميّة الاحتجاج تمنح الكلمة سلطانها الأخلاقي وتحفظ أمن الوطن وأرواح أبنائه. وهكذا واجهوا السلاح بالأيدي المرفوعة، والاصطفاف الأمني بالصوت المسؤول، مجسّدين شجاعةً تعرف كيف تثبت في الميدان وتحافظ، في الوقت نفسه، على حرمة الدم ووحدّة العراقيين.





الشعب يصنع انتصاره

النصر حليف الشعب الذي يعرف حقّه، وينهض لاسترداده بإرادةٍ واعيةٍ وصوتٍ سلميٍّ ثابت. فالشعوب تبدأ انتصارها حين تتغلّب على الخوف في داخلها، وتؤمن بقدرتها على صناعة مستقبلها، وتحوّل من انتظار الإصلاح إلى المشاركة فيه. ومن أمام صفوف القوّات الأمنيّة ارتفعت علامة النصر، نصر الكسّان، تحت راية العراق، لتعلن أن الشعب الذي ينتصر لكرامته ووطنه قد خطا أولى خطواته نحو غدٍ يستحقّه.

الخاتمة

العقيدة التي تتصل بالوطن تبقى حيّة بقدر ما تجد لها طريقاً إلى السلوك، وأثر في حياة الناس.

من هنا كان هذا الكتاب خطوة لقراءة حب الوطن في ضوء العقيدة الكسنزانية، والكشف عن الصلة التي تجمع بين صفاء القلب وصلاح الأرض، وبين البيعة التي يأخذها المريد على نفسه والمسؤولية التي يحملها تجاه مجتمعه ووطنه.

لقد كشف هذا الطرح أنّ العقيدة حين تستقر في القلب تصنع ميزاناً يرافق الإنسان في حياته اليومية. فالمريد الذي يعرف أنّ حب الوطن جزء من عقيدته ينظر إلى أعماله العامة بعين الآخرة، ويستشعر أنّ موقفه من القانون والعدل والكفاءة والمال العام والمشاركة السياسية داخل في سجل مسؤوليته أمام الله تعالى. وهكذا تصبح الوطنية عهداً قلبياً وسلوكياً، وتتحول خدمة المجتمع إلى عبادة تحمل روح النية الصادقة.

من هذا المعنى اكتسب الإرشاد مكانته في الطريقة الكسنزانية وفي فصول الكتاب؛ فالإرشاد حركة تبدأ من القلب وتتصل إلى المجتمع. والمريد المرشد يوقظ الهمة في الناس، ويقربهم من الخير، ويعينهم على معرفة واجباتهم، ويجمعهم حول ما يصلح شأنهم.

حين ربط حضرة السلطان (قدس سره) استمرار المدد باستمرار حركة الإرشاد، كشف عن قانون تربوي دقيق: القلب الذي يتحرك في سبيل الله يستقبل من المدد ما يعينه على مواصلة الطريق، والروح التي تحمل هم الناس تتسع لاستقبال أنوار الرحمة والتوفيق.

كما قدمت هذه القراءة معنى الدروشة بجليتها الجديدة، حلة الخطاب الصوفي المعاصر الذي يتعايش مع ميدانه الحي. فالدرويش الكسنزاني إنسان يحمل صفاء الباطن إلى واقع الحياة، ويجعل من أخلاق الطريق قوة للإصلاح. تظهر دروشته في أماته حين يعمل، وفي رحمته حين يقدر، وفي شجاعته حين يستدعي

الموقف كلمة الحق، وفي حكمته حين تحتاج المصلحة إلى الصبر
والمداورة. ويظهر أثرها كذلك في احترامه للناس، وحفظه لحقوقهم،
وحرصه على وحدة وطنه، وإسهامه في بناء مؤسساته.

إنَّ من أهمِّ ما استهدفه الكتابُ الكشفُ عن مقومات الهوية
الوطنية التي تناولها، وأنَّ الانتماءَ يحتاجُ إلى شواهدٍ عملية. وهو لا
يظهرُ بصدقٍ إلا في الولاءِ للدولة بوصفها الإطارَ الجامعَ، وفي تقديم
الكفاءة، ودعم سيادة القانون، والمشاركة في الشأن العام.

تصلُ هذه المسؤوليةُ إلى صندوق الاقتراع، حيث تتحولُ النيةُ
إلى اختيارٍ، ويتحولُ الاختيارُ إلى أثرٍ يمتدُّ في حياة المجتمع سنواتٍ
طويلة. فالصوتُ أمانة، والمشاركةُ شهادة، واختيارُ الكفاءِ صورةٌ من
صورِ الأمرِ بالمعروفِ. والمريدُ الذي يستحضرُ اللهَ في ورده
يستحضره كذلك حين يختارُ من يتولى شؤونَ الناس؛ لأنَّ اللهَ الذي
تعبده في التكية هو الذي أمركَ بأداءِ الأماناتِ إلى أهلها، وحمَلَكَ
مسؤوليةَ العدلِ والإصلاح.

من هنا يتبينُ المقصدُ في ربطِ انتصارِ الطريقةِ بانتصارِ الوطنِ
وبالعكس. فعندما تنتصرُ الطريقةُ في بناءِ الإنسانِ الصادقِ، يربحُ
الوطنُ مواطناً أميناً. وعندما تنجحُ في نشرِ المحبة، يربحُ المجتمعُ
قوةً تجمعُ أبناءه. وعندما تزرعُ الوعيَ والإرشادَ والعملَ الصالحَ،
تتسعُ مساحةُ الإصلاحِ في البلاد. وكلُّ مريدٍ ينجحُ في إصلاحِ
نفسه وإفادةٍ غيره يمثلُ نصراً هادئاً للطريقة والوطن معاً.

لقد حاولتُ في هذا الكتابِ أن أضعَ أمامَ القارئِ، مريداً كان أو غيرَ
مريدٍ، رؤيةً تصلُ بين العقيدة والحياة، وتمنحُ حبَّ الوطنِ عمقه
الروحيَّ ومسؤوليته العملية. وقد بقيتُ كلماتُ حضرة السلطان
الخليفة محمدِ محمدِ الكسنزان (قدست أسرارُه المنيرة) حاضرةً
في جميعِ الفصول؛ لأنها الأصلُ الذي انطلقت منه هذه القراءة،

والروح التي جمعت معانيها. وإني لأجزم أنّ من أجمل وأمثل ما يعبر عن هذه الروح قوله (قدّس سره): "نحن نريد أن نقاتل بالمحبة والإخوة والسلام". ففي هذه الكلمات يظهر طريق الإصلاح الكسنزائي: قوة تحمل الرحمة، وثبات يحفظ الأخوة، وعمل يصنع السلام.

في ختام هذا السفر، يبقى الأمل معقوداً على المريدين وأبناء الوطن جميعاً، بعد الله تعالى ورسوله ﷺ وأئمة أهل البيت الكرام ومشايخ طريقتنا العظام (صلوات الله تعالى عليهم أجمعين)، في أن يحمل كل واحد منهم العراق في قلبه أمانة، وفي عقله مشروعاً، وفي يده عملاً، وفي دعائه أملاً.

الأوطان تُبنى حين يعرف أبنائها قدر مسؤوليتهم، وتنهض حين تتألف القلوب على خدمتها، وتستعيد عافيتها حين يتحول الإيمان إلى أخلاق، والمحبة إلى تعاون، والعلم إلى عمران.

نسأل الله تعالى أن يحفظ العراق وأهله، وأن يجمع قلوب أبنائه على الخير، وأن يوفقهم إلى ما فيه صلاح البلاد وكرامة العباد، وأن يجعل أعمالنا خالصة لوجهه الكريم، نافعة لوطينا ومجتمعنا، وأن يمدنا بهمة مشايخنا وأساتذتنا الكرام؛ لنكون رجالاً للدنيا والآخرة، نحمل نور الطريقة في قلوبنا، وترجمه محبة وإرشاداً وإصلاحاً في أرض الوطن وسماء القلب. اللهم آمين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين
وصلّى الله تعالى على سيدنا محمد
الوصفي والوحي والرسالة والحكمة، وعلى آله وصحبه، وسلم
تسليماً.

المصادر

1. القرآن الكريم .
2. ابن جرير الطبري، تاريخ الطبري (تاريخ الرسل والملوك)، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم [ت 1401 هـ]، الناشر: دار المعارف بمصر، الطبعة: الثانية، 1387 هـ - 1967 م، عدد الأجزاء: 11، وصورتها: دار التراث بيروت وغيرها كثير، [ترقيم الكتاب موافق للمطبوع]، تاريخ النشر بالشاملة: 8 ذو الحجة 1431 هـ .
3. إحياء علوم الدين، الإمام الغزالي، دار المعرفة - بيروت، ، عدد الأجزاء: 4، [ترقيم الكتاب موافق للمطبوع]، تاريخ النشر بالشاملة: 8 ذو الحجة، 1431 هـ
4. إيقاظ الهمم في شرح الحكم، العارف بالله أحمد بن عجيبة، تقديم ومراجعة: محمد أحمد حسب الله، دار المعارف، كورنيش النيل - مصر.
5. البداية والنهاية، أبو الفداء إسماعيل بن كثير، تحقيق: د. محيي الدين ديب مستو وآخرون، دار ابن كثير، دمشق - بيروت، ط3، 2013 م.
6. البصائر والذخائر، أبو حيان التوحيد، علي بن محمد بن العباس، المحقق: د. وداد القاضي، دار صادر - بيروت، ط1، 1988 م.
7. تثبيط تدخل المتفرج في حالات الطوارئ، مجلة الشخصية وعلم النفس الاجتماعي، بيب لاتاني وجون دارليمج10، عدد3، 1968.
8. تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، المحقق: سامي بن محمد السلامة، (تم فيها استدراك السقط الحاصل بالمجلد الأول من طبعة الشعب)، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض - السعودية، ط2، 1420 هـ - 1999 م، عدد الأجزاء: 8، [ترقيم الكتاب موافق للمطبوع]، تاريخ النشر بالشاملة: 8 ذو الحجة 1431.
9. التوضيح لشرح الجامع الصحيح، ابن الملقن، المحقق: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، دار النوادر، بإشراف خالد الرباط، جمعة فتحي، تقديم: أحمد معبد عبد الكريم، أستاذ الحديث بجامعة الأزهر،

الناشر: دار النوادر، دمشق - سوريا، ط1، 1429 هـ - 2008 م، عدد الأجزاء: 36 (33 والفهارس)، [ترقيم الكتاب موافق للمطبوع]، تاريخ النشر بالشاملة: 1 شعبان 1435، دمشق - سوريا، ط1، 2008م.

10. جامع السنن [سنن ابن ماجه]، (مضبوطا على سبع نسخ خطية)، ابن ماجه، حققه وعلق عليه وحكم على أحاديثه: عصام موسى هادي، (طبعة منقحة ومزودة ومقابلة على أقدم أصل خطي للسنن وفيها زيادات تنشر لأول مرة)، الناشر: دار الصديق للنشر، الجبيل - السعودية، الطبعة: الثانية، 1435 هـ - 2014 م، عدد الصفحات: 916، [ترقيم الكتاب موافق للمطبوع]، تاريخ النشر بالشاملة: 27 ذو القعدة 1444هـ.

11. جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم، ابن رجب الحنبلي البغدادي، المحقق: الدكتور محمد الأحمد أبو النور، وزير الأوقاف وشئون الأزهر سابقاً، الناشر: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة، ط2، 1424 هـ - 2004 م، عدد الأجزاء: 3 (متسلسلة الترقيم)، [ترقيم الكتاب موافق للمطبوع]، تاريخ النشر بالشاملة: 8 ذو الحجة 1431هـ.

12. الجامع الكامل في الحديث الصحيح الشامل المرتب على أبواب الفقه، محمد عبد الله الأعظمي المعروف بـ(الضياء)، الناشر: دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، 1437 هـ - 2016 م، عدد الأجزاء: 12، [ترقيم الكتاب موافق للمطبوع]، تاريخ النشر بالشاملة: 17 محرم 1442هـ.

13. الجامع الكبير (سنن الترمذي)، الترمذي، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: بشار عواد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي - بيروت، الطبعة: الأولى، 1996 م، عدد الأجزاء: 6، تنبيه: أثبتنا الأحاديث التي حذفها محقق المطبوعة، مع التنبيه عليها في الحاشية، وذكر النسخ التي ثبتت فيها، [ترقيم الكتاب موافق للمطبوع]، وهو ضمن خدمة التخريج]، تاريخ النشر بالشاملة: 8 ذو الحجة 1431هـ.

14. خطاب السويد (أو الفنان وزمانه)، ألبير كامو، ترجمة: أحمد المديني، مؤسسة هنداوي، 2023م.

15. ذخائر الأعلاق في شرح ترجمان الأشواق، محيي الدين محمد بن علي ابن عربي، بيروت: المطبعة الأنسية، 1895م.
16. رسالة من سجن برمنغهام، مارتن لوثر كينغ (الابن)، 16 أبريل - 1963م، في: عهد الأمل (الكتابات والخطب الأساسية لمارتن لوثر كينغ الابن)، تحرير: جيمس م. واشنطن، نيويورك: هاربر ون، 1986.
17. السنن الكبرى، البيهقي، المحقق: محمد عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الثالثة، 1424 هـ - 2003 م، عدد الأجزاء: 11 (الأخير فهارس)، [ترقيم الكتاب موافق للمطبوع]، تاريخ النشر بالشاملة: 8 صفر 1433 هـ.
18. السيرة النبوية لابن هشام، عبد الملك بن هشام، تحقيق: مصطفى السقا، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط2، 1955م.
19. شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، تحقيق: محمد إبراهيم، دار الكتاب العربي بغداد- شارع المتنبي، ط1، 2007م.
20. صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، المحقق: د. مصطفى ديب البغا الناشر: (دار ابن كثير، دار اليمامة) - دمشق، ط5، 1414 هـ - 1993م، عدد الأجزاء: 7 (الأخير فهارس)، [ترقيم الكتاب موافق للمطبوع]، تاريخ النشر بالشاملة: 14 ربيع الآخر 1443 هـ.
21. صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج النيسابوري، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، (ثم صورته دار إحياء التراث العربي ببيروت، وغيرها)، عام النشر: 1374 هـ - 1955 م، عدد الأجزاء: 5 ، [ترقيم الكتاب موافق للمطبوع]، تاريخ النشر بالشاملة: 8 ذو الحجة 1431 هـ.
22. عوارف المعارف، الشيخ عمر السهروردي، مكتبة القاهرة- ميدان الأزهر الشريف، ط5، 2004م.
23. الفتوحات المكية، الشيخ ابن عربي، المجلس الأعلى للثقافة- مصر، ط2، 2013م.

24. كتاب الأموال، أبو عبيد القاسم بن سلام البغدادي، المحقق: خليل محمد هراس، دار الفكر- بيروت .
25. كتاب العين، الفراهيدي، المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.
26. كتاب الفتوح، أحمد بن أعثم الكوفي، تحقيق: علي شيري، دار الأضواء، بيروت، ط1، 1991م.
27. لسان العرب، ابن منظور، الناشر: دار صادر - بيروت، الطبعة: الثالثة - 1414 هـ، عدد الأجزاء: 15، [ترقيم الكتاب موافق للمطبوع]، تاريخ النشر بالشاملة: 8 ذو الحجة 1431 هـ
28. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، نور الدين الهيثمي، المحقق: حسام الدين القدسي، الناشر: مكتبة القدسي، القاهرة، عام النشر: 1414 هـ، 1994 م، عدد الأجزاء: 10، [تتبيه]: ترقيم الأحاديث ليس من المطبوع، [ترقيم الكتاب موافق للمطبوع]، تاريخ النشر بالشاملة: 28 ربيع الأول 1433 هـ .
29. مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، محمد حميد الله الحيدر آبادي الهندي، دار النفائس - بيروت، ط6، 1407 هـ
30. مخطوطة نهج الخواص إلى جناب الخاص، الشيخ محمد بن زياد العلیماني.
31. مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، سبط ابن الجوزي، تحقيق: إبراهيم الزبيق، دار الرسالة العالمية، دمشق - الحجاز، ط1، 2013م.
32. مسند أبي داود الطيالسي، أبو داود الطيالسي، المحقق: الدكتور محمد بن عبد المحسن التركي، الناشر: دار هجر - مصر، ط1، 1419 هـ - 1999 م، عدد الأجزاء: 4، [ترقيم الكتاب موافق للمطبوع، وهو ضمن خدمة التخریج]، تاريخ النشر بالشاملة: 8 ذو الحجة 1431 هـ
33. مسند أحمد، الإمام أحمد بن حنبل، المحقق: شعيب الأرناؤوط - عادل مرشد - وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، عدد الأجزاء: 50 (آخر 5 فهارس)، ط1، 1421 هـ -

2001 م، [ترقيم الكتاب موافق للمطبوع]، تاريخ النشر بالشاملة: 8 ذو الحجة 1431 هـ

34. مسند الإمام الشافعي، الإمام الشافعي، ترتيب: سنجر بن عبد الله الجاولي، أبو سعيد، علم الدين، ت 745 هـ)، حقق نصوصه وخرج أحاديثه وعلق عليه: ماهر ياسين فحل، الناشر: شركة غراس للنشر والتوزيع، الكويت، ط1، 1425 هـ - 2004 م، عدد الأجزاء: 4، [ترقيم الكتاب موافق للمطبوع]، تاريخ النشر بالشاملة: 8 ذو الحجة 1431 هـ

35. المسند المستخرج على صحيح الإمام مسلم، أبو نعيم الاصفهاني، المحقق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل الشافعي، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، 1417 هـ - 1996 م، عدد الأجزاء: 4، [ترقيم الكتاب موافق للمطبوع]، تاريخ النشر بالشاملة: 8 ذو الحجة 1431 هـ

36. مصنف ابن أبي شيبة، ابن أبي شيبة، المحقق: سعد بن ناصر بن عبد العزيز أبو حبيب الشثري، تقديم: ناصر بن عبد العزيز أبو حبيب الشثري، الناشر: دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع، الرياض - السعودية، ط1، 1436 هـ - 2015 م، عدد الأجزاء: 25 (آخر 4 فهارس)، تنبيه: هذه النسخة الإلكترونية تم إدخالها إدخالاً جديداً، ولم تعتمد على أي نسخة سابقة (كما وقع ببعض النسخ الإلكترونية غير الرسمية: من إعادة تقسيم نص نسخة أخرى مغايرة على صفحات هذه الطبعة!)، [ترقيم الكتاب موافق للمطبوع]، تاريخ النشر بالشاملة: 15 جمادى الآخرة 1443 هـ

37. المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم (مؤصل بيان العلاقات بين ألفاظ القرآن الكريم بأصواتها وبين معانيها)، د. محمد حسن، الناشر: مكتبة الآداب - القاهرة، الطبعة: الأولى، 2010 م، عدد الأجزاء: 4 (متسلسلة الترقيم). [ترقيم الكتاب موافق للمطبوع]، تاريخ النشر بالشاملة: 16 جمادى الآخرة 1438 هـ

38. المعجم الكبير، الطبراني، المحقق: حمدي بن عبد المجيد السلفي [ت 1433 هـ]، دار النشر: مكتبة ابن تيمية - القاهرة، ط2، عدد الأجزاء: 25،

- ويشمل القطعة التي نشرها لاحقا المحقق الشيخ حمدي السلفي من المجلد 13 (دار الصميعي - الرياض / الطبعة الأولى، 1415 هـ - 1994 م)، [ترقيم الكتاب موافق للمطبوع]، تاريخ النشر بالشاملة: 8 ذو الحجة 1431.
39. المعجم الوسيط، نخبة من اللغويين بمجمع اللغة العربية بالقاهرة، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ط2، 1972 م.
40. معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، تحقيق وضبط: عبد السلام محمد هارون، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط2، 1969 - 1972 م، وصورتها: (دار الجيل، ودار الفكر) - (بيروت)، عدد الأجزاء: 6، [ترقيم الكتاب موافق للمطبوع]، تاريخ النشر بالشاملة: 8 ذو الحجة 1431 هـ.
41. المغازي، محمد بن عمر بن الواقدي، تحقيق: د مارسدن جونس، جامعة أكسفورد - لندن، 1966 م.
42. مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، الإمام فخر الدين الرازي، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط3، 1420 هـ، تاريخ النشر بالشاملة: 8 ذو الحجة 1431 هـ.
43. موسوعة التاريخ الإسلامي، محمد هادي اليوسفي الغروي، الناشر: مجمع الفكر الإسلامي، قم، (8 مجلدات).
44. موسوعة الكسنزان فيما اصطلح عليه أهل التصوف والعرفان، (24 مجلد)، ط1، دار المحبة، دمشق 2005م.
45. موسوعة مرآة الحرمين الشريفين وجزيرة العرب، صنفها باللغة التركية العثمانية: أيوب صبري باشا (ت 1290 هـ - 1890 م) (كذا على غلاف المطبوع، والصواب 1308 هـ)، ترجمة: د ماجدة مخلوف - د حسين مجيب المصري - د عبد الغزيز عوض، أشرف على ترجمتها: د محمد حرب راجعها على نصها العثماني: أديب عبد المنان - على أوزلي، راجعها وأعدّها للنشر: محمود جيرة الله، الناشر: دار الآفاق العربية، القاهرة، الطبعة: الأولى، 1424 هـ - 2004 م، عدد الأجزاء: 5، [ترقيم الكتاب موافق للمطبوع]، تاريخ

- النشر بالشاملة: 24 ربيع الآخر 1443، ج 2 ص 752.
46. نهج البلاغة، جمعه الشريف الرضي، تحقيق: صبحي الصالح، بيروت، دار العلم للملايين، ط3، 1991م.
47. النوافذ المكسورة، ذا أتلانتيك ماثلي، جيمس كيو ويلسون، و جورج إل كيلينغ، مارس 1982م.



المحتويات

11.....	المقدمة
15	الفصل الأول - حبُّ الوطن من الإيمان
17.....	العلاقة بين الوطن والإيمان
20.....	شواهدُ الوطن في القرآن الكريم
25.....	شواهدُ الوطن في السيرة النبوية
27.....	الدروشة وحبُّ الوطن
28.....	من أحبَّ أحداً أحبَّ ما أحبه
39.....	الفخرُ الوطني في خطابنا المعاصر
41	الفصل الثاني - لا حيادَ في الوطنية
43.....	لا حيادَ في الوطنية
43.....	في أصل كلمة حياد
44.....	لا حيادَ في القرآن الكريم
45.....	أصواتٌ ضدَّ الحياد
48.....	من الوطن الشخصي إلى وطن الجميع
48.....	الانحياز لا الحياد
49.....	الإيمانُ المقترنُ بالعمل الصالح
49.....	مشكلة الحياد اللحظي - شاهدٌ من علم النفس
50.....	مشكلة الحياد المتراكم - شاهدٌ من علم الاجتماع
52.....	مراتبُ التغيير، لا مجالٌ للحياد
53.....	الوطنية بين المداراة والمداهنة
57	الفصل الثالث - الإرشادُ وسيلةُ الإصلاح
59.....	الإرشادُ بين اللغة والقرآن
60.....	الإرشادُ: دعوةٌ مزدوجة التوجه
61.....	الوطنُ مسجدُ المريد
64.....	وما الإرشادُ إلا تزكية النفس والوطن
64.....	بركةُ الإصلاح المُستدّر بالمَدَد
67	الفصل الرابع - الوطنُ في العقيدة الكسنزانية
69.....	الوطنُ في العقيدة الكسنزانية
69.....	التعريفُ بالعقيدة
73.....	حبُّ الوطن ومبدأ الشمول
76.....	وثيقة المدينة الوطنية.. وثيقة الدنيا والآخرة
77.....	العهدُ العمرية أنموذجاً
77.....	استشكالُ الوطن والأمة
78.....	الهوية الوطنية ومعادلة الدفاع
83	الفصل الخامس - رجالُ الدنيا والآخرة
85.....	رجالُ الدنيا والآخرة
86.....	الإصلاحُ الأول: بيعةُ الطريقة
89.....	الإصلاحُ الثاني: المشاركة الواعية
93.....	الربطُ بين الطريقة والعراق
93.....	الربطُ بين الطريقة والعالم
96.....	الوعدُ الحقُّ بالبشرى

101..... الفصل السادس - مقومات الهوية الوطنية

- 103..... مقومات الهوية الوطنية
- 103..... المقوم الأول: الانتماء والولاء
- 104..... المقوم الثاني: الحض على تكافؤ الفرص
- 107..... المقوم الثالث: دعم سيادة القانون
- 109..... المقوم الرابع: أمانة المشاركة
- 112..... المقوم الخامس: الاستعداد للتضحية والدفاع

115..... الفصل السابع - انتصار الطريقة انتصار وطن

- 117..... حقائق عن (نصرة) الله تعالى
- 122..... نصره الله بين الهدى واليهوى
- 123..... النصرة الحقة.. نصرة الطريقة
- 124..... كيف تكون نصرة الطريقة؟
- 126..... كيف تتحقق نصرة الوطن بنصرة الطريقة؟

131..... الفصل الثامن - من فيض السلطان الخليفة محمد المأمون الكسنزان (قدس سره)

- 133..... مقدمة
- 134..... الطريقة خلافة الدنيا والآخرة
- 137..... حب الوطن وخدمته والدفاع عنه
- 145..... العراق منبع أهل التصوف والأخوة
- 147..... التجمع.. الواجهة السياسية
- 149..... المشاركة في الانتخابات
- 157..... الطريقة والأخوة العالمية
- 159..... يوم الوعد آت.. وكل آت قريب

161..... الفصل التاسع - صولة الكسنزان من العقيدة إلى الميدان

- 163..... وقفة أبناء الكسنزان في الأنبار أنموذجاً للمشاركة الوطنية السلمية
- 163..... رسالتنا إلى أبنائنا وبناتنا
- 166..... المحبة التي صنعت دائرة الفعل
- 167..... الصولة التي ضبطتها السلمية
- 168..... الاحتجاج السلمي صورة من صور الإرشاد
- 169..... من أمانة الصوت إلى أمانة الموقف
- 170..... الفساد الذي يهلك الحرث والنسل
- 171..... شمولية الأمانة
- 172..... الأنبار باب إلى العراق كله
- 173..... صفحة من كتاب الإصلاح
- 174..... من الشكر إلى التكليف المشترك
- 175..... الدلالة النهائية لأنموذج

188..... الخاتمة

191..... المصادر

إصدارات الطريقة

حضرة السيد الشيخ السلطان الخليفة محمد المحمد الكسنزان (قدس سره)	
1.	الانوار الرحمانية في الطريقة القادرية الكسنزانية، 1988م.
2.	جلاء خاطر من كلام الشيخ عبد القادر (قدس الله سره)، شركة عشتار للطباعة والنشر والتوزيع المحدود، 1989م.
3.	الصلوات الكسنزانية، 1990م.
4.	الطريقة العلية القادرية الكسنزانية، مطبعة معين، صنعاء، 1998م.
5.	موسوعة الكسنزان فيما اصطلح عليه أهل التصوف والعرفان، (24 مجلد)، ط1، دار المحبة، دمشق 2005م.
6.	مصطلح الطريقة في الشريعة الإسلامية، ط1، 2006م.
7.	التحلي بالآداب الإسلامية في الطريقة الكسنزانية، دار القادري، دمشق، ط1، 2007م.
8.	الاوراد الكسنزانية دار القادري، دمشق، ط1 ، 2006م.
حضرة السيد الشيخ شمس الدين محمد نهرو الكسنزان (قدس سره)	
1.	مصطلح الطريقة في الشريعة الإسلامية.
2.	خوارق الشفاء الصوفي والطب الحديث، دار القادري، دمشق، ط1، 2007م.
3.	الرؤى والاحلام في المنظور الصوفي، دار القادري، دمشق، ط1، 2007م.
4.	في حضرة الطريق، سلسلة إصدارات المركز العالمي للتصوف والدراسات الروحية [1]، دار اراء للطباعة والنشر، ط1، 2025م. دار رائد المعنى للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، 2026م.
5.	مُحَمَّدٌ نَوَّزٌ بَابَهُ عَلَيَّ، سلسلة إصدارات المركز العالمي للتصوف والدراسات الروحية [2]، دار المتن للطباعة والنشر، ط1، 2025م. دار رائد المعنى للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، 2025م.

6.	السماع والموسيقى الصوفية في الرسائل السماوية (دراسة تحليلية تشريعية حول الأثر الروحي للموسيقى الصوفية في الحضارات الإنسانية)، سلسلة إصدارات المركز العالمي للتصوف والدراسات الروحية [3]، دار رائد المعنى للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 2026م.
7.	دليل الطالب المرشد، سلسلة إصدارات المركز العالمي للتصوف والدراسات الروحية [4]، دار رائد المعنى للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 2026م، مجلدان.
8.	الحقيقة في تعريف الطريقة، سلسلة إصدارات المركز العالمي للتصوف والدراسات الروحية [5]، دار رائد المعنى للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 2026م.
9.	مجلة الكسنزان، مجلة صوفية فصلية، تصدر عن رئاسة الطريقة العلية القادرية الكسنزانية، صدر منها (14) عدد، العدد (0) خريف 2006، العدد (14) صيف 2014م.

